الوسيط

في تاريخ الخليج العربي في العصر الإسلامي الوسيط

الدكتور
فاروق عمر فوزي



الشروق



الوسيط في

تاريخ الخليج العربي

في العصر الإسلامي الوسيط

الوسيط في

تاريخ الخليج العربي

في العصر الإسلامي الوسيط

تأليف

فاروق عمر فوزي



2000

رقم التصنيف: 956.9

المؤلف ومن هو في حكمه: الدكتور فاروق فوزي

عنوان الكتاب: الوسيط في تاريخ الخليج العربي في العصر الاسلامي الوسيط

الموضوع الرئيسي: 1- التاريخ – الخليج العربي

2- العصر الاسلامي

رقم الإيداع: 2000 / 8 / 2325

بيانات النشر : عمان: دار الشروق

● تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل المكتبة الوطنية

ردمك ISBN 9957 - 00 - 114 -0

● الدكتور فاروق عمر فوزي .

● الوسيط في تاريخ الخليج العربي في العصر الاسلامي الوسيط .

● الطبعة العربية الأولى : الإصدار الأول ، 2000 .



دار الشروق للنشر والتوزيع

هاتف : 4618190 / 4618191 / 4624321 فاكس : 4610065

ص.ب : 926463 الرمز البريدي : 11110 عمان – الاردن

دار الشروق للنشر والتوزيع

رام الله: المنارة – شارع المنارة – مركز عقل التجاري هاتف 02/2961614

نابلس: جامعة النجاح – هاتف 09/2398862

■ التنضيد والاخراج الداخلي وتصميم الغلاف وفرز الألوان و الأفلام :

الشروق للدعاية والإعلان والتسويق / قسم الخدمات المطبعية

هاتف : 4618190/1 فاكس 4610065 / ص.ب . 926463 عمان (11110) الأردن

Email : shorok_Jo@nol.com.Jo

الفهرس

الفصل الأول

الخليج في العصور الإسلامية

الفصل الثاني

الخليج في العصور الإسلامية

الفصل الثالث

الخليج في العصور الإسلامية

الفصل الرابع

الخليج في العصور الإسلامية

المقدمة

نطاق البحث ومصادره

« وصاحب العصبية إذا بلغ إلى رتبة طلب ما فوقها فإذا بلغ السؤدد والاشباع ووجد السبيل إلى التغلب والقهر لا يتركه لأنه مطلوب للنفس»

ابن خلدون ، المقدمة ، ص68

« إن اجتثاث مفعول القبيلة من النفوس يتطلب قيام نظام اجتماعي على أسس مختلفة تماماً عن تلك التي تكرسها القبيلة»

محمد عابد الجابري ، العقل السياسي العربي ، ص 97

المقدمة

يبدو ان الباحثين قدامى ومحدثين اختلفوا في تسمية الخليج ، وفي تحديد ابعاده الجغرافية . أما التسمية ، فهي ليست مجرد خلاف اسمي وانما تعدت ذلك لتعكس رؤى سياسية واقتصاديةمختلفة . لقد كان الاسم المتعارف عليه للخليج في التاريخ القديم هو «البحر الادنى» حيث يقابله البحر الأعلى[1] وهو البحر الأبيض المتوسط . ولكن حين أبحر أمير البحر الاغريقي نياركوس باسطوله عبر الخليج من جهة سواحله الشرقية العميقة حوالي سنة 325ق . م . سماه «الخليج الفارسي» وذلك لعدم تعرفه على سواحل الخليج العربية . ومن هنا جاءت تسمية بطليموس للخليج باسم الخليج الفارسي[2] ،وهي التسمية نفسها التي اخذها الجغرافيون المسلمون من بطليموس بعد ترجمة كتابه إلى العربية في عصر الترجمة . ومهما تعدد الجغرافيون المسلمون فانهم نقلوا من مصدر واحد هو جغرافية بطليموس .

وإذا كانت التسمية التي اطلقها بطليموس قد شاعت بعدترجمتها إلى العربية ، فان مؤرخين آخرين اطلقوا على الخليج اسم «الخليج العربي» ولكن تسميتهم لم تنتشر بسبب عدم تعرّف الجغرافيين المسلمين عليها ومن هؤلاء ، المؤرخ الروماني بليني (ت113م) وقبله سترابون (ت 19م) .

وللخليج تسميات اخرى مثل خليج البصرة ، وخليج القطيف . ولكن هذه التسميات متأخرة ، وفي اعتقادي ان اسم الخليج هو «الخليج العربي» لاسباب جغرافية وتاريخية وبشرية ولغوية[3] . فمن الناحية الجغرافية إن السواحل الغربية والشمالية للخليج جزء لا يتجزأ من الجزيرة العربية ، أما سواحله الشرقية فهي جزء من منطقة السواد ، لا يفصلها فاصل طبيعي عائق عن سهل العراق الجنوبي . بينما يفصلها عن بلاد فارس . تلك الكتلة

---

(1) فؤاد جميل ، الخليج العربي في مدونات المؤرخين الاقدمين ، مجلة سومر ج1 مجلد 22 ، ص 40 .

(2) مصطفي جواد ، بل هو الخليج العربي ، مجلة الاقلام ،11, 1970 ص 78-79 .

(3) قدري قلعجي ، الخليج العربي ، ص 8 صبري الهيتي ، الخليج العربي ، ص 7-8 .

الجبلية المعروفة باسم جبال زاجروس والتي جعلت بين الفرس والخليج ذلك الحاجز الطبيعي الذي منعهم من ركوب البحر[1] ، فالفرس لم يركبوا البحر في تاريخهم القديم والوسيط وإذا أنشأوا اسطولا كان بحارته في غالبيتهم من العرب . أما من الناحية التاريخية فإن اقاليم الخليج كافة من شرقية وشمالية وغربية تعرضت إلى نفس العوامل والمؤثرات التاريخية تقريبا كما سنرى في معرض كلامنا في فصول هذا الكتاب . أما من الناحية البشرية واللغوية فالمنطقة يسكنها العرب في جميع اطرافها ويتكلمون بطبيعة الحال لغتهم العربية .

من ذلك ندرك بأن ليس في الخليج شيء فارسي الا اسمه الذي تداولته خطأ الكتب والمؤسسات وظهر في الخرائط بصفة خاصة . وأول من انتبه إلى هذا الخطأ واورد ما يثبت عروبة الخليج هو الرحالة كارستن نيبور الذي جاب المنطقة سنة 1762م ، واصدر كتابه «رحلات في الجزيرة العربية وبلدان شرقية اخرى» . كما اشار إلى الخطأ نفسه ودعا إلى تصحيحه كل من المؤرخ الإنجليزي رودريك اوين في كتابه «الفقاعة الذهبية» سنة 1957م ، وارنولد ويلسون في كتابه عن الخليج[2] .

وإذا كانت المفاهيم المستخدمة حول الخليج العربي في العصر الحديث ما تزال غير مستقرة أو محددة الابعاد لاسباب سياسية ومصالح اقتصادية وعسكرية دولية معقدة(3) . فإن ابعاد الخليج العربي وحدوده كانت في العصور الوسطى الإسلامية ، واضحة المعالم فهو يكون الجناح الشرقي للوطن العربي ذلك لان العراق والاحواز والسواحل الشرقية للخليج تكون الحد الفاصل بين العرب المسلمين وبين الشعوب الاخرى التي دخلت الإسلام . ويكون الخليج العربي من الناحية الثانية الحدود الجنوبية من العالم الإسلامي والممر البحري والتجاري الحيوي الذي تنتقل منه التجارة من الشرق الاقصى إلى البحر الأبيض المتوسط ثم أوروبا[4] . ويحتل مركزاً وسطا من العالم الإسلامي .

اماالاقاليم العربية التي تكون الخليج العربي في العصور الوسطى الإسلامية فهي إقليم السواد أو (العراق) وإقليم الاحواز وإقليم البحرين واقليم عُمان . وتلك هي الوحدات الإدارية التي تحيط بالخليج العربي في العصر الإسلامي ، وهي نفسها التي سنتناولها تاريخيا في كتابنا هذا .

---

(1) محمد متولي ، حوض الخليج العربي ، الجزء الأول ، ص 18-19 .

(2) التوم الطالب ، البحرين ، ص9-10 (رسالة ماجستير غير مطبوعة) ، مصر 1979م . .

(3) محجوب عمر ، أمن الخليج . . . ، مجلة المستقبل العربي ، 30, 1981 ، ص24 .

(4) قدري قلعجي ، الخليج العربي ، ص 7 فما بعد ، ص 37 ، فما بعد .

يُعد الخليج العربي الحد الشرقي من الوطن العربي لا تفصله عنه أية حواجز طبيعيه كما وانه يكوّن وحدة جغرافية واحدة شملت في العصر الإسلامي اقاليم العراق والاحواز والبحرين وعمان . ولابد لنا ان نوضح منذ البداية حدود هذه الاقاليم الاربعة كما وضعها الجغرافيون والمؤرخون المسلمون في العصر الإسلامي والتي كانت تتفق مع حدوده التاريخيه والإدارية على حد سواء .

أما العراق أو السواد[1] وهي كلمة مرادفة للعراق حيث يقول المسعودي ان الرأي الغالب بأن السواد هو العراق ، ويبدو ان العرب المسلمين اطلقوا اصطلاح السواد على العراق لأن أراضيه كانت مستغلة زراعياً وتبدأ حدوده من الجنوب بعبادان على الخليج حيث يشير الخطيب البغدادي[2] «إن العراق يمتد من بلد إلى عبادان» ، وكان دجله العوراء (شط العرب) بين عبادان ومدينة بيان الحد بين أرض الاحواز وأرض البصرة ، وهي من العراق ، ثم تتجه الحدود شمالا إلى مدينة الطيب مارة غرب أرض السوس ثم تحاذي الحدود الجبال مارة بأرض الصميرة وأرض السروان . إلى الشمال من السيروان تقع مدينة حلوان وهي آخر مدن العراق شرقا بمحاذاة الجبال . وتقع حلوان على نهر الوند احد روافد نهر ديالى ثم تسير الحدود باتجاه شمالي غربي إلى قصر شيرين ثم خانقين . ويذكر البلاذري بعد فتح خانقين انه لم يبق من سواد دجله ناحية إلا غلب عليها المسلمون وصارت بأيديهم . وتبدأ حدود السواد الشمالية في الشمال الشرقي عند مدخل نهر العظيم في جبل بارما وتساير مجرى العظيم حتى مصبه من دجلة قرب العلث ثم تسير غربا إلى قرية حربي ثم دير الجاثليق فمدينة بقة على نهر الفرات بين هيت والانبار .

أما حدود العراق الغربية فهي تتحدد بالبادية الذي يراعي تقدم البادية وتأخرها نحو أرض السواد الزراعية . وهذه هي حدود السواد التي رسمت في عهد الخليفه عمر بن الخطاب (رضي) .

أما الاحواز فإن العرب هم الذين اطلقوا عليها هذا الاسم[3] . والاحواز جمع لكلمة حوز مصدر للفعل حاز بمعنى التملك وتستعمل غالبا للدلالة على حيازة الأرض وربما استعملت للدلالة على التبعية القبلية أو السياسية فيقال احواز الازد أو احواز تميم أو احواز البصره .

---

(1) جمال جودة ، العرب والأرض في العراق ، عُمان 1979 ، ص 29-38 .

(2) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج1 ، ص 24 .

(3) الحلو ، الاحواز ، ج1 ، ص 8 فما بعد .

وتعتبر الاحواز امتدادا طبيعيا لسهول السواد ومتصلة بها اتصالا مباشرا من الناحية الجغرافية ومكملة لها من الناحية الاقتصادية . وقد اكد الجغرافيون المسلمون على ان الاحواز جزء من جزيرة العرب أو من الأرض العربية التي تحدها سلسلة جبال البختيارية الحالية التي هي جزء من جبال زاجروس الحد الطبيعي بين بلاد فارس وبلاد العرب . وتعتبر مدينة بيان اخر إقليم الاحواز غربا بينما تعتبر عبادان اخر إقليم العراق شرقا . ومن مدن الاحواز القديمة سوق الاحواز وهي مركز الاقليم . وعبادان نسبة إلى عباد بن الحصين أول من رابط بها وتسمى الجزيرة التي تقع فيها المدينة جزيرة خضر أو الحرزي . ومدينة عسكر مكرم بناها القائد العربي مكرم بن معاوية أيام الحجاج الثقفي . ومدينة المناذر الواقعة عند ملتقى نهر كارون بأحد فروعه نهر ديسبول . ومدينة تيري . وبنى الخليفة العباسي المهدي مدينة في الاحواز سماها حصن المهدي .

أما إقليم البحرين[1] فهو الإقليم الممتد من جنوبي البصرة إلى عُمان . وهي متصلة غربا باليمامة وجنوبا بعمان وشمالا بالعراق وشرقا بمياه الخليج العربي . والبحرين جزء لا يتجزأ من الجزيرة العربية ، وقد ذكرها المؤرخون والجغرافيون المسلمون كاحد اقاليم الجزيرة العربية مثل اليمن والحجاز واليمامة . وكان العرب يسمون الشاطئ الممتد بين البصرة وعُمان بالخط وهو يضاف احيانا فيسمى خط عبد القيس وبالتحديد فإن السهول الساحلية الممتدة من كاظمة شمالا حتى رأس مسندم جنوبا هي البحرين . ويضاف إليها بعض الجزر مثل جزيرة أوال وهو الاسم القديم للبحرين الحالية .

إن المصادر الجغرافية في العصر الوسيط لا تهتم كثيرا بتحديد الفواصل بين الاقاليم العربية ربما لكونها وطن واحد يسكنه شعب واحد هذا اضافة إلى التداخل البيئي بين هذه الاقاليم . إلا انه من الواضح اعتبار الدهناء الحد الفاصل بين البحرين واليمامة من جهة الغرب . ويعتبر ياقوت كاظمة الحد الفاصل بين البحرين والعراق وتسمى كاظمة البحور وهي كثيرة الابار العذبة والمراعي . وتعتبر جرفار الحد الفاصل بين البحرين وعمان . وتسمى أحيانا جلفار وقد اندثرت الان رغم وجود اطلالها . ويعدد ياقوت[2] . الاماكن والمدن التي تشتمل عليها البحرين وهي «الخط والقطيف والأرة وهجر وبينونة والزارة وجواثا والسابور

---

(1) التوم الطالب ، البحرين ، (رسالة ماجستير غير مطبوعة) ، جامعة عين شمس ، ص16 فما بعد- عبدالرحمن النجم ، البحرين من صدر الإسلام ، بغداد ، 1973 ، ص17 .

(2) ياقوت ، معجم البلدان ، ج2 ، ص 72-73 .

ودارين والغابة والصفا والمشقر» . واحيانا يطلق اسم هجر على البحرين من باب اطلاق الجزء على الكل[1] .

على ان مدينة هجر ما لبثت ان اندثرت في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي ، وقامت محلها مدينة الاحساء أو الحساء وخاصة بعد سيطرة القرامطة على البحرين . والملاحظ في تحديد البحرين اضطراب الروايات واختلاف الجغرافيين في ذلك ولعل أحد اسباب ذلك هو اعتمادهم على الروايات الشفوية والاخبار دون المشاهدة والمعاينة على الطبيعة . فليس كل من كتب في الجغرافية رحل إلى الاصقاع ليتثبت من صحة معلوماته!! هذا ولابد من الاشارة بأن إقليم البحرين يشتمل على عدة جزر ذكرتها مصادرنا وهي جزيرة أوال واسمها القديم ترم وجزيرة شفار وتاروت وحوارين وغيرها .

أما إقليم عُمان فان المعلومات المتوفرة لدينا في كتب الجغرافية الإسلامية لا تساعدنا على تحديد عُمان تحديداً دقيقا . على انها دون شك جزء من جزيرة العرب التي يعتبرها المقدسي وحدة بلدانية واحدة فيقول : «وهذه صورة جزيرة العرب وقد جعلناها اربع كور جليله وأربع نواح نفيسة والكور أولها الحجاز ثم اليمن ثم عُمان ثم هجر (البحرين) . . .[2] .

وإقليم عُمان كالبحرين لها أكثر من اسم يدل عليها من ذلك صحار وهي قصبة عُمان ولكنها تطلق أحيانا لتدل على كل عُمان[3] ، من باب تغلب الجزء على الكل كما هو الحال بالنسبة للبحرين وقصبتها هجر . لقد اشرنا سابقا بان جلفار هي الحد الفاصل بين البحرين وعُمان وهي لذلك حدود عُمان الشمالية . أما حدودها الجنوبية فان ابن الفقية يشير إلى ان مدينة مسقط تعتبر «آخر عُمان»[4] ، ولكن الاصطخرى يرى بان بلاد مهرة تعتبر من عُمان «وأما بلاد مهرة فان قصبتها تسمى الشحر . . . ويقال انها من عُمان»[5] ، وهذا يدل على ان إقليم عُمان كان يمتد إلى الشحر . وليس هناك مشكلة في تحديد الحدود الشرقية والغربية

---

(1) ياقوت ، معجم البلدان ، ج 5 ص 392 .

(2) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص 68 فما بعد .

(3) المصدر السابق ، ص 30 ولعمان اسم هو (مزون) والغبراء أو الغبيراء .

(4) ابن الفقية ، كتاب البلدان ، ص11 .

(5) الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص27 ، ياقوت ، ج4 ،ص 521 العاني المرجع السابق ، ص 27 .

لعُمان حيث إنها من جهة الشرق «منقطع التراب» لإتصالها بالبحر[1] ومن جهة الغرب يحدها البحر الرملي (الربع الخالي) .

وقد ذكر المقدسي عددا لابأس به من مدن عُمان لعل أولها صحار وهي قصبة عُمان «بلدة طريفة ممتدة على البحر ، دورهم من الآجر والساج شاهقة نفيسه والجامع على البحر له منارة حسنة طويلة في آخر الاسواق . ولهم آبار عذيبة وقناة حلوة وهم في سعة من العيش . دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ومؤونة اليمن . . .»[2] ويستمر المقدسي في ذكره لمدن عُمان فيشير إلى نزوة والسر وحفيت ودبا وسلوت والقلعة وضنكان ومسقط وتؤام وسمد وجلفار وغيرها . وينفرد المقدسي بالاشارة إلى ارتفاع نسبة الرطوبة في جو عُمان مع الحرارة الشديدة فيقول : «وينزل عليهم في الليالي شبه الدبس»[3] .

يضم هذا الكتاب بين دفتيه تمهيدا وخمسة فصول . أما التمهيد فقد نظر إلى حركة المد العربي وانتشار القبائل العربية في مناطق الخليج وسواحلة الشرقية والغربية قبل الإسلام . ويعالج الفصل الأول إقليم البحرين متبدئاً بانتشار الدعوة الإسلامية ثم استفحال حركات الخوارج في العصرالأموي وحركة القرامطة في العصر العباسي ، وماتلاهما من الإمارات السياسية القبلية في البحرين من عيونيه وعصفوريه وجروانيه وجبريه حتى مشارف العصر الحديث في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي .

وتطرق الفصل الثاني إلى إقليم عُمان بدءا باسلام عُمان وارسالها الوفود إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ومروراً بردة عُمان أو تمردها القبلي في أوائل العهد الراشدي ثم نشاط الدعوة الإباضية التي انتشرت مبادئها من البصرة بالعراق ولكنها ازدهرت في عُمان فأسست الامامة الإباضية التي مرت بمراحل وازمات عديدة حتى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلاد ، حيث اقتسمت السلطة والنفوذ في عُمان مراكز قوى عديدة شاركت الإباضية منها النبهانية والجبرية .

أما الفصل الثالث فعالج إقليم العراق وبالاخص (السواد) موضحا احواله منذ الفتح الإسلامي ثم استفحال حركات المعارضة المتعددة ضد الامويين من شيعية علوية أو

---

(1) الهمداني ، الاكليل ، ج2 ، ص 270

(2) المقدسي ، المصدر السابق ،ص 92-93 .

(3) المصدر السابق ،ص 95 .

خارجية أو قبلية أو اقليمية حتى غدا العراق مركزا للخلافة العباسية ، وبقي كذلك حتى سقوطها على يد المغول ، كما استعرض هذا الفصل الكيانات السياسية القبلية التي ظهرت في السواد خلال الفترة موضوعة البحث .

وتناول الفصل الرابع إقليم الاحواز منذ بداية الفتوح مروراً بالعصرين الاموي والعباسي ، حيث شهدت اضطرابات عديدة حتى تأسست امارة المشعشعين فيها من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي .

أما الفصل الخامس والاخير فقد استعرض دور أهل الخليج الحضاري من خلال المد الإسلامي سواء كان عن طريق الفتوحات أو الهجرات السلمية أو الاتصالات التجارية التي رافقتها عمليات انتشار للمسلمين واستقرارهم في مناطق عديدة في المشرق الإسلامي وجنوبي شرقي آسيا والساحل الشرقي لافريقيا . وقد نتج عن ذلك انتشار الإسلام واللغة العربية بين شعوب هذه الاقاليم ، كما ادى من جهة اخرى إلى ازدهار اقتصادي وحركة تجارية نشطه في العالم الإسلامي عامة ومنطقة الخليج بصفة خاصة .

أما مصادر الكتاب فهي متنوعة تشمل كتب التاريخ العام الحولي والجغرافية وكتب الفرق الإسلامية والتاريخ المّحلي ، والمصادر البلدانية ، والرحلات ، وكتب المال والإدارة وكتب التراجم ، واخيراً وليس اخراً المعاجم اللغوية . ويأتي العراق في مقدمة الاقاليم التي تكثر المصادر حوله ولعل السبب في ذلك يعود إلى تبوئه مكان الصدارة في العصر العباسي باعتباره الإقليم المركزي للدولة العربية الإسلامية ، والمكان الذي بدأ فيه التدوين التاريخي المنظم في الكوفة والبصرة ثم في بغداد ، هذا بالاضافة إلى كونه مركزا للفعاليات السياسية والعسكرية والعلمية منذ مطلع العصر الإسلامي .

ويأتي إقليم عُمان بعد العراق في كثرة مصادره الأصلية حيث كانت عُمان متصلة بالبصرة وهي من اهم المراكز الفكرية في العهود الإسلامية الأولى . ويرى ابن النديم ان موارد التاريخ العماني كثيرة ولكنه يعترف بأنها مستورة ولا سبيل إلى معرفتها كلها ، لان الدعوة الإباضية كانت حركة سرية ، كما تعرضت المصادر إلى التلف والدمار بسبب الحروب الأهلية في عُمان وكذلك بسبب الفيضانات والاهمال ، ومع ذلك كله فلا يزال هناك مجموعة كبيرة من المصادر العمانية قسم منها ، تاريخيه واغلبها في العقيدة والفقه والتفسير على المذهب الاباضي . فهناك مصادر في السير العمانية القديمة وهي مذكرات سياسية عقائدية كتبها مؤلفون عمانيون من علماء وفقهاء وساسة وتعد من اقدم ما وصلنا

عن تاريخ عمان ، وهناك كتب النسب وفيها الكثير من المعلومات التاريخية المكتوبه في إطار النسب ولعل أهمها كتاب أنساب العرب للعوتبي الصحاري ومؤلفات ابن رزيق العديدة ، ولا نعدو الصواب إذا أكدنا على الأهمية التاريخية لكتب التاريخ المحليه فقد ركزت على الأحداث في عُمان وفصلت فيها تفصيلاً واضحا واهمها كتاب كشف الغمه للأزكوي ، كما أننا لا نستغني عن المصادر الإباضية غير العمانية وخاصة كتب الطبقات التي ألفّها المغاربة الاباضيون مثل الدرجيني والبرادي .

أما إقليم البحرين في العهود الإسلامية الأولى فتنطبق عليه المصادر الأصلية نفسها وقد أغنانا الدكتور عبداللطيف الحميدان في بحوثه القيمة عن الإمارات الخليجية عن تكرار ذكر المصادر التاريخية والتراجم وكتب الجغرافيا . ولابد لنا أن نؤكد هنا على أهمية المعلومات التي أوردها البلدانيون والرحالة العرب والمسلمون عن تاريخ الخليج وعلاقاته البشرية والتجارية مع شرقي إفريقيا وجنوبي شرقي آسيا .

كما أشار الدكتور صالح العلي إلى المصادر الرئيسية فيما يختص بالأحواز في عهودها الإسلامية الأولى من خلال بحثه المشار إليه في قائمة المراجع .

لقد حاولت متابعة تاريخ الأقاليم العربية الخليجية عبر العهود الإسلامية الأولى وعنيت بشكل خاص بالجانب السياسي ، ولاشك فإن الدراسات الحديثة عن منطقة الخليج في مطالع العصر الإسلامي بدأت بالظهور باضطراد وقد استفدت من هذه الدراسات سواء كانت كتبا أو أطروحات أو بحوث ، وأخص منها بالذكر «الحركة الإباضية في المشرق العربي» لمؤلفها مهدي طالب هاشم وهي اطروحة ماجستير كتبت تحت اشرافي وقد اعتمدت عليها نصا فيما يتعلق بتطور الإباضية في عُمان حتى نهايات القرن 3هـ/ 9 الميلادي . كما استفدت مما كتبه عبدالرحمن النجم وسامي ابو داود وغيرهم وهي كذلك أطروحات جامعية إما كتبت تحت إشرافي أو ناقشتها وأجزتها .

بقي أن أشير إلى أن هذا الكتاب يُعد كتابا منهجياً اكاديمياً ومواده مختارة ومركزة وهي حصيلة تدريس الموضوع في بعض الجامعات الخليجية ومن هنا جاء اختيار عنوانه (الوسيط في تاريخ الخليج العربي في العصر الإسلامي الوسيط) . وتعود فكرة الكتاب إلى عقد الثمانينات في القرن العشرين حيث كنت عضوا تدريسيا بقسم التاريخ في جامعة الإمارات العربية المتحدة وقد أُقترح في حينه تأليف كتاب منهجي عن تاريخ الخليج في مطالع العصر الإسلامي بسبب قلة الدراسات عن هذه الفترة ، هدفه زيادة معرفة الطالب

الجامعي والمثقف العام بتاريخ الخليج مؤكدا هويته العربية- الإسلامية ، فكان الكتاب الموسوم (تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الأولى) الذي نشر سنة 1983م . واعيد طبعه بعد تنقيحه في بغداد سنة 1986م واعتمد كتابا منهجيا في جامعة بغداد كذلك . كما استفدت من كتبي وأبحاثي المنشورة سابقاً بعد إجراء تعديلات وتنقيحات عليها ودمجتها كلاً أو بتصرف في هذا الكتاب بعد الحصول على الموافقات المناسبة على ذلك .

أما الكتاب الذي بين أيدينا فيعد طبعة مزيدة ومنقحة حيث أدخلت تعديلات في المنهج وطريقة تناول الموضوعات ، واضافات اقتضتها ظهور مصادر محققة جديدة ومراجع وبحوث حديثه ، وأعيد النظر في الآراء والمعلومات التي طرحت في النسختين اللتين نشرتا سابقا . ويطيب لي أن أنهي مقدمتي بآخر فقرة سطرها ابن سيدة في مقدمة كتابه المشهور (المخصص) حيث يقول : «ومن هنا يجب على من أنصف ان لا يعيب علينا أمرا حتى يعرف سره ، فلكل علة سبب ولا يخفى على من لطف الفطنَ ، وكرر البصر ، واطرح الضجر . والتوفيق للصواب في كل امر من بارئنا جل وعز ، اليه أرغب فيه وبه تعالى استعين ، لا غنى لأحد عنه في ميّسر الأمور ولا في مَعَسّرها ، كما أبرأ إليه من الحول والقوة إلا به ، وصلى الله على سيدنا محمد واله وسلم كثيراً» .

المؤلف

المفرق 2000



التمهيد

إنتشار القبائل العربية
في الخليج قبل الإسلام

«إن العرب هم الذين يمتلكون جميع السواحل البحرية للقسم الشرقي من الخليج العربي وإنه يستحيل تحديد الوقت الذي أنشأ فيه العرب موطنهم على الساحل».

الرحالة نيبور (شاهد عيان)

سنة 1185 هـ سنة1772م



التمهيد

منطقة الخليج أرض سكنتها قبائل عربية قبل الإسلام ولم ينفك الانتشار إليها من الوطن الأم -الجزيرة العربية- مستمرا متصلا . وتدل رواياتنا التاريخية على كثرة السكان في هذا الاقليم وتعدد المدن والقرى وتقاربها . ويبدو ان توفر المياه العذبة والأرض الخصبة في الخليج اضافة إلى التجارة البحرية كانت من العوامل التي تجذب القبائل إلى هذا الاقليم .

ويرجع استيطان ا لعرب في منطقة الخليج إلى عهود سحيقة في القدم حيث تشير روايات تاريخية إلى نزوح العمالقة أولاد عملاق بن لاوذ واولاد طسم بن لاوذ إلى البحرين واستقرارهم هناك[1] . والمعروف ان العمالقة وطسم من العرب العاربة (اليمانية) وجاء بعدهم العرب المستعربة (العدنانية) حيث نزحت قضاعة أو بعض بطونها إلى البحرين[2] واستمر الانتشار متصلا في العصور التاريخية التالية كما سنرى .

انتشار العرب بالعراق

للعرب صلات وثيقة بالعراق قبل الإسلام بمدة طويلة . فقد كانوا مستقرين في اطراف منه كالحيرة وعين التمر والانبار . كما كانت قبائل عربية اخرى تنتقل في اطرافه وبواديه مثل بادية الكوفة وبادية البصرة . وكان العرب يسمون سكان العراق المستقرين في قرى السواد والمشتغلين بالزراعة (النبط) لانهم على حد قول الخطيب البغدادي هم الذين «استنبطوا الأرض وعمروا السواد وحفروا الانهار العظام فيه»[3] .كما وان ابن وحشية يستعمل اصطلاح النبط للدلالة على سكان العراق القدماء من الساميين عموما بصرف النظر عن انتمائهم إلى اصول متعددة[4] .

---

(1) ياقوت ، معجم البدان ، ج1 ، ص 41 .

(2) ابن عبد البر ، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ، ص 19- البكري ، معجم ما استعجم ، ج1 ، ص 21 .

(3) الخطيب ، تاريخ بغداد ، ج1 ، ص 57 .

(4) جمال جودة ، العرب والأرض في العراق ، ص 59 .

ولقد كان التواصل مستمرا بين عرب الجزيرة العربية وعرب العراق يشتد حينا ويخفت حينا آخر لاسباب سياسية تتعلق بالوضع السياسي في العراق ولاسباب اقتصادية أو قبلية أو غيرها . وقد وردت اشارات إلى هجرات قبلية عربية إلى العراق في حوالي 520 ق .م . بسبب التخلخل السياسي فخرجت الازد وقضاعة إلى العراق واستطاعوا أن يتغلبوا على بعض النواحي ويحكموها .

وكان في اطراف السواد مجموعة من القبائل العربية منها : إياد وبكر بن وائل وتميم وتغلب والنمر وكلب وقضاعة وأسد .

أما إياد فقد نزلت العراق في بداية القرن الثالث الميلادي واستقرت في الريف بمنطقة الحيرة غربي الفرات ما بين كربلاء وبادية البصرة . وقد تعرضت هذه القبيلة لهجمات شديدة من قبل الساسانيين لاجلائهم عن المنطقة . اما بكر بن وائل فنزلت كاظمة وذي قار وانتشرت ما بين الحيرة والانبار . ويشير الهمداني إلى وجودها كذلك بالبحرين واليمامة . ويرد ذكر بكر بن وائل لأول مرة في القرن الرابع الميلادي إذ كانوا يقومون بغارات على السواد مع تميم وعبد القيس . وحققت بكر انتصارها الرائع على الفرس الساسانيين في (معركة ذي قار) حوالي سنة 605م [1] . اما قبيلة تميم فانتشرت في بادية البصرة ولها بطون في بادية الكوفة وتعود صلتها بالعراق إلى القرن السادس الميلادي . وقد اشرنا سابقا إلى ان قضاعة وكلب نزلتا العراق في القرن الثالث قبل الميلاد واستوطنتا ما بين الانبار وتكريت . وجاء ذكر بني اسد في بادية الكوفة من العراق .

ويبدو من ذلك أن انتشار القبائل العربية إلى العراق اشتد في فترة الضعف السياسي وقبيل قيام الدولة الساسانية سنة 226م . ولهذا فقد جعلت هذه الدولة من اهم أهدافها صد الاندفاع العربي نحو العراق بإقامة دويلة حاجزة هي مملكة الحيرة للوقوف امام ضغط القبائل العربية . وقد قامت مملكة الحيرة بهذا الدور إلى حين حيث إنها في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي لم تعد قادرة على ايقاف المد العربي باتجاه السواد .وكانت الحيرة مدينة عربية بالعراق فإن غالبية سكانها من قبائل جعفي وطي وكلب وتميم والازد ولخم وغسان وكندة وبني الحارث وغيرهم . ويلاحظ أن جلهم من اليمن ما عدا تميم . وكانت تنوخ تسكن خارج الحيرة بينها وبين الانبار . كما التحق بها مجموعات قبلية أخرى سميت بالأحلاف[2] .

---

(1) البلاذري ، انساب ، القسم الثاني ، ص 1038- اليعقوبي ، تاريخ ، ج1 ، ص 212 فما بعد .

(2) جودة المرجع السابق ، ص62 فما بعد

وحين غزا الساسانيون العراق ضموه إلى امبراطوريتهم . وقد استمرت السيطرة الاجنبية الفارسية على العراق أكثر من أربعة قرون كان الفرس يشكلون الطبقة الحاكمة فيه واستقروا بالمدائن شرقي دجلة . وكان لديهم مسالح على حدود السواد الغربية في عيون الطف والابلة والحيرة والعذيب والقادسية وعين التمر والأنبار وغيرها . ولابد من الاشارة إلى ان المنطقة ما بين دجلة والفرت (السواد) تكاد تخلو من الوجود الفارسي . ولذلك فالفرس كانوا يدركون ان العراق غريب عليهم وأنهم محتلون مستغلون له فلم يعتبروه منطقة استيطان أو استقرار لهم[1] .كما وان الفرس الساسانيين أدركوا خطورة التواصل بين عرب الجزيرة و عرب العراق فقرروا منذ قيامهم انشاء حواجز بين أرض السواد العراقية وبين أرض الجزيرة العربية . فقد اضطر سابور الساساني (310-379) إلى حفر خندق من هيت إلى كاظمة على الخليج العربي لمنع القبائل من الاتصال بسواد العراق . هذا بالإضافة إلى جملة من الاجراءات التعسفية الأخرى مثل الغارات على القبائل وردم العيون والآبار . وما إقامة مملكة الحيرة الا مظهراً من مظاهر هذه السياسة الساسانية إلا ان الحيرة على العكس غدت نقطة جذب للقبائل للاستقرار بها وحولها بدل ما كان يريده الساسانيون منها وهي ان تكون نقطة طرد للعرب . وهكذا استمر التواصل بين الجزيرة والعراق واستمر معه التدفق العربي إلى العراق حتى كان المد العربي الجديد مع الفتح الإسلامي سنة 637م 16هـ .

انتشار العرب بالبحرين

لعل أقدم القبائل العربية التي استوطنت البحرين بعد العرب البائدة هي قبيلة تنوخ . ويشير ابن الاثير إلى أن قضاعة تحالفت مع بطون من نمار بن لخم ودعوا إليهم بطن من الازد فتحالفوا جميعهم إلى التنوخ ، أى إلى الاستقرار والتعاهد فسميوا تنوخ ولكنهم مالبثوا أن هاجروا إلى سواد العراق[2] .

ويحدثنا الهمداني[3] عن قبائل الأزد التي تعتبر من أقدام القبائل التي استوطنت البحرين ويرى انها هاجرت من اليمن بعد انهيار سد مأرب وأنهم ساروا باتجاه عمان ومن ثم تفرقوا نحو البحرين . وكانت مساكنهم في جزيرة أوال ولعبوا دوراً سياسياً مهما فيها .

(1) نفس المرجع السابق- شكري فيصل ، حركة الفتح الإسلامي ، ص 62 فمابعد .
(2) التوم الطالب ، البحرين ، اطروحة ماجستير غير مطبوعة ، ص 61 .
(3) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 209 .

وكانت إياد تسكن تهامة ولكن المنازعات التي دارت بينها وبين ربيعة ومضر اضطرتها إلى الهجرة إلى البحرين . ولكنها عادت فاصطدمت بعبد القيس التي اسطاعت ان تزيحها من البحرين . وتعتبر بكر بن وائل من القبائل المهمة التي سكنت البحرين ذلك لأن أوسع هجراتهم شملت البحرين وأطراف سواد العراق(1) .

اما تميم فهي بطون كثيرة سكنت بعضها البحرين(2) واستطابت الإقامة فيها ولهذا نراها منتشرة في ربوعها . وتتمثل في تميم قيم البداوة في التأكيد على حريتها وعدم الخضوع للفرس بل كانوا ينتهزون أية فرصة للهجوم على المراكز الفارسية والقوافل التجارية التابعة لهم . وكان يوم الصفقة قرب حصن المشقر بين تميم والفرس شبيها بيوم ذي قار .

وقد جاءت عبد القيس إلى البحرين من تهامة وتغلبت على إياد والأزد . وانتشرت بطون عبد القيس في أكثر أطراف البحرين ونزلوا أهم مدنها وساحلها . وتحفل مصادرنا بذكر العديد من القرى والاماكن التابعة لعبد القيس بالبحرين ولذلك عد بعض المؤرخين البحرين لعبد القيس . وقد وفدوا على الرسول ﷺ ينتمون إلى عبد القيس . وكان العرب يسمون الشاطئ الممتد من البصرة إلى عُمان بالخط أو خط عبدالقيس . ووصفهم ابن قتيبة بانهم (عبدالقيس) أهل البحرين .

وسكن البحرين عدا العرب وهم الغالبية العظمى من السكان ، عناصر أخرى غريبة على المنقطة منهم الزط وتتفق غالبية المصادر على أنهم من السند من سلالة هندية استعملها الفرس في الجيش الساساني . وقد انضموا إلى المرتدين بالبحرين ثم عادوا فانخرطوا في جيش المسلمين أثناء الفتوحات . ومن العناصر السيابجة ويشتركون مع الزط في أصلهم ، كما وأن الفرس استخدموهم في الحرب وفي الأسطول الساساني ثم استخدمهم المسلمون في أسطولهم في الخليج العربي .

---

(1) الهمداني ، المصدر السابق ، ص 169 ، عبد الرحمن ، البحرين ، ص42 .

(2) البكري ، معجم ما استعجم ، ص 87 فما بعد- عبدالرحمن النجم ، البحرين ، ص 43 .

انتشار العربي بعُمان

سكن عُمان العديد من قبائل العرب البائدة مثل عاد التي كانت تسكن الاحقاف . وهناك إشارات إلى بطون أخرى من العرب البائدة مثل طسم وجديس(1) . على ان رواياتنا التاريخية الموثوقة تشير إلى إنتشار العديد من العرب العاربة إلى عُمان من اليمن بعد خراب سد مأرب في منتصف القرن السادس الميلادي(2) .

والمعروف أن غالبية القبائل المهاجرة كانت ازدية وكانت أولى هذه الهجرات بزعامة مالك بن فهم . يقول العوتبي :(3)

«أول من لحق بعُمان من الازد مالك بن فهم بن حاتم . . . وسار مالك حتى دخل عُمان بعسكر جم من الخيل والعدة والعدد فوجد بها الفرس . . . فاعتزل مالك بمن معه إلى جانب قلهات من شط عُمان ليكون ذلك أمنع لهم» .

وقد تمتعت هذه القبائل باستقلالها في داخل عُمان بعيداً عن نفوذ الفرس المحتلين الذين كانوا يسيطرون على الساحل وإلى ذلك يشير العوتبي والأزكوي :

«فكانت الفرس في السواحل وشطوط البحر والأزد ملوكا في البادية والجبال وأطراف عُمان وكل الأمور منوطة بهم» .

وكانت توأم مركز القبائل العربية ولها منفذ على البحر هو ميناء دبا ولذا عرف العرب العمانيون البحر منذ أقدم العصور وغدوا أمهر ملاحي الخليج العربي . أما مقر الحاكم الأجنبي الفارسي فكان الرستاق ومعه قوة عسكرية ساسانية مركزها صحار على الساحل .

تؤكد روايات تاريخية عديدة إلى أن مالك بن فهم الأزدي حقق عدة انتصارات على الفرس وأنه أجلاهم منها وسمح لهم بمغادرة عُمان إلى بلادهم بأمان . ولكن يبدو ان الفرس انسحبوا من مراكزهم الداخلية وظلوا محتفظين ببعض مراكزهم على الساحل العُماني وبموضع قدم على مساحات من سهول عُمان .

---

(1) كاشف ، عُمان في فجر الإسلام ، ص 13 .

(2) العاني ، المرجع السابق ، ص 43 .

(3) العوتبي ، انساب العرب ، ورقة 254أ- الازكوي ، كشف الغمة ورقة18 أ .

ثم توالت الهجرات الأزدية مثل الحدان والعتيك بعد أن تمكن مالك بن فهم وبسط سيطرته حتى الاحساء والبحرين شمالا . ثم دخلت قبائل غير أزدية مثل بني سامة بن لؤى إلى عُمان ، وهي من القبائل العدنانية التي غدت حليفة للأزد بعُمان[1] .

وقد انتقل بعض قبائل عُمان ، كما حدث في البحرين كذلك ، إلى الساحل الشرقي للخليج العربي في تلك الفترة المبكرة مثل بني الجلندي بن كركر وبني سليمة بن مالك بن فهم ووطدوا نفوذهم هناك قبل الإسلام .

ولم يبق نفوذ بني مالك بن فهم على ما هو عليه في عُمان بل انتقلت السلطة إلى بني معولة بن شمس وينتمي آل الجلندي بن المستكبر إلى بني معولة .

وبسبب هذا الانتشار الواسع للازد في عُمان يقول البلاذري : «وكان الأغلبيين على عُمان الازد»[2] . ويشار بأن الازد هي التي سمت عُمان عماناً تيمنا بواد لهم باليمن حمل نفس الاسم . وكانت تسمى سابقا المزون . كما كان لها اسم آخر قبيل الإسلام وبعده بقليل وهو «الغبراء» . ومثلما يرتبط تاريخ بني بكر بالعراق بيوم ذي قار ، وتاريخ بني تميم بالبحرين بيوم الصفقة ، في كفاحهما ضد الفرس المحتلين فان تاريخ ازد عُمان يرتبط بيوم قلهات الذي وقع في النصف الأول من القرن السادس الميلادي حين اصطدم مالك بن فهم الأزدي بالفرس وانتصر عليهم واضطرهم إلى التراجع نحو الساحل ثم ألحق انتصاره هذا بانتصار جديد انتهى بطرد غالبيتهم من عُمان .

وقد توالت هجرات القبائل العربية إلى عُمان في الفترات التالية مثل بني جرم القضاعيين وبطون من عبد القيس كما كان لهذه القبائل دورها في الفتوحات الإسلامية فيما بعد[3] . كما وأن بعضهما انتقل إلى العراق حيث أن تنقلات القبائل في الخليج كانت تتميز بالسيولة والمرونة .

انتشار العرب في الأحواز

إن إقليم الأحواز كغيره من الاقاليم العربية الشرقية مثل العراق والبحرين وعُمان يعود استقرار القبائل العربية فيه إلى فترة ترجع إلى عصور ما قبل الإسلام[4] . ثم في هجرات

(1) العاني ، المرجع السابق ، ص 47 .

(2) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص 76 .

(3) البكري ، معجم ما استعجم ، ج1 ، ص 48 .

(4) للتفصيل راجع ، د . نزار الحديثي ، اليمن ودور أهلها في الفتوحات ، بيروت ، 1979 - علي الحلو ، الاحواز ، بغداد 1965 .

متتالية بعد الفتوحات الإسلامية . وأصبحوا سادة الخليج براً وبحراً .وفي الصدد يذكر الرحالة نيبور الذي زار الاحواز سنة 1772م : «إن العرب هم الذين يمتلكون جميع السواحل البحرية للقسم الشرقي من الخليج العربي وانه يستحيل تحديد الوقت الذي انشأ فيه العرب موطنهم على الساحل . وقد جاء في السير القديمة ان العرب انشأوا هذا الموطن منذ عصور سلفت . . . في عهد أول ملوك الفرس في القرن السادس قبل الميلاد تقريبا . وإن ملوك الفرس لم يتمكنوا قط ان يكونوا اسياد ساحل البحر»(1) .

ويؤكد برسي كوكس ذلك فيقول : «إن ليس هناك شيء يوضح تأثير العوامل الطبيعية على ميول الناس احسن من النفور الذي يظهره الفرس للبحر الذي فصلهم عنه حواجز جبلية شاهقة . وعلى هذا الأساس تحمّل ملوك الفرس صابرين ان تبقى قيادته للعرب . . .»(2) .

إن هذه الشواهد ما هي في الواقع إلا انعكاسات لحالة الساحل الشرقي للخليج العربي منذ أزمنة قديمة حيث هاجرت إليه واستوطنته قبائل عربية عديدة استمر اتصالها بحراً وبراً بالقبائل الأخرى في السواحل الشمالية والغربية للخليج . وقد نزحت هذه القبائل قبل الاسلام ثم توالت الهجرات بعد الاسلام ولذلك يقال بأن ليس هناك من عشيرة في الاحواز الا ولها أصل في العراق أو البحرين أو عُمان .

ويعتبر بنو حنظلة من اقدم القبائل التي استقرت في الاحواز قبل الإسلام ثم نزحت قبائل يمانية من مالك وتميم يطلق عليها (بنو العم) ثم هاجرت الصقور ثم بنو كعب وبطونها العديدة . ثم بنو كلب وبنو نمر وبنو أسد .

واستمرت الهجرات في العصور التالية من بني طرف وتميم والاحلاف وغيرها(3) . وقد وقعت الاحواز تحت سيطرة الساسانيين سنة 241م . ولكن سيطرتها ظلت اسمية بحيث بقيت القبائل العربية تتمتع بحريتها التامة وتجارتها البحرية . كما وان بعض شيوخ القبائل العربية في بلاد فارس عموما تلقب بلقب «ملك» مما يدل على نفوذهم في المناطق التي يحكمونها . وحين جاء المد الإسلامي كانت بعض هذه القبائل خير عون للمسلمين على الفتح .

---

(1) قدري قلعجي ، الخليج العربي ، ص11 .

(2) المرجع السابق .

(3) العاني ، المرجع السابق ، ص 33 ، فما بعد .

إن هذه الأيام الثلاثة يوم ذي قار ويوم الصفقة ويوم قلهات تعتبر أيام التحولات التاريخية في تاريخ الخليج العربي فقد جمعت بين عرب العراق والبحرين وعُمان نحو هدف واحد مشترك ألا وهو إنهاء نفوذ الساسانيين واعادة الأرض إلى ابنائها .

ثم إن ما حققته القبائل العربية من انتصارات أعطى زخما قويا لمعنويات العرب وثقتهم بقدراتهم وقد تردد صدى هذه «الأيام العربية الخالدة»[1] في انحاء الجزيرة العربية ، وكانت البادرة الأولى للفتوحات الإسلامية الكبرى .

والمعروف ان لعُمان علاقة وثيقة بالساحل الشرقي للخليج العربي ذلك ان العديد من القبائل العربية المهاجرة إلى الساحل الشرقي جاءت من عُمان في مراحل تاريخية متعاقبة[2] . ويرجع الاصمعي انتقال ازد عُمان إلى الساحل الشرقي بعد خراب سد مأرب في حوالي منتصف القرن السادس الميلادي . أما الطبري فيرى بأن عدداً من قبائل العرب من البحرين بلاد عبدالقيس هاجروا إلى الساحل الشرقي في القرن الرابع الميلادي .

إن الوجود العربي في الساحل الشرقي للخليج امر تؤيده المصادر وقد اعتاد عليه العرب منذ أزمنة قديمة ثم ان الفرس الساسانيين اتبعوا سياسة تهجير القبائل العربية بالقوة من البحرين وعُمان إلى أقاليم فارسية وذلك من أجل الحد من نشاطهم البحري وسيطرتهم على الملاحة في الخليج ، فقد هاجم سابور الثاني السواحل الغربية «واسكن بكر بن وائل كرمان . . . ومن كان منهم من بني حنظلة بالرميلة من الاهواز . . . واسكن قبائل تغلب وعبد القيس وبكر بن وائل كرمان وتوج والاهواز» . ولكن سياسة الساسانيين اصبح لها مردوداً عكسياً لان استيطان هذه القبائل شكّل أساسا لهجرات عربية اخرى الي اقاليم كرمان وفارس ومكران . وكانت هذه الهجرات متصلة وذات سمة سلمية .

ومن برز الهجرات العربية إلى الساحل الشرقي للخليج هي هجرة آل عمارة من الازد وهم أولاد الجلندي الذين سيطروا على مساحة واسعة من ساحل الخليج الشرقي قبل الإسلام واستمر نفوذهم حتى القرن الرابع الهجري . وكانوا يحمون الخليج ويؤمنون طرق الملاحة فيه ويفرضون ضريبة على سفنه .

---

(1) يسميها قدري قلعجي (ثلاثة أيام عربية خالدة على الخليج) راجع : الخليج العربي ص59 .

(2) حول هذا الموضوع راجع الفصل السادس من كتاب العاني ، عُمان في العصور الإسلامية الأولى ، ص93 ،قارن نزار الحديثي ، الحدود الشرقية للوطن العربي ، ص21-22 .

ومن الازد الذين انتقلوا إلى الساحل الشرقي وسكنوا فارس بنو قيس وآل الصفاق الذين اشار ابن دريد ان لهم عددا ورياسة وشرفاً بفارس ، كما انتقل إلى فارس من عُمان بطون من بني أسامة بن لؤي . وسكن بنو سليمة كرمان قبل الإسلام . واستمرت هجرات القبائل إلى الساحل الشرقي خلال العصور الإسلامية وكلما زاد اضطراب عُمان أو البحرين زادت الهجرة .

وقد تلقب بعض شيوخ العرب في فارس بلقب (الملك) فكان آل ابي زهير من بني سامة «ملوك سيف بني زهير ولهم منعة وعدد» ولا شك فإن هذا اللقب يدل على النفوذ الذي تمتع به العرب في السواحل الشرقية للخليج قبل الإسلام وبعده .

الفصل الأول

الخليج العربي في العصور الإسلامية:

(1) البحرين

«يضم اقليم البحرين في عصور الخلافة العربية الإسلامية إداريا كل من: الاحساء والقطيف والبحرين وقطر والإمارات العربية المتحدة في الوقت الحاضر».



استطاع الرسول الكريم محمد ﷺ أن يؤسس الدولة العربية الإسلامية في المدينة وأن يضع القواعد الاساسية لتنظيمها . وكان صلح الحديبية بينه وبين قريش سنة 7هـ / سنة 628م ، بمثابة الهدنة التي فسحت المجال أمامه للدعوة للدين الجديد خارج الحجاز بل وخارج جزيرة العرب . فأرسل إلى زعماء العرب في أطراف الجزيرة العربية وإلى ملوك الاقطار التي حولها .

الدعوة إلى الإسلام في البحرين

تشير العديد من رواياتنا التاريخية إلى أن البحرين تقبلت الإسلام صلحا ودون قتال . ويبدو ان بعض زعماء البحرين وعلى رأسهم الاشج المنذر بن عايذ وعمرو بن عبدالقيس اسلما في فترة متقدمة ولكنهما اخفيا إسلامهما الا لبعض المقربين لهما[1] . ثم ارسل الرسول ﷺ إلى أهل البحرين بعد فتح مكة العلاء بن الحضرمي ومعه رسالة إلى المنذر بن ساوى . يدعوه إلى الإسلام فأسلم واسلم معه بعض أهل هجر .

ورغم اختلاف الروايات في السنة التي ذهب بها العلاء إلى البحرين فالراجح انها كانت سنة 8هـ ، سنة 629م ، أي بعد الفتح حين قويت الدعوة وضعفت شوكة قريش . وقد فوض الرسول ﷺ العلاء على الصدقه وجبايتها وسبل فرضها وفي البلاذري عن العلاء قال :

«بعثني رسول (الله) إلى البحرين . . . وكنت آتي الحائط بين الاخوة قد اسلم بعضهم فأخذ من المسلم العشر ومن المشرك الخراج»[2] .

ويتبين من هذا النص أن البحرين دخلت الإسلام صلحا لا عنوة فكان خراجها مقاسمة للمحاصيل مثل الحبوب والثمر ، وأخذت الجزية من غير المسلمين كالمجوس فكانت جزية كل حالم ديناراً .

وعلى الرغم من أن بعض المؤرخين المحدثين يرى في الروايات التي تظهر أن إسلام البحرين كان سهلا ميسورا وأنها روايات مختلفة أو مبالغ فيها[3] .

---

(1) الاحسائي ، تحفه المستفيد ، ج1 ، ص 60- التوم الطالب ، المرجع السابق ، ص 120 .

(2) البلاذري ، فتوح البلدان ج3 ص 109 .

(3) راجع اراء المستشرقين في العاني ، مرجع سابق ، ص 102-103 .

إلا أن الواضح هو أن تلك ترقب أهل البحرين لدعوة نبوية جديدة[1] كان شائعا في تلك الفترة كما وان المنذر بن ساوى كان يخشى على سلطانه من الفرس فرأى- اضافة إلى ايمانه بالدين الجديد- إن ارتباطه بالمدينة سيعطيه ظمانة جديدة وقوة مساندة تجاه الفرس . وبالفعل فقد قوى الإسلام من مركز المنذر وبقى حاكما للبحرين حتى وفاته سنة 11 هـ/ 632 م ، هذا اضافة إلى ان اتصالات أهل البحرين بالحجاز كانت قوية في تلك الفترة بسبب التجارة المزدهرة ، فكان ذلك عاملا آخر في التفاهم الفكري بين الاقليمين .

كما اوفدت البحرين وفادتين على الرسول ﷺ احداهما كانت من قبل الاشج المنذر بن عايذ العبدي من عبدالقيس وقد جاء إلى المدينة سنة 8 هـ /629م مع وفد معه وتعرف على تعاليم الإسلام ولكنه كتم إسلامه في انتظار الوقت المناسب . و يرى عدد من المؤرخين المحدثين صعوبة تحديد عدد اعضاء الوفد لكثرة الروايات واختلافها ولكنهم يتفقون على ان عددهم حوالي العشرين رجلا أو أكثر قليلا . وقد عاد الوفد ومعه العلاء بن الحضرمي يحمل رسالة إلى حاكم البحرين المنذر بن ساوى .

أما الوفادة الثانية فكانت في السنة العاشرة أوالتاسعة للهجرة وبزعامة الجارود بشر بن حنش العبدي وبعد عودته إلى البحرين عمل على نشر الإسلام بثقة ويقين ، كما وأنه دافع عن الإسلام أثناء الردة في البحرين واستطاع أن يقنع قبيلته عبدالقيس بالتمسك بالإسلام ضد الفرس والقبائل العربية المرتدة وكان السند القوي للعلاء بن الحضرمي[2]

وتشير مصادرنا التاريخية[3] إلى ورود عدد من الكتب التي ارسلها الرسول ﷺ إلى أهل البحرين وزعمائها وأن إرسال عدة كتب إلى أهل البحرين يدل على مدى الانقسامات بينهم عند ظهور الإسلام وأنهم لم يكونوا يداً واحدة تحت زعامة واحدة .

وبعد وفاة الرسول ﷺ كان حاكم البحرين المنذر بن ساوى العبدي وكان يشاطره النفوذ في البحرين زعيمان آخران من عبدالقيس هما الجارود بن المعلى والحطم بن ضبيعة العبدي . وقد آلت الزعامة بعد وفاة المنذر إلى الجارود الذي كان نفوذه قويا على عبدالقيس . اما الحطم العبدي فقد قاد المرتدين[4] ولكن الجارود فوت عليه الفرصة حين

---

(1) الاحسائي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 60 .
(2) راجع العاني ، ص103- التوم الطالب ، مرجع السابق ، ص 131 .
(3) ابن سعد ، طبقات ج1 قسم الثاني ، ص19 . راجع (الملحق الأول) من كتاب العاني .
(4) الطبري ، تاريخ ، ج 3 ، ص 302 .

نجح في ضم عبدالقيس إلى لواء الإسلام مما اضطر الحطم المرتد إلى الاستنجاد ببكر بن وائل وربيعة وعناصر غير عربية أخرى مثل الفرس والزط والسيابجه . ورغم استفحال الردة بالبحرين فقد صمد الجارود منتظرا المدد من المسلمين بقيادة العلاء بن الحضرمي . وقد احتل المرتدون مدينة هجر والقطيف ودارين وحاصر المرتدون المسلمين في قرية جواثي وهي من قرى المنذر بن ساوى .

أمام هذا الوضع المتأزم قرر الخليفة أبو بكر الصديق ﵁ ارسال جيش جديد بقيادة العلاء بن الحضرمي الذي كان عاملا على البحرين في عهد الرسول ﷺ وذو خبرة بأحوالها .

وكان على الجيش الإسلامي القادم من الحجاز إلى البحرين ان يمر بديار تميم ثم بديار بني حنيفة في اليمامة . ورغم تردد بنو تميم في البداية الا انهم انضموا في آخر المطاف إلى الجيش الإسلامي وخاصة بطون عمرة وسعد والرباب من قبيلة تميم . كما انضم إلى جيش العلاء جمع كبير من بني حنيفة بقيادة ثمامة بن آثال الحنفي .

كما فعل خالد بن الوليد حين قطع بادية الشام بجيش المسلمين قام العلاء بن الحضرمي بقطع صحراء الدهناء التي تقع بين اليمامة والبحرين ثم اتجهوا نحو هجر حيث حاصرها الجيش الإسلامي من جميع الجهات . وكان في هجر رأس المرتدين الحطم بن ضبيعة ومما زاد في قوة الحصار وصول الجارود بن المعلى ومن معه من عبد القيس لمساندة العلاء[1] .

وطال امد الحصار حتى زاد على الشهر ثم أمر العلاء جنده بالهجوم فكانت معركة حامية انتصر فيها المسلمون وقتل زعيم المرتدين الحطم بن ضبيعة كما قتل من المرتدين العدد الكبير . وقد استشهد بعد معركة هجر سيد بني حنيفة ثمامة الحنفي غيلة وغدراً من قبل بعض الاعراب ثأرا لمقتل زعيمهم الحطم . وكان لثمامة سجلاً حافلاً بالمواقف المجيدة ضد المرتدين في الخليج من بني حنيفة وبكر وغيرهم .

وكتب العلاء بهزيمة المرتدين في هجر إلى ابي بكر الصديق فقال :

«اما بعد فإن الله تبارك وتعالى اسمه سلب عدونا عقولهم وأذهب ريحهم بشراب أصابوه من النهار فاقتحمنا عليهم خندقهم فوجدناهم سكارى فقتلناهم إلا الشريد . وقد قتل الله الحطم»[2] .

---

(1) راجع باشميل ، حروب الردة ، ص 209 فما بعد- النجار ، الخلفاء الراشدون ، ص56 .
(2) الطبري ، تاريخ ، ج3 ، ص 314 .

اما الفارين من المرتدين فقسم ركب البحر إلى دارين وقسم اتجه شمالا . فكتب العلاء بن الحضرمي إلى المثنى بن الشيباني ومن معه الذي ثبت على إسلامه وأخلص للخلافة ان يكمنوا للمرتدين . وقد قام المثنى وبني بكر وشيبان وزعماء آخرين من تميم بمطاردة المرتدين غربي وجنوبي غربي السواد وصدهم مما أجبرهم على العودة إلى دارين .

وهنا قرر العلاء بن الحضرمي مهاجمة بقايا المرتدين في دارين فركب البحر اليهم وانتصر على فلولهم وقتل منهم عدداً كبيراً وبهذا انتهت ردة البحرين .

اصبحت البحرين بعد اخماد الردة فيها اقليماً تابعاً للدولة الإسلامية ، ورغم ان الدولة الساسانية كانت لاتزال قائمة عند ظهور الإسلام إلا ان نفوذها – كما اشرنا– لم يكن قويا في البحرين أو الخليج بصفة عامة ، ذلك لان اهتمامها كان منصبا على مواجهة دولة الروم المحاذية لحدودها الشمالية الغربية . وقد لاحظنا ان قبائل البحرين كانت تتمتع قبل الإسلام باستقلال ذاتي واضح وكان للفرس الساسانين مرزبانا مع قوة عسكرية صغيرة في هجر . اما عدا ذلك فقد حاول الفرس ان يعتمدوا على العرب انفسهم ويكونوا علاقات مع زعماء العرب بالبحرين لتأمين التجارة وطرق المواصلات البحرية . وواضح ان تبعية هؤلاء الزعماء كانت ظاهرية واسمية فقط . يقول ابن حبيب عن هجر[1] :

«كان ملوكها من بني تميم رهط المنذر بن ساوى وكان ملوك الفرس تستعملهم عليها كما يستعملون بني نصر على الحيرة وبني المستكبر على عُمان . . . وكانوا يعشرونهم» .

لقد بقيت البحرين تابعة في إدارتها للحجاز ثم الحقت بالبصرة زمن عثمان بن عفان وقد وثق ذلك الصلة بين البحرين وسواد العراق مما شجع قبائل عديدة مثل عبدالقيس والازد بالهجرة إلى البصرة خاصة بعد أن أصبحت الأخيرة قاعدة للفتوحات في المشرق[2] . وظلت البحرين مرتبطة بالبصرة في العهد الاموي وطان أمير البصرة يتمتع بصلاحيات إدارية على اقاليم الخليج حيث يعين أو ينيب عنه ولاة يرجعون اليه في المهام الكبرى .

---

(1) ابن حبيب ، المحبّر ، 265

(2) عبدالرحمن النجم ، المرجع السابق ، ص 117 فما بعد .

تفاقم الحركة الخارجية في العصر الاموي

نشط الخوارج في منطقة الخليج على أثر الخلافات التي وقعت ببلاد الشام بعد وفاة الخليفة الاموي يزيد بن معاوية . فبرز الأزارقة بزعامة نافع بن الأزرق في الأحواز سنة 64هـ ، سنة 683م ، الذي تبنى أراء متطرفة لم يقبلها بعض أتباعه فتركه نجدة بن عامر الحنفي مع نفر من أصحابه وتبنى أراء معتدلة وسار نحو اليمامة لغناها النسبي ولوجود بني حنيفة فها . وقد تنازل أبو طالوت زعيم خوارج اليمامة إلى نجدة الذي غدا زعيماً للخوارج الذين عرفوا بأسمه (النجدات) سنة 66 هـ ، سنة 685م . وكان أتباعه من بني حنيفة وبكر[1] .

قام نجدة الحنفي بمحاولتين لضم البحرين إلى نفوذه كانت آخرها سنة 67هـ –686 م ، حيث انضمت اليه الازد بينماحاربته عبدالقيس ولكنه انتصر عليها وبذلك ضم اليه جزءاً كبيراً من البحرين خاصة والخط عامة . ومما ساعد نجدة على ضم البحرين الانقسامات بين أهلها وانشغال الدولة الأموية بمشاكلها في الشام والعراق .

إن تعاظم حركة النجدات بالبحرين دق ناقوس الخطر على السلطة الزبيرية التي كانت تحكم العراق في تلك الفترة . ورغم كثافة الجيش الذي ارسله والي البصرة الذي كان مسؤولا عن اقليم البحرين إداريا ضد النجدات سنة 67هـ/686م فقد إنهزم أمامهم وتكبد خسائر كبيرة في الأرواح .

وقد قوّت هذه المعركة من عزيمة النجدات فقرروا ضم عُمان . وقد هاجمها عطية بن الأسود الحنفي وقتل حاكمها عباد بن عبدالله الجلندي ، وعين نائبا لإدارة عُمان . ولكن أهل عمان ما لبثوا أن قتلوا نائب الحاكم الخارجي فعاد عطية الحنفي إلى عُمان ولكنه فشل في السيطرة عليها لمقاومة أهلها الشديدة .

اتجه الحنفي بعد ذلك نحو شمالي البحرين وأطراف العراق فأجبر سنة 68هـ 687م ، بني تميم في كاظمة على أداء الصدقة له . كما نجح نجدة الحنفي في مد نفوذه إلى اليمن وحضرموت والحجاز . ولكن الخلافات ما لبثت أن ظهرت بين النجدات وبرزت تيارات تعمل من الداخل على هدم نفوذ نجدة الحنفي ، حيث فارقه عطية الحنفي وغيره[2] .

---

(1) البلاذري ، انساب ج6 ، 15 ب . ابن الاثير ، الكامل ، ج4 ، ص202– نايف محمود ، الخوارج ، ص 147– محمد العقيلي ، الخليج العربي ، ص 108-115 .

(2) راجع عبدالرحمن النجم ، المرجع السابق ، ص 132 فما بعد ، نايف معروف ، الخوارج ، ص 149 .

وأسباب الخلاف كما تشير إليها المصادر عديدة ، بعضها فقهية اجتهادية ، وأخرى سياسية وأغلبها شخصية وحجج ظاهرة تخفي وراءها روحا قبلية . فقد كانت قبيلة قيس بن ثعلبة بزعامة أبي فديك وراء الانشقاق وكان غرضها السيطرة على قيادة الحركة وسلبها من حنيفة ثم نقل مركزها إلى البحرين . وقد تحقق ذلك بالفعل حيث بويع أبو فديك عبدالله بن ثور وقتل نجدة الحنفي . وجعل الزعيم الجديد مقره في (جواثا) بالبحرين سنة 72هـ 691م .

لقد استغل الزبيريون الإنشقاق الذي حل بخوارج البحرين فأرسلوا حملتين ضدهم دون جدوى . ولما عاد العراق إلى حكم الأمويين استطاع والي البصرة بمشقة دحر الخوارج وقتل أبا فديك ووضع حداً لنفوذ النجدات على البحرين سنة 73هـ-692م . وبمقتله انهارت دولة النجدات في (اليمامة والبحرين) .

إلا أن ذلك لا يعني استقرار البحرين وانتهاء حركات الخوارج فيه . فقد استمرت حركات الخوارج الأخرى خاصة وإن الوضع انعكس الآن حيث بدأت عبدالقيس تؤيد الحركة الخارجية منذ أن جعلت مركزها البحرين وانتقلت من اليمامة .وفي المقابل انقلبت الأزد على حركات النجدات الخارجية المتأخرة وقاومتها ولا شك ان ذلك يرجع إلى الروح القبيلة التي حتمت على الأزد أن يتخذوا مواقف مناقضة لعبدالقيس!! وهذا يفسر جزئيا تبني أزد عُمان للأباضية بعد ذلك بقليل .

ورغم إتخاذ الحجاج الثقفي والي العراق اجراءات حازمة لردع خوارج الخليج فإن ذلك على ما يبدو لم يؤثر فيهم ، بل ان حركاتهم امتدت إلى البصرة التي شهدت ساحتها حركات خارجية جديدة قادها زعماء من عبدالقيس مثل الريان النكري وداود بن محرز ومسعود المحاربي مما يدل على شدة الارتباط بين القبائل المستوطنة في اقليم الخليج وسهولة الاتصال الفكري والتواصل الاجتماعي بينها .

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن استمرار الحركة الخارجية بالبحرين بصفة خاصة وتمسك أهلها بها باعتبارها مذهبا مخالفا لمذهب الخلافة الأموية ومعاديا له يعود من جملة ما يعود إلى فقدان البحرين لمركزها التجاري المهم وفقدان مركزها الحربي كقاعدة للفتوح ، إلى العراق والبصرة منها بصفة خاصة . هذا اضافة إلى أن مبدأ الخوارج من الناحية النظرية على الأقل دعى إلى العودة إلى الإسلام الصحيح وإقامة حكم العدل فانضمت اليه مجموعات من أهل البحرين لتحقيق الحكم الإسلامي العادل من وجهة نظرهم .

ولعل تطور الحركة الخارجية وانتشارها في اقاليم الخليج لها في نهاية المطاف دلالتها المهمة على وحدة هذه المنطقة بشرياً ودينياً وجغرافياً والا لما استطاع هذا المذهب أن ينتشر

بهذه السهولة بين العراق والاحواز والبحرين وعُمان ولما استطاع زعماؤها أن يلقوا التأييد والاستجابة في كل اقليم حلوا فيه من اقاليم الخليج العربي .

البحرين والحركة القرمطية في العصر العباسي

إن أقاليم الخليج تكوّن وحدة جغرافية طبيعية وبشرية ولغوية ولذلك فان انبثاق حركة ما أو مذهب ما في منقطة خليجية معينة لابد ان يجد له صدى ان سلبا أو إيجابا في منطقة خليجية اخرى . وكان الجو الثقافي والفكري الرفيع في مدينة البصرة الخليجية عن طريق الانصار وحملة العلم . ولهذا فان كل الحركات التي ظهرت في منطقة الخليج في هذه الفترة من علوية واباضية وزنجية وقرمطية وغيرها كان منبتها العراق كما فصلنا ذلك من قبل .

لقد نشأت الدعوة القرمطية بالكوفة في سواد العراق على يد حمدان قرمط كما أشرنا إلى ذلك من قبل . ولكنها مالبثت ان انتشرت إلى البحرين بعد أن بث حمدان دعاته إلى اقاليم عديدة . ونجح الداعية ابو سعيد الجنابي بالبحرين وايدته قبائلها رغم ان نفوذه في البداية لم يصل العاصمة هجر .

وقد انيطت مهمة ضرب قرامطة البحرين إلى عامل البصرة عباس الغنوي ولكن ابا سعيد الجنابي باغته قرب البصرة وفرق الجيش العباسي . وقد ساعدت هذه المعركة القرامطة على الاستيلاء على هجر واعلاء دولتهم[1] .

استمر أبو سعيد الجنابي في غاراته على جنوبي العراق وخاصة على قوافل الحجيج بين العراق والحجاز ، كما هاجم عُمان واستطاع ان يلحقها لبعض الوقت إلى نفوذه . ثم عاد يهاجم البصرة والاحواز ووصلت بعض قواته إلى حدود بغداد وبهذااستطاع القرامطة بالإغارة الخاطفة والسلب والقتل أن يبثوا الرعب في قلوب الناس مما اضطر العديد من سكان المدن والقرى بالسواد إلى الهجرة من مواطنهم خوفا من تكرار مآسي حركة الزنج .

وتجاه هذا الوضع المتردي اضطر الخليفة العباسي إلى إرسال نجدة عسكرية سنة 290هـ/902م . بقيادة العباس بن عمرو الذي ولاه البحرين ولكن الجيش انكسر وأسر قائده .

---

(1) مسكوية ، تجارب الأمم ، ج1 ، ص 120-121 .

وفي بداية سنة 302هـ/ سنة 914م . توفي ابو سعيد الجنابي فخلفه ابنه سليمان أبو طاهر الجنابي وقد زادت في أيامه أعمال النهب والسلب . كما وأنه اسطاع ان يستولي على البصرة سنة 315هـ/ 927م . فسيطر سيطرة تامة على طرق القوافل البرية وقوافل الحج . ورغم ان الخليفة العباسية ارسل جيشين لقتال ابي طاهر أولهما بقيادة عبدالله بن حمدان والثاني بقيادة يوسف بن أبي الساج فقد صمد القرامطة لهما واحلوا بهما هزيمة منكرة وتعقبوا الجيش الثاني حتى مشارف العاصمة بغداد . ثم عرجوا على الكوفة ونهبوها .

وفي سنة 318/317هـ – 930م اغاروا على الحجاز ثانية ودخلوا الحرم المكي وقتلوا العديد من الناس الذين تعلقوا بأستار الكعبة وردموا بئر زمزم ثم حملوا معهم اثناء انسحابهم الحجر الاسود إلى الاحساء وبقي هنا حتى سنة 339هـ/ 950م .

ولم تتحرك السلطة العباسية المركزية للقيام بعمل جاد تجاه القرامطة مما جعلهم يتمادون في غيهم ويضمون اليمامة إلى سلطاتهم . ثم عادوا إلى شن هجمات جديدة على العراق والاحواز . مما اضطر الوزير العباسي ابن الفرات إلى فتح باب التفاوض مع ابي طاهر ولكن شروط هذا الاخير مقابل ايقاف الهجمات المدمرة هي تخلي العباسيين عن البصرة والاحواز والاعتراف بنفوذ القرامطة عليهما!! . واتجاه هذا الشرط لم يكن امام العباسيين الا الرفض فكانت اجابة القرامطة باحتلال الكوفة سنة 326هـ/ سنة 937م ونهبها وقتل العديد من سكانها كما أنه هاجم بغداد سنة 329هـ /سنة 940م دون ان يتمكن من احتلالها مما اضطر العباسيين إلى عقد هدنة مع القرامطة يؤدون لهم ضريبة تقدر بحوالي 120 ألف دينار إلى جانب ضريبة أخرى على قوافل الحج . ومهما يكن من أمر فعلينا الا ننسى حالة التفكك التي كانت تمر بها الخلافة العباسية فإذا كان الحكم في بغداد والبصرة لأمير والامراء ابن رائق ، وإذا كانت الاحواز بيد البريديين ، وعُمان بيد الاباضية وفارس والري والجبال بيد بني بويه ، والجزيرة الفراتية بيد الحمدانيين ومصر والشام بيد الاخشيديين فلماذا لا يطمح أبو طاهر القرمطي ليمد نفوذه إلى مناطق جديدة تضاف إلى البحرين واليمامة!![1] .

على ان الحركة القرمطية شهدت خلال القرن الرابع الهجري انشقاقات خطيرة في صفوفها حيث اعلن ابو طاهر الجنابي ولاءه للفاطميين . بينما تقرب الحسن بن أحمد بن ابي سعيد الجنابي الملقب (بالحسن الاعصم) للعباسيين والبويهيين وهاجم عدة مرات الجيش الفاطمي في بلاد الشام . وكان البويهيون بالعراق والحمدانيون بالجزيرة الفراتية يمدون الحسن الاعصم وقرامطته بالمال والسلاح لاستخدامه ضد الوجود الفاطمي في الشام .

---

(1) راجع فاورق عمر ، التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين ، ص 274 فما بعد .

ويبدو ان العزيز الفاطمي نجح في استمالة القرامطة فقد عادوا وهاجموا الكوفة سنة 372هـ/ سنة 982م ، ولكن صمصام الدولة بن عضد الدولة البويهي نجح في كبح جماحهم وصدهم عن المدن العراقية مكبداً اياهم خسائر جسيمة فهانت قوتهم وزال من حينئذ ناموسهم ، رغم استمرار هجماتهم السريعة التي تعتمد الكر والفر على المدن والقرى العراقية . وبعد انحسار نفوذ القرامطة ظلوا محتفظين بسلطتهم في اقليمهم الأول البحرين .

وهكذا يظهر واضحا ان فعاليات القرامطة على مسرح الخليج العربي سواء في العراق أو البحرين وعُمان لا يمكن فصمها بل انها مترابطة في فعلها . ورد فعلها ومما يثير الانتباه ان السلطة البويهية في العراق رغم ادراكها لموقف الرأي العام الإسلامي من القرامطة الذين كانوا يُعتبروا كفارا وقتلة ولصوص ، لم تجد السلطة البويهية حرجا في التعامل والتفاوض بل والتحالف معهم .

لقد كان البويهيون قوماً محاربين تهمهم مصلحتهم الشخصية ولذلك لم يأبهوا باراء القرامطة الدينية أو معتقداتهم الفكرية وأثرها السلبي على المجتمع الإسلامي وعقيدته .

وفي بداية سلطتهم لم يكن لهم ضلع في مجالات الثقافة والفكر ، ولذلك لم تقلقهم نشاطات القرامطة أو أثرهم الديني على المجتمع . وقد وجه البويهيون اهتمامهم نحو الخليج العربي ، فاحتلوا البصرة بعد بغداد ، وطردوا البريديين منها وأعادوا تنظيم أمور التجارة والكمارك فيها ثم بدأوا يهددون نفوذ القرامطة على ساحل الخليج العربي .

ولم يكن بوسع القرامطة تحدي القوة البويهية الجديدة خاصة بعد حدوث مشادات عقائدية وسياسية داخل الحركة القرمطية في البحرين في النصف الأول من القرن العاشر الميلادي حتى حوالي سنة 333هـ- 944م ، ولذلك حصل اتفاق على اقتسام الفائدة من ضرائب التجارة الخليجية ومن الطرق التجارية البرية في شرقي الجزيرة العربية .

وقد اثر إنتعاش تجارة البصرة على موانئ عُمان ، فهاجم أهل عُمان مع الزنج وبعض القرامطة في عُمان البصرة ، ولكن البويهيين ردوا على الهجوم بالمثل براً وبحراً سنة355هـ -965م ، واحتلوا عُمان ، ولكنهم لم يثيروا قرامطة البحرين[1] .

استمر التحالف القرامطي- البويهي الحذر ، وساعد القرامطة البويهيين في حربهم ضد السامانيين في الري مرتين . وقرر القرامطة سنة 339هـ/951م ، اعادة الحجر الأسود إلى

(1)- Bathurst, The Yarubid Dynasty, (Intorduction). Ph. D. Thesis.Oxford. 1967.Shaban: Op.Cit. Vol 2. p. 153.

مكة بعد أن بقي عندهم 22سنة ، ذلك لأن وجوده لم يعد ذا فائدة بعد أن حققوا مكاسب سياسية واقتصادية مهمة من خلال علاقتهم مع البويهيين ، وما كانوا يتقاضونه من الاخشيديين في مصر وبلاد الشام من هبات سنوية قدرت بـ 300 الف دينار من أجل ضمان أمن وسلامة القوافل التجارية البرية بين الشام والحجاز . ومن المناسب أن نذكر ان الفاطميين قطعوا هذه الأموال عن القرامطة بعد سيطرتهم على الشام سنة 360هـ/ 971م ، فهاجمهم القرامطة واشتبكوا معهم في حرب دموية مرتين ، ولم تكن هناك أية علاقة ودية بينهما وقد بقي البويهيون في الظل دون أن يتدخلوا مباشرة في النزاع مع أنهم كانوا في السر يزودون حلفاءهم القرامطة بالمال والسلاح(1)!!

لم تشعر بغداد خلال العصر البويهي بأي قلق من الآراء القرمطية أو الهجمات العسكرية القرمطية ، وقد دخل البويهيون في مفاوضات سياسية وتجاريه مع القرامطة من أجل تفاهم مشترك ، وكان لكل منهما في البصرة مركز جمركي لجباية مكوس التجارة ويبدو ان المكوس كانت مرتفعة ، واساليب جبايتها محكمة . كما انهم حصلوا من بختيار على اقطاع في منطقة الفرات «سقي الفرات» وحصلوا من عضد الدولة على اقطاعات في منطقة واسط وحين هاجم القرامطة البصرة بعد موت عضد الدولة استرضاهم أهلها بالمال(2) .

على أن القرامطة ارتكبوا خطأً كبيراً حين تدخلوا في النزاعات الداخلية البويهية وساعدوا أميراً ضد اخر . فقد ارسل اليهم شرف الدولة رسولاً للتفاوض معهم وكانت نتيجة المفاوضات التحالف بين الطرفين فسيطر القرامطة على الكوفة باسم شرف الدولة ، ولكن صمصام الدولة البويهي الذي كان مشغولا بثورة في بغداد ارسل اليهم جيشا دحرهم وطردهم نهائيا في الكوفة فالبويهيون الذين تحملوا آراء القرامطة دون مبالاة أو اكتراث لم يتحملوا تدخل القرامطة في النزاعات والمنافسات بين الأمراء البويهيين على السلطة ، فضربوهم ضربة قاضية سنة 375هـ/ 986م حيث انسحبوا من العراق وباديةالشام إلى حياة اكثر استقرارا في البحرين(3) واستمر الحكم بيد آل الجنابي(4) حتى نهايات القرن الحادي

(1) - Shaban: Op.Cit. Vol 2. p. 163.

(2)- Kabir , M: The Buwayhid dynasty of Baghdad, pp. 14-72. Calcutta. 1964.

(3)- أبو شجاع : ذيل ج 3 ، ص 101-102 – راجع كذلك: Kabir , M: Op. Cit.,p 72. Shaban: Op.Cit. p.166

(4)- عن سلالة ابي سعيد الجنابي راجع : Bosworth: the Islamic Dynasties, p. 69, Edin-burgh 1967 .

عشر الميلادي ورغم ان دولة القرامطة زالت بعد ذلك ، فان الآراء القرمطيه ظلت منتشرة في البحرين لأكثر من قرنين من الزمان .

لقد اثارت حركة القرامطة مشادة عنيفة بين المؤرخين . . . ومهما قيل في اصل الحركة فليس هناك خلاف في كونها فرقة انشقت في الأصل عن الحركة الإسماعيلية العامة واعتبرت محمد بن إسماعيل القائم المنتظر . فهي اذن واحدة من فرق «الباطنية الغالية» التي حاولت ايجاد عقيدة جديدة توفق بين الإسلام والعقائد القديمة وبمعنى اخر فهي لم تعترف بالإسلام كدين رغم تظاهرها بذلك من خلال الشعارات التي طرحتها- بل ادخلت عليه عقائد الحلول والتناسخ وقدسية الأئمة وما إليها من المبادئ المتطرفة[1] .

على اننا لا نعتقد بان هذه المسائل العقائدية والمذهبية (الباطنية) باتت مهمة بالنسبة للقرامطة بعد تأسيس كيانهم السياسي ، فشأن هؤلاء المغامرين في ميدان السياسة كشأن المغامرين السياسيين الذين سبقوهم من امثال صاحب الزنج وحركته المعروفة (حركة الزنج) والتي حدثت في نفس المنطقة (سواد العراق) في نفس العصر (العصر العباسي الثاني) حيث كانت السلطة المركزية في بغداد تعاني من الضعف والفساد على يد القادة الاجانب الذين سيطروا على زمام الأمور . وفي اعتقادنا ان الدعوة الإسماعيلية الأولى وربيبتها الحركة القرمطية نبتت وترعرت في البيئة نفسها التي أوجدت حركة الزنج . ولذلك حاول القرامطة تأسيس قاعدة قوية لهم في سواد العراق وكسب الانصار من فلاحي السواد والزنج والبدو والقبائل العربية في اطراف الصحراء العراقية - السورية . وهذه القطاعات هي نفسها القوة الدافعة وراء حركة الزنج كذلك . وكما رفعت حركة الزنج شعار التشيع العلوي باعتباره الشعار المعارض للعباسيين ، ورفعت حركة القرامطة الشعار نفسه- ومثلما ادعى صاحب الزنج النسب العلوي . تبنى زعماء القرامطية نفس الادعاء . . . وكما وعد صاحب الزنج اتباعه بتمليكهم الأراضي والعبيد والنساء وباع الأسيرات من نساء قرى السواد ومدنها بأبخس الأثمان . فقد وعد زعماء القرامطة انصارهم بتمليكهم أملاك ساداتهم لانها حق مشروع لهم «وسينقذونهم من ورطات الذل والفقر ، ويملكونهم مالا يستغنون به عن التعب والكد» . ومثلما اعتمدت حركة الزنج على نهب مدن السواد وقراها ، كذلك فعل القرامطة بالعراق وبادية الشام بالقرى والمدن في سواد العراق وعلى حافة صحراء بادية الشام وعُمان وبالقوافل التجارية وقوافل الحج .

(1)- الغزالي ، فضائح الباطنية ، ص 21 ، ليدن 1916- الديلمي ، قواعد عقائد آل محمد ، ص 42 ، استامبول1934

ومهما قيل عن الابعاد الاجتماعية والاقتصادية لحركة القرامطه ومحاولتهم تحقيق المساواة والرفاه المادي عن طريق جمع اموال المجتمع بيد الداعي أو المختار . لتوزع على افراد المجتمع حسب حاجتهم لها بحيث لا يبقى معوز بينهم ، فإن هذه الفرضيات تبقى مجرد فرضيات تعوزها الادلة التاريخية الموثوقة . ولا بد لنا أن نشير هنا إلى أنه لم يكن على اقل تقدير من أهداف حركة القرامطة تحرير العبيد . لأن القرامطة انفسهم كانوا يملكون العبيد في البحرين : وقد سخروا حوالي ثلاثين الفا منهم في أعمال الزراعة[1] . على أن الاجراء الذي اتخذه حمدان قرمط في العراق ، وذلك بفرض ضريبة على دخل الفرد يبقى اجراءً مهماً رغم اننا لا نعلم مدى نجاحه ولا مدى تطبيقه في مجتمعات قرمطية اخرى . ولذلك فمن الصعب تسمية تجربة القرامطة بالتجربة «الاشتراكية» أو ما اليها من اصطلاحات القرن العشرين!! .

وعلى المستوى السياسي يصطلح بعض الباحثين اسم (الجمهورية الديمقراطية» حين يصفون نظام حكم القرامطة . . . وفي ذلك خيال كبير . فمثلما يصعب علينا تسمية حكومة الخلفاء الراشدين أو نظام الامامة الاباضية في عُمان بانهما نظام جمهوري . يصعب علينا اطلاق ذلك على النظام السياسي للقرامطة . فليس بدعة في تاريخ الإسلام والعروبة ان يكون الحكم شورى ذلك ان القبيلة العربية قبل الإسلام كانت تحكم من قبل أهل الشورى (أهل الحل والعقد) يترأسهم الشيخ الذي يعتبر الأول بين اقرانه . وكذلك كان حكم الخلفاء الراشدين ، وحكم الاباضية في عُمان وهي حركة سبقت القرامطة وعاصرتها . ففي البحرين كان الحكم بيد آل الجنابي يعاونهم اصحاب الحل والعقد (العقدانية) . وكان الرئيس يستشيرهم فهو السيد وهم الاشيرة[2] على ان الزعامة السياسية والعسكرية بقيت وراثية ومحصورة بيد آل الجنابي ، وتبع ذلك فترة ضعف القرامطة نزاعات بين افراد العائلة الواحدة على الزعامة وادى إلى انشقاقات وصدامات في داخل الحركة القرمطية نفسها . ولعل هذه المعلومات التي وردت في مصادرنا عن النظام السياسي القرمطي لا تجعله قريب جدا من «الجمهورية الديمقراطية»!!

وربما خامرت اذهان القرامطة فكرة اسقاط الخلافة العباسية ، وهي في ازمتها وضعفها ولكن ذلك كان فوق قدراتهم ولهذا اكتفوا بشن غاراتهم التي هددت حتى بغداد ، ولكن القرامطة سرعان ما ادركوا عدم قدرتهم على تحدي السلطة العباسية وحلفائها الحمدانيين ،

---

(1) ناصري خسرو : سفرنامه ، ص 225 .

(2) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص25 فما بعد .

ولذلك عمدوا إلى اسلوب «الكر والفر» . . . الضغط والتهديد . . . السلب والنهب ثم الانسحاب إلى قواعدهم . . . خطف الشخصيات البارزة في المجتمع . . . كل ذلك من أجل الحصول على مكاسب آنية سياسية أو اقتصادية .

ولابد من القول إنه مهما كانت عقيدة القرامطة ، ومهما كانت آراؤهم السياسية ، فان هذه العقيدة لم تمنع هؤلاء المغامرين السياسيين من الدخول في محالفات سياسية واتفاقات اقتصادية لاقتسام الغنائم مع أي طرف من الاطراف ، وهم بهذا يشبهون إلى حد ما زعماء حركة الزنج . لقد دخل القرامطة في تحالف مع البويهيين بعد سيطرة هؤلاء على العراق واتفقوا معهم على اقتسام الفوائد المتأتية من تجارة الخليج العربي ، وكانت لهما مراكز لجباية المكوس في ميناء البصرة(1) ، ومراكز أخرى على طرق التجارة البرية . واتفق القرامطة مع الاخشيديين حكام مصر وسوريا على حماية قوافلهم التجارية بين الشام ومصر والحجاز مقابل مبلغ سنوي يدفعه الاخشيديون للقرامطة . وساعدوا البويهيين في حربهم ضد السامانيين في الري ، ودخلوا في حروب طاحنة مع الحمدانيين حلفاء العباسيين ثم هدنوهم ووقفوا على الحياد في الحرب البويهية الحمدانية . وهاجموا الفاطميين حين امتنعوا عن دفع الاموال السنوية التي كان يدفعها الاخشيديون لهم ، ولكن الفاطميين صدوا هجومهم مرتين في حرب دموية طاحنة(2) .

وهاجم القرامطة قوافل الحجيج ونهبوها وأسروا شخصيات معروفة فيها . وسلبوا الحجر الاسود من الكعبة احتجاجا على عدم مشاركتهم في الفوائد المتأتية من تجارة موسم الحج ، ورفضوا اعادته رغم ان العباسيين عرضوا عليهم فدية من المال .

وقد كان لظهور القرامطة على الساحة العربية في تلك الفترة الحرجة التي مرت بها الخلافة العباسية والسلطة المركزية في بغداد اثارا سلبية عديدة على المجتمع الإسلامي حينذاك ، ولعل ابرز تلك الاثار :

---

(1) المقدسي : البدء والتاريخ ج1 ، ص 135 ، راجع كذلك : Kabir, M: Op. Cit., 72FF.ESha, ban: Op. Cit., P. 166 .

(2) ليس من السهل تقرير اية علاقة بين قرامطة البحرين وبين الفاطميين في افريقيا ، ويرى الدكتور شعبان ان الفرضيات التي ذكرت في هذا الصدد تعوزها الادلة التاريخية الموثوقة ، ويفترض بان اجهزة الدعاية لكل من القرامطة والفاطميين ربما بثت مثل هذه الدعاية لايهام الاعداء بوجود تعاون بين الطرفين : على ان التاريخ يثبت عدم وجود تنسيق بين الطرفين ، وان المرة الأولى التي حدث فيها اتصال . كان اتصالا دمويا وعلى ساحة المعركة (راجع : شعبان ، المصدر السابق) .

أولا : إن هجمات القرامطة المستمرة على المدن والقرى اجبرت السلطة المدنية برئاسة الوزير ابن الفرات في وزارته الثالثة إلى اللجوء إلى الجيش ، وادى ذلك إلى زيادة تدخل الجيش في السياسة ، فبعد ان نجحت السلطة المدنية في ابعاد القائد مؤنس عن بغداد اضطر ابن الفرات تحت وطأة تهديد قرمطي جديد ان يستدعي مؤنس ، وبذلك عادت المنظمة العسكرية تسيطر على إدارة البلاد[1] .

ثانيا : إن هجمات القرامطة المستمرة على المدن اوجدت جواً من الترقب والعيش في ظل الخطر وتحت وطأة التهديد والخوف . إن هذا الجو النفسي المشحون بالترقب والخوف ادى إلى حدة النزاعات بين المذاهب والفرق وقطاعات المجتمع . ولعل ذلك بدا واضحا في بغداد ذاتها[2] فقد حدثت اضطرابات في بغداد واتهم الناس الوزراء وخاصة ابن الفرات بموالاة القرامطة وسموه «القرامطي الكبير» بسبب عدم اتخاذه اجراءات شديدة وانية ضدهم . وزادت الصدامات المذهبية حدة بين احياء بغداد ، واخذت السلطة تقسو في التعامل مع كل من يدين برأي يخالف مذهبها ، فقد اتهم الحلاج المتصوف بتهمة الزندقة وحتى بالقرمطية وحوكم واعدم . ولعل هذا مثل بارز لذلك الجو المشحون بالخوف والترقب من القرامطة «الزنادقة الملحدين»[3] .

ورغم ان البويهيين ، كما اوضحنا ، دخلوا في مفاوضات ومحالفات مع القرامطة ، فان ذلك لم يغير من حدة الجو السياسي ، فالرأي لم يوافق ابدا على موقف البويهيين هذا من القرامطة ، وبقي الخلفاء العباسيون[4] ومن ورائهم العلماء والفقهاء يعبرون عن رأي الناس عموماً في معاداتهم للقرامطة .

ثالثا : ظهرت حركة القرامطة في المجتمع الإسلامي معبرة عن مشاعر اقليمية وعن السخط والتذمر من قبل بعض القطاعات الاجتماعية في مناطق معينة مثل الأعراب والبدو في بادية الشام ، وقبائل البحرين الزنج والنبط والاعراب في سواد العراق . لقد انتهزت الحركة الإسماعيلية وحركات معارضة أخرى مثل هذه المشاعر

---

(1) مسكوية : تجارب الأمم ،ج5 ،ص 143 فاروق عمر : الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية ، بغداد 1977 ، ص98 .

(2) استطاع القرامطة ان تيغلغلوا حتى داخل بغداد ، وان يكسبوا له بعض الانصار رغم قلة عددهم (راجع : ابن الاثير ، كامل في التاريخ ،ج8 ، ص 127) .

(3) Sourdel: op. Cit., P 136.

(4) راجع : ابن الجوزي ، المنتظم ، ج7 ، ص287 .

الاقليمية في اليمن وطبرستان وافريقيا وعُمان وخراسان واذربيجان ، وقد سارت الحركة القرمطية على نفس المنوال فظهرت بمظهر المعبر عن هذه المشاعر الاقليمية . ولهذا لم تكسب الحركة القرمطية قطاعات كبيرة في المجتمع بل ان جماهير الناس الذين تسميهم رواياتنا التاريخية «العوام» حاربوا ضدها في قرى السواد ، وهذا يذكرنا بنفس الموقف الذي اتخذته الجماهير العربية في سواد العراق وخاصة البصرة وقراها تجاه حركة الزنج!! ولعل افتقار الحركة القرمطية للتأييد الجماهيري كان عاملا مهما في اضمحلالها في الفترة الأولى (260-295هـ/873-907م) اضافة إلى الانشقاقات التي حدثت في صفوفها وملاحقة السلطة لها .

رابعا : لم يكن القرامطة في سياساتهم مثاليين كما يحاول البعض من الكتاب الرومانتيكيين تصويرهم ، فقد اعتمدوا على الارهاب والتهديد والسلب والنهب ، وشجعوا المشاعر الاقليمية ، وانتهكوا حرمات . تعتبرها الجماعة الإسلامية مقدسة . وقتلوا الحجاج يوم التروية ورموهم في زمزم . كل ذلك من أجل تحقيق مكاسب مادية لاعقائدية .

لقد فشل القرامطة في تحقيق المساواة بين افراد مجتمعهم لاستغلالهم العبيد في مجتمعهم في البحرين ، وفشلوا في تحقيق الوحدة والانسجام بين صفوف اتباعهم من العرب والزنج ,, وتشير رواية تاريخية إلى ان سبب انسحابهم من عُمان يعود إلى الانشقاق . الذي حصل بين قواتهم من العرب والزنج في عُمان . مما جعل أهل عُمان قادرين على طردهم . ولعل هذه الانشقاقات تعود إلى ان القرامطة ضموا إلى صفوفهم كل من يستطيعون كسبه ، ومن المشكوك فيه ان القطاعات التي انضمت اليهم كانت تدرك تعقيدات مذهبهم او حقيقة آرائهم السياسية ، وان المراحل السبعة التي يشير اليها بعض المؤرخين كانت مقتصره على الدعاة فقط . ولم يعتمد حمدان قرمط الا على اقربائه الذين جعلهم نقباء لدعوته ، بل كان حمدان قرمط يجعل شيوخ العشائر ورؤس العصبيات في مرتبة «المكاسر» وذلك لنفوذهم على اتباعهم وقبائلهم ، فإذا ما انضم الرئيس تبعته جماعته!!

الامارات السياسية القبلية في البحرين

منذ ان وقعت بغداد تحت السيطرة الاجنبية ثم احتلها المغول سنة 656هـ -1258م ، بدأت قوى وكيانات قبلية جديدة تظهر في منطقة الخليج . لقد غدا العراق بعد سنة 656هـ ، جزءاً من دولة ايلخانية مغولية مركزها تبريز في بلاد فارس وتضم اجزاء من بلاد فارس والعراق والجزيرة الفراتية .

ورغم تواجد حركات مقاومة عربية في العراق والجزيرة الفراتية يغذيها النظام المملوكي القائم في مصر وبلاد الشام ، الا ان مركز الثقل العربي انتقل وقبيل سقوط بغداد وبعده إلى اقاليم خليجية اخرى ظلت بعيدة نوعا ما عن التأثر العسكري المغولي لفترة من الزمن . وهنا نلحظ نشاط امارات عربية في الخليج مثل امارة العصفوريين وامارة الجبور والامامة الاباضية وامارة المشعشعين وغيرها .

لقد وقفت هذه الامارات بالاضافة إلى نظام المماليك في الشام ومصر في وجه النظام الايلخاني وما تلاه من كيانات سياسية اخرى لتحفظ قيم العروبة وتقاليدها وتراث الإسلام وعقيدته . وسنتطرق في هذا الفصل إلى هذه الامارات العربية الخليجية التي بدأت اهميتها تبرز في البحرين .

ولابد لنا ان نشير بدءا إلى قلة المصادر والبحوث عن هذه الفترة مما ادى الي غموضها وارتباك احداثها . ولهذا يسميها احد الباحثين «بالعصور المظلمة»[1] وقد انتبه الحميدان إلى حقيقة مهمة نتجت عن غموض تاريخ المنطقة الخليجية خلال هذه الفترة فقال[2] :

«إن هذه الفجوة في معلوماتنا عن تاريخ الخليج العربي تشكل نقطة ضعف كثيراً ما استغلت للتشكيك بالهوية القومية والتاريخية للسواحل العربية ولترديد ادعاءات سياسية فيها . كما رسمت صورة تاريخية للمنطقة بنيت اساساً على تجاهل دور العرب في صنع احداثها لكي ينسجم ذلك ومثل هذه الادعاءات» .

يتفق غالبية المؤرخين المعاصرين لهذه الفترة المتأخرة من تاريخ الخليج بأن الكيانات السياسية التي تكونت في هذه المنطقة كانت كيانات تدعمها قوى قبلية مؤثرة[3] ، لعل

---

(1) د . أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ج7 ، ص 310 .

(2) د . عبداللطيف الحميدان ، امارة العصفوريين ، مجلة اداب البصرة ، العدد 15, 1979 ، ص 70 .

(3)- Delly, Sovereignty... in eastren Arabia,I.A., 1959.

اخطرها قبيلة عامر العقيلية . وبنو عقيل من عدنان انتشروا من الجزيرة العربية إلى العراق والبحرين وظهرت منهم بطون مشهورة منها عامر والمنتفق وعبادة وخفاجة .

وفي البحرين استقرت عقيل إلى جانب قبائل اخرى سبقتها منها عبد القيس وسليم . كما وانها تحالفت مع قرامطة البحرين وأيدت دعوة ابي سعيد الجنابي حين ظهر حوالي سنة286هـ/ 899م . وقد امتدت ديار بني عقيل حتى شملت جهات في شمالي الخليج من البصرة حتى عُمان . وكان واجبهم الرئيسي ومورد رزقهم هو الحماية وخفارة القوافل التجارية عبر طرق التجارة العديدة في هذه المنطقة مقابل مقدارا معينا من المال تدفعه السلطة أو امير الامارة والتجار . ولهذا نلاحظ بأن العديد من الكيانات السياسية في منطقة الخليج ومنها القرامطة اعترفت بهذا الوضع لبني عامر (عقيل) لأن العكس يعرض الأمن والاستقرار إلى الخطر[1] .

على أن هذه الظاهرة بحد ذاتها تشير بوضوح إلى ضعف سلطة القرامطة السياسية والعسكرية في البحرين وسائر المنطقة الخليجية . وتزودنا الروايات التاريخية بالعديد من الأدلة على تدهور قوة القرامطة . ففي سنة 378هـ/ 988م . استطاع الاصفر زعيم قبيلة المنتفق ان ينتصر على القرامطة في الاحساء والقطيف وسلب اموالهم وعبيدهم . وفي سنة 450هـ/ 1068م . ثار ابو البهلول العوام بن محمد الزجاج على القرامطة واستولى على جزيرة (أوال) وانتصر على جيش القرامطة وحلفائهم من بني عامر وبعض عبدالقيس في معركة بحرية قوية . وفي سنة 460هـ/سنة 1078م . ثار يحيى بن عياش زعيم بني محارب من عبدالقيس على القرامطة وطرد عمالهم من القطيف ثم مد نفوذه إلى جزيرة أوال[2] .

الامارة العيونية

إن أخطر قوة واجهت القرامطة في البحرين هي قوة عبدالله بن علي العيوني من عبدالقيس حيث استطاع بمساعدة ملكشاه السلطان السلجوقي ان يحتل الاحساء ويطرد القرامطة سنة 469هـ/ 1076م ، واعلن قيام الامارة العيونية التي دانت بالولاء للخلافة

---

(1) د . الحميدان ، المراجع السابق ، ص73 فما بعد . راجع المناقشة المستفيضة للمصادر .

(2) النبهاني ، التحفة النبهانيه ، ص 93فما بعد .

العباسية ببغداد . كما اصطدام عبدالله العيوني بابن عياش في القطيف وتبعه إلى جزيرة أوال حيث جرت معركة حاسمة انتهت بمقتل ابن عياش[1] .

ولما كان بنو عامر القوة الرئيسية التي ساندت القرامطة في صراعها ضد القوى القبلية آنفة الذكر لذا فان علاقتهم بالامارة العيونية لم تكن في بادئ الأمر على ما يرام . . . وقد قطع عبدالله العيوني جميع العوائد والأتاوات المتعارف عليها والتي كان يدفعها القرامطة وغيرهم لبني عامر . فكانت النتيجة وقوع صدام مسلح بين الطرفين انتصر فيه عبدالله العيوني . إلا ان محاولات بني عامر لفرض سيطرتهم على طرق التجارة وجباية عائدات الحماية استمرت حتى تمكنوا في النهاية من اخضاع العيونيين لمطالبهم . ويشير الدكتور الحميدان إلى **«إن خضوع الحكام العيونيين لمطالب بني عامر مؤشر واضح على عجزهم عن اخضاعهم بالقوة لذا فقد فضلوا اتباع سياسة الترضية معهم»** .

كما وان ذلك من جهة اخرى قد ادى إلى زيادة نفوذ بني عامر على كافة القبائل الاخرى وإلى زيادة ارتباط العيونيين ببني عامر عن طريق المصاهرة وغيرها حتى غدا بنو عامر قطاعا قبليا مهما في اقليم البحرين .

وقد تناوب على الحكم في الامارة العيونية امراء اسرة عبدالله بن علي . فبعد حكم جاوز الخمسين سنة توفي عبد الله بن علي وتولى الحكم من بعده ابنه الفضل . إلا إن الاوضاع ما لبثت ان تدهورت تدريجيا مع مطالع القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي لأسباب عديدة لعل اهمها عدم اقتدار الامراء العيونيين المتأخرين على الحكم والنزاع بين افراد الاسرة انفسهم حيث وقعت العديد من المؤامرات وحوادث الاغتيال السياسي في البيت الحاكم . ورغم ان الامارة العيونية لم تكن تتعرض لضغوط بني عامر ومطالبهم المالية في الداخل ، ولكن قوة خارجية جديدة هي قوة بني قيصر في جزيرة قيس بدأت تتحكم بتجارة الخليج البحرية . وقد فرض ملك جزيرة قيس غيات الدين شاه شروطا ثقيلة على الامير الفضل بن محمد العيوني أصبح بموجبها نسبة كبيرة من واردات اللؤلؤ والاشجار المثمرة لحكام جزيرة قيس . كما سلبوا العيونيين عددا من جزر الخليج التي كانت ضمن حدود سيادتهم الاقليمية وفي ديوان الشاعر العيوني علي بن المقرب العديد من القصائد المنددة بهذاالوضع المهين مما اثار في وجه الامير العديد من الفئات المعارضة في البحرين[2] .

---

(1) المصدر السابق ، ص 96 فما بعد- تحفة المستفيد ، ج1 ، ص 98 فما بعد .

(2) التحفة النبهانية ، ص 98 .

وقد اشار الدكتور الحميدان [1] إلى عامل مهم آخر حين قال بأن حالة التمزق والتداعي في الامارة العيونية اثارت قلقا واسعا بين اعيان البحرين على مصالحهم التجارية واموالهم وبساتينهم فسارعوا إلى كسب رضاء مشايخ بني عامر المسؤولين عن الحماية والخفارة وأهل القوة ، بل اكثر من ذلك بدأوا يتواطئون معهم ضد العيونيين . وقد أثمر هذا التآمر حين غدا معظم أعيان الاحساء مع زعيم بني عامر الشيخ عصفور بن راشد الذي استولى على الاحساء في حدود 620هـ ، ولكن امارة العيونيين لم تسقط في كافة ارجاء اقليم البحرين إلا في حدود 636هـ/ 1238م .

امارة العصفوريين العامرية

لقد ازدهر ملك بني عامر مرة أخرى على يد عصفور بن راشد[2] ، وسادوا اقليم البحرين والاقاليم المجاورة . يقول ابن خلدون في رواية تاريخية ان اهل البحرين حين سئلوا عن وضعهم قالوا «الملك فيهم الآن لبني عامر» وفي رواية اخرى بان «بين القطيف واليمامة مجالات بني عامر ولم يبق معهم لاحد من العرب عزّ في بلاد اليمامة والبحرين»[3] .

لقد مرت منطقة الخليج العربي خلال عصر العصفوريين بظروف سياسية صعبة لعل أبرزها ظهور قوى سياسية جديدة في المنطقة . ابرزها ظهور المغول واجتياحهم بلاد فارس والعراق ، وقيام دولة المماليك البحرية وامتدادها من مصر إلى بلاد الشام والحجاز . . . اما القوى المحلية في الخليج فقد كانت جزيرة أوال لاتزال بيد العيونيين .

وقد حاول كل من امراء هرمز والاتابكه في بلاد فارس ان يمدوا نفوذهم إلى جزر البحرين وسواحله . وقد نجح اتابكه فارس في ايجاد موطئ قدم لهم في جزر البحرين معتمدين في ذلك على مقاتلة بحارة من العرب ، ولكن بني عصفور لم ينفكوا يقاومون النفوذ الاجنبي حتى اضطروه إلى عقد تسوية تعهد بموجبها ان يدفع لامراء العصفوريين أتاوة سنوية مقابل عدم التعرض للنفوذ السلفري . إلا أن الامر لم يدم طويلا حتى جلا السلفريون عن الاجزاء المحتلة من اقليم البحرين .

---

(1) الحميدان ، المرجع السابق ، ص 84-85 .

(2) عن امارة العصفوريين العامرية ، راجع الحميدان ، المرجع السابق ، ص85 فما بعد .

(3) ابن خلدون ، تاريخ ، ج4 ص196 .

وبالاضافة إلى المقاومة التي أبداها بنو عصفور ضد الحكم السلفري ، فان الدكتور حميدان[1] يشير إلى عوامل اخرى ربما ادت إلى انسحابهم من اقليم البحرين منها استيلاء المغول على بلاد فارس واحتمال تعرض الاتابكية السلفرية في اقليم فارس إلى هجوم مغولي وشيك ، وكذلك ظهور الأمير محمود بن أحمد القلهاتي في هرمز وامتداد نفوذه إلى سواحل فارس وعُمان وتحكمه في مضايق وممرات الخليج واحتمال انبثاق تعاون بينه وبين بني عصفور ضد التواجد السلفري في البحرين .

اما علاقة الامارة العصفورية بدولة المماليك المصرية فمما لاشك فيه انها كانت طيبة . فقد ارسلوا وفدا سنة 658هـ/ سنة1259م ، إلى الظاهر بيبرس برئاسة مقدمهم محمد بن أحمد العامري واستقبلوا باحترام اكرام[2] .

على ان العصفوريين من بني عامر لم يكونوا القوة القبلية الوحيدة في منطقة الخليج العربي بل كانت هناك قوى اخرى مثل آل الفضل وعبادة وخفاجة . ثم ان مواقف هذه القبائل كانت تتحكم فيها المصلحة المادية والظروف السياسية والعسكرية . ومعنى ذلك ان القبائل انقسمت بين مؤيد للمماليك في مصر والشام ومؤيد للمغول . وفي روايات التاريخ المعاصر لتلك الفترة اكثر من مثال على ذلك ، ومنها نستشف بان علاقة العصفوريين بالسلطان المملوكي الناصر قلاوون قد توثقت إلى درجة كبيرة .ويبدو عموما ان دولة المماليك كانت أكثر نجاحا في علاقاتها مع القوى القبلية الخليجية من دول المغول الايلخانية .

إن امارة العصفوريين العامرية كان لها ان تحسب حسابا لكيانات سياسية محلية اخرى مثل الطيبيين وهم اسرة عربية حكمت اقليم فارس بعد السلفرية وتحكمت كذلك بمعظم سواحل وجزر الخليج ، ثم مع حكام جزيرة هرمز .

استمرت امارة العصفوريين العامرية أكثر من قرن ونصف القرن من الزمان إلاأن مظاهر الانهيار بدأت بالظهور منذ حوالي النصف الأول من القرن الثامن الهجري حيث استفحلت الخصومات حول السلطة بين افراد الاسرة الحاكمة نفسها . وقد جر هذا التنافس بين الأمراء إلى لجوء الأمير الحاكم إلى المرتزقة والعبيد لحمايته بدلا من اعتمادة على افراد قبيلته لأنه بات يخشى ضلوع بطون وأفخاذ قبيلته في مؤامرات ضده[3] .

---

(1) الحميدان ، المرجع السابق ، ص 93 .

(2) القلقشندي ، نهاية الأرب ، ص 106- المقريزي السلوك ، ج1 ، ص 214 .

(3) د . عبداللطيف الحميدان ، امارة العصفوريين ، مجلة كلية الآداب جامعة البصرة ، عدد 15 ، ص 118 .

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فإن انقسام امراء الاسرة الحاكمة على انفسهم نتج عنه اتجاه انظارهم إلى الخارج للحصول على سند خارجي لتحقيق طموحاتهم السياسية ضد الأمير الحاكم ، وهذا أدى بطبيعة الحال إلى ازدياد نفوذ القوى المجاورة كالطيبيين ومملكة هرمز وغيرها في شؤون الامارة العصفورية[1] . ولابد أن نشير إلى عامل ثالث لعب دوره في خلق حالة من عدم الاستقرار السياسي في البحرين بل وفي كل منطقة الخليج عامة ، ألا وهو ظهور تيمور لنك ، واجتياجه لبلاد فارس والعراق ، ودحره العديد من القوى القبلية أمامه في شمالي الخليج العربي[2] .

امارة الجروانيين العبدية

لقد حكم اقليم البحرين بعد العصفورين إمارة جديدة هي الامارة الجروانية نسبة إلى مؤسسها جروان المالكي من قبيلة عبدالقيس . ويبدو أن نفوذ الجروانيين الذي لم يدم طويلا (795هـ- 820هـ) 1392-1417م أي حوالي الربع قرن فقد لم يكن قويا فقد خضعوا لمملكة هرمز سياسياً كماً وأن نفوذ بني عامر على التجارة والحياة الاقتصادية ظل قويا رغم فقدانهم لمركزهم السياسي لفترة من الزمن .

امارة الجبور العقيلية

لعل هذه الامارة تعتبر من اهم الامارات العربية في هذه الفترة المتأخرة من تاريخ منطقة الخليج في العصر الإسلامي الوسيط وقد بسطت نفوذها على ساحل الخليج من البحرين وشملت عُمان وهرمز كما وصلت غربا إلى اقليم نجد ، وحكمت اكثر من قرن من الزمان بين 820هـ- 931هـ/ 1417- 42م .

يشير الدكتور الحميدان بان قوة قبيلة بني عامر العقيلية ومهاراتهم التجارية والسياسية قد اهلتهم لكي يحتلوا دورا قياديا في منطقة الخليج وجعلتهم يتحينون الفرصة المناسبة لاستعادة مركزهم السياسي المفقود وقد تم ذلك على يد زعيمهم زامل بن حسين الجبري العقيلي الذي قضى على آخر أمير في الأسرة الجروانية ، وأسس كيانا سياسيا جديداً لبني عامر . ولم يكتف زامل بذلك بل أبطل تبعية منطقته في الاحساء إلى مملكة هرمز العربية .

---

(1) المرجع السابق ، على الاخص مناقشة الحميدان للمصادر والروايات .

(2) المرجع السابق ، ص 120-123 .(17) ، د . عبداللطيف الحميدان ، التاريخ السياسي لامارة الجبور ، مجلة آداب البصرة ، عدد 16 ص 34 .

ولاشك فإن الظروف السياسية والاقتصادية المضطربة في المنطقة ساعدت إلى درجة كبيرة على تبلور الامارة الجبرية العقيلية وازدياد قوتها فهناك الصراع بين العثمانيين وامارة القرة قونيلو ، ثم ظهور تيمورلنك وصراعه مع العثمانين والقرة قونيلو وأخيراً بروز الدولة الصفوية في بلاد فارس كقوة جديدة على المسرح السياسي .

هذا بالاضافة إلى الصراعات المحلية في منطقة الخليج بين القوى القبلية وامارة المشعشعين ومملكة هرمز .

أما اقتصاديا فمن الطبيعي أن تكون الاضطرابات السياسية وعدم الاستقرار في المنطقة قد اثرت إلى درجة ليست بالقليلة على النشاط التجاري في موانئ الخليج العربي . فقد انتقل هذا النشاط من الخليج إلى موانئ البحر الأحمر ، وقد ساعد هذاا لتحول في النشاط التجاري على تعزيز قدرات الامارة الجبرية ذلك لأنها اصبحت مسؤولة عن حماية وخفارة القوافل التجارية البرية بين البحرين والحجاز ، فزاد هذا من قدراتها الاقتصادية كما مكّن من تعميق صلات امرائها بالقبائل المتواجدة على الطريق التجاري وخاصة في اليمامة ونجد مما سهل توسعها نحو الداخل .

لقد خلف زامل بن حسين الجبري في الامارة ابنه سيف بن زامل الجبري ولكن عهده لم يدم طويلا ويبدو انه كان الساعد الأيمن لوالده وان معظم انجازاته وحروبه كانت في عهد والده . وبعد وفاة سيف خلفه في الامارة اخوه اجود الذي يعتبر عهده عهد قوة وازدهار الامارة وتوسعها باتجاه مملكة هرمز وكذلك عُمان . فقد عزز اجود بن زامل من نفوذ امارته في البحرين وسيطر على القطيف والاحساء منتزعا هذه المناطق من مملكة هرمز ، ولهذا غدا الامير أجود يلقب «بسلطان البحرين والقطيف والاحساء ورئيس أهل نجد» . ومهما يكن من امر فإن الحرب بقيت سجالا بين امارة الجبور ومملكة هرمز العربية .

اما امتداد نفوذ الامارة الجبرية باتجاه عمان فقد تم في عهد السلطان اجود بن زامل الجبري حين اشتد الصراع في عمان الداخل بين الامراء النبهانية والائمة الإباضية في عُمان . فقد طلب الإمام الإباضي عمر بن الخطاب الخروصي مساعدة اقوى كيان سياسي في الخليج ألا وهو الامارة الجبرية ، ولم يتردد السلطان أجود عن مساعدة الاباضية حيث طرد النبهانية واعاد سلطة الامامة الاباضية مقابل ان تدفع الامامة نسبة متفق عليها من الحاصلات الزراعية العمانية سنويا[1] .

---

(1) ابن ماجد- كتاب الفوائد ، ص 301 ، الأزكوي ، كشف الغمة ، الجزء المحقق ، ص 74 فمابعد (19) الحميدان ، المرجع السابق ، ص 55 .

لقد حقق السلطان أجود بن زامل الجبري هدفين رئيسين من وراء التدخل عسكريا في عُمان أولهما : تحقيق مكاسب عسكرية و سياسية على حساب مملكة هرمز التي كانت تتمتع بنفوذ ملحوظ على ساحل عُمان . وثانيهما : ضم عمان إلى دائرة النفوذ الجبري وما ينتج عن ذلك من مكاسب تجارية مهمة عن طريق الاتصال بطرق التجارة البحرية عبر المحيط الهندي .

وحين استطاعت الامارة الجبرية ان تضم اليها مناطق من نجد[1] وظفار ، تكونت دولة عربية خليجية موحدة شملت اراضيها البحرين والاحساء والقطيف وعمان وظفار واجزاءا من نجد .

وقد اعقب اجود بن زامل في حكم هذه الدولة اولاده من بعده حتى بدأ الغزو الاجنبي البرتغالي لمنطقة الخليج العربي منذ سنة 913م-1507هـ . حيث نهبوا موانئ عمان ثم ما لبثوا ان تحالفوا مع مملكة هرمز واحتلوا البحرين سنة 927هـ-1521م . حيث استشهد الامير مقرن بن زامل الجبري دفاعا عن وطنه .

ورغم ان امراء الجبور الذي خلفوا مقرن بن زامل قد حاولوا التخلص من الاحتلال البرتغالي واستعانوا في ذلك بالشيخ راشد بن مغامس سلطان البصرة والحسا والقطيف حيث مركز القوة العربية في شمالي الخليج ، الا ان صمودهم كان وقتياً أمام الهجمة الاستعمارية ، البرتغالية الجديدة كما ان الشيخ راشد بن مغامس لم يلبث ان استغل ضعف الجبور وتفرقهم فقضى نهائيا على امارتهم في البحرين وما حولها وبذلك سقطت الامارة الجبرية سنة 932هـ/ سنة 1524م[2] . و لا تدخل الاحداث التي اعقبت سقوط الامارة الجبرية في النطاق المحدد لهذا الكتاب .

---

(1) عثمان بن بشير ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، الرياض ، ص22 .

(2) تحفة المستفيد ،ص 121 ، ابن العراق ، معدن الجواهر بتاريخ البصرة والجزائر ، ص34فما بعد .



الفصل الثاني

الخليج في العصور الإسلامية:

(2) عُمان

«من اراد التجارة فعليه بعدن أو عُمان»

المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ليدن، 35.



الدعوة الإسلامية في عُمان

حين ظهر الإسلام في الحجاز كان بنو الجلندي بن المستكبر المعوليون يحكمون عُمان ، فقد ادرك الإسلام ملكا عُمان عبد وجيفر من بني الجلندي . وخبر انتشار الإسلام بعُمان لا يختلف عن انتشاره في البحرين حيث ان الرسول ﷺ بادر إلى الكتابة إلى ملكي عُمان يدعوهما بدعوة الإسلام بعد فتح مكة مباشرة على الاغلب وفي البلاذري[1] :

«بعث رسول الله ﷺ ابا زيد الانصاري احد الخزرج . . . وبعث عمرو بن العاص السهمي إلى عبد وجيفر ابني الجلندي بكتاب منه يدعوهما فيه إلى الإسلام وقال ان استجاب القوم إلى شهادة الحق واطاعوا الله ورسوله فعمرو الامير وابو زيد على الصلاة واخذ الإسلام على الناس وتعليمهم القرآن والسنن» .

وكان جيفر وعبد في صحار حين تسلما كتاب الرسول ﷺ واسلما مباشرة وبقي عمرو بن العاص حتى توفى الرسول ﷺ سنة 11هـ/632م ، فعاد إلى المدينة .

وتوضح رواياتنا التاريخية ان جيفر وعبد قبلا الإسلام عن يقين وقناعة لا عن خوف أو ضعف خاصة وأنهما كانا في منعة وقوة وأن بلادهما بعيدة عن الحجاز ، ومع ذلك فيحاول بعض المستشرقين أن يصّوروا العكس فيدعي ميور[2] بأن عمرو بن العاص ذهب إلى عُمان مع جيش وفتحها ويزعم كايتاني[3] بأن ضعف ملكي عُمان تجاه القبائل المتمردة ضد سلطتهم دفعتهما إلى المبادرة وطلب المعونة من الدولة الإسلامية الفتية ومن ثم اعتناق الإسلام!! ويرى مؤرخ محدث[4] ان سبب قبول حكام عُمان للإسلام يعود إلى ما يجلبه لهم من منافع ويثبت مكانتهم السياسية تجاه قوى المعارضة ولكننا لانجد في رواياتنا ما يؤيد ما ذهب إليه إلا أننا إذا تذكرنا موقف حاكم البحرين من الإسلام فلعلنا نشير إلى سبب مهم إلى جانب قناعة ملكي عُمان بالدين الجديد الا وهو أن الإسلام سيهيئ فرصة فريدة لعُمان -كما في البحرين- للتخلص نهائيا من النفوذ الساساني المجوسي الاجنبي وتحرير

(1) البلاذري ، فتوح ، ص 76- ابن سعد ، طبقات ، ليدن ج2 ، قسم 2 ص 18 .
(2) ميور ، الخلافة ، ص ٥٠.
(3) كايتاني ، حوليات الإسلام ، ص 129-130 .
(4) العاني ، عُمان ، 1 ص ، 75 .

سواحل عُمان من سيطرتهم وكذلك امتلاك الموانئ والسهول الساحلية التي كان احسنها بيد المرازبة والاستفادة من موارد التجارة البحرية بدل العمل كملاحين لسفن الفرس .

ومع ان عمرو بن العاص اصبح اميرا على عُمان من قبل حكومة المدينة الاان ذلك لم يحد من سلطة جيفر وعبدالجلنديين وكان التعاون بينهم تاما حيث يشير عمرو بن العاص :

«فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعا وصدقا بالنبي ﷺ وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم وكانا لي عونا على من خالفني فأخذت الصدقة من اغنيائهم فرددتها إلى فقرائهم . . .»[1] .

وفي رواية لابن سعد ان أزد عُمان . ارسلت وفوداً إلى الرسول ﷺ قبل ذلك ، ففي سنة 5هـ/625م ، ذهب وفد إلى المدينة ليتحرى عن الإسلام وليعلن بعد ذلك إسلامه . وبعد ان امضى عمرو بن العاص ثلاث سنوات في عُمان عاد إلى المدينة سنة11 هـ ، بعد وفاة الرسول ﷺ وصحبه وفد عُماني على رأسه عبد بن الجلندي ملك عُمان . وقد استمر عبد وجيفر يحكمان عُمان في ظل الخلافة الراشده . وجبوا الجزية من المجوس . كما قادوا حملة ضد الفرس في الرستاق وحاصروا الحامية الساسانية في صحار حين رفض المجوس الدخول في الدين الجديد وتحالفوا مع قبائل اخرى مثل العتيك ضد الإسلام ، وقد استسلم الفرس وحاميتهم العسكرية شرط ان يؤمن المسلمون اجلاءهم مع عوائلهم إلى بلاد فارس وقبل المسلمون هذا الشرط على ألا يفكر الفرس بالعودة ثانية إلى عُمان .

أما موقف عُمان من حركة الردة فيختلف حوله المؤرخون المحدثون . فالبلاذري والطبري وابن الاثير ومن أخذ عنهم يؤكد أن قبائل العتيك الازدية بزعامة لقيط بن مالك الازدي (ذو التاج) ارتدت وانحازت إلى دبا (قرب الفجيرة) فوجه ابو بكر الصديق رضي الله عنه حذيفة بن محصن البارقي الذي سند جيفر وعبد ودحروا المرتدين واقام حذيفة بعُمان حتى يمهد الأمور ويوطد الاستقرار . ولكن مؤرخين عُمان لا يتكلمون عن ردة حدثت في عُمان ويعلقون على روايات الرواد من المؤرخين بقولهم **«وكله باطل لا اصل له والله اعلم»**[2] ويرون ان حركة لقيط الازدي حدثت لاسباب شخصية تستر وراءها طموحات فردية وانشقاقات قبلية . وإن وفد عُمان الذي قابل الصديق أكد له انهم على الطاعة ولم يمنعوا الزكاة وأن حذيفة البارقي تعجل في تدخله من أجل قمع التمرد معتبرا إياه ردة وكان وفد

---

(1) ابن سعد ، طبقات ، ج 2، ص 27 .

(2) السالمي ، تحفة الاعيان ، ج1 ، ص 57 .

عُمان لا يزال في المدينة حين توفي الصديق وتولى الخليفة الفاروق الذي امر برد السبي والعفو عنهم[1] .

ومهما يكن من امر فقد كان من المحتمل ان تتطور حركة لقيط الازدي إلى ردة لولا تدخل حكومة المدينة وقمع حذيفة البارقي للفتنة . على انه دون شك لا يمكن مقارنة ما سمي بردة عُمان بما حدث من ردة عنيفة في البحرين واليمامة . وإن ما لاقاه العلاء بن الحضرمي في البحرين من مصاعب لا تقارن بما وجده عمرو بن العاص أو حذيفة البارقي .

وقد ظلت سلطة جيفر وعبد ثابتة وتوسعت إلى مناطق جديدة بعمان بعد الردة وخلفهما على السلطة عباد بن عبد ، ثم ان فقدان الاستقرار في عهدي عثمان وعلي رضي الله عنهما زادت من حرية قبائل عُمان وقللت من اثر السلطة المركزية فيها .

وقد ساهمت عُمان في الفتوحات الإسلامية الكبرى بالقبائل التي انخرطت مع جيش المسلمين بالبصرة لفتح بلاد فارس برا أو بحرا . ففي رواية تاريخية ان انتصار المسلمين في جلولاء بالعراق سنة 16 هـ/ 637م ، جعل عمر بن الخطاب يأمر واليه على عمان عُثمان بن ابي العاص بركوب البحر إلى الساحل الشرقي فخرج ومعه ثلاثة الاف مقاتل من الازد وراسب وناجيه وعبدالقيس وعبر بهم من جلفار (رأس الخيمة) إلى جزيرة إبن كاوان حيث استسلم قائد الحامية الفارسي فيها .

ولما علم يزدجرد ملك الفرس الساسانيين بذلك أمر عظيم كرمان بالتصدي للمسلمين ووقعت المعركة بين الطرفين في جزيرة القسم وانتصر المسلمون وبهذا قضي على آخر أمل للفرس في محاولة تطويق المسلمين والالتفاف عليهم من الجنوب بعد ان توغلوا من فارس الي جبهة العراق[2] .

هذا ولا ننسى دور العمانيين في الملاحة والتجارة البحرية ودورهم في تثبيت عروبة سواحل الخليج الشرقية[3] بالاشتراك مع اخوانهم بالبحرين والعراق عن طريق استمرار التواصل والهجرة والاستقرار في تلك السواحل .

---

(1) حول هذا الموضوع راجع ، فاروق عمر ، مصادر تاريخ عُمان ، ص 31 ، كاشف ، عُمان ، 30-33 .

(2) قلعجي ، الخليج ،ص144 .

(3) العاني ، عُمان ، الفصل السادس .

حين ظهر الإسلام لم تكن عُمان تابعة للدولة الساسانية رغم ان الفرس كان لهم نفوذ في عُمان قبل الإسلام، وان قبائل الازد اصطدمت بهم عند نزوحها إلى هذا الاقليم الاان النفوذ الفارسي كان محدودا يرتكز على شريط الساحل ومدن قليلة[1]. وقد استمر حكام عُمان من آل الجلندي يحكمون عُمان بعد انضمامها للدولة الإسلامية وقد وصف ابن سعد[2] جيفر بن الجلندي بأنه «ملك عُمان» وقال عنه ابن عبد البر بانه رئيس أهل عُمان ولكن سلطة آل الجلندي على القبائل لم تكن واسعة مما يشير إلى تمتع أهل عُمان باستقلالهم بعيدا عن اية سلطة وخلال حروب الردة ساند الخليفة ابو بكر الصديق آل الجلندي ضد المعارضين لهم أو المرتدين عن الإسلام ومع ذلك فقد كانت الخلافة الإسلامية ترسل عمالاً يمثلونها في عُمان تعاونوا مع آل الجلندي في حكم عُمان ولكن سلطتهم محدودة.

وحين اصبحت البصرة قاعدة عسكرية لفتوحات بلاد فارس ربطت عُمان بها في عهد عثمان بن عفان ﷺ لتسهل اجراءات تجنيد المقاتلة (تجمير البعوث) مع احتفاظ آل الجلندي بسلطتهم، على ان هذا الارتباط بالبصرة عزز العلاقة بينهما وكان عاملا في هجرة الازد إلى البصرة وقد استمرت عُمان على وضعها المستقل في بداية العصر الاموي فرغم كونها تابعة لامير العراق ظل آل الجلندي يديرونها. ولم يعين الامويون في الغالب والياً عليها وهكذا فان المصلحة المشتركة جعلت الطرفين الأموي والعماني يحافظان على الوضع الراهن فلا الدولة الاموية تدخلت في شؤون عُمان ولا آل الجلندي هددوا مصالح الامويين التجارية والأمنية في الخليج العربي، ولكن الوضع تغير فيما بعد كما سنلاحظ ذلك في الفصل التالي:

بواكير الحركة الاباضية

مثلت الحركة الاباضية منعطفاً نوعياً مهما في تاريخ الحركة الخارجية لثلاثة أمور جوهرية:

أولا: الاعتدال في الاراء والواقعية في اغلب المواقف السياسية اللذين ابعداها عن المثالية والتزمت والحماس الذي ميز حركات الخوارج الاخرى.

---

(1) فاروق عمر فوزي، مصادر تاريخ عُمان، ص280.

(2) ابن سعد، طبقات، ج1، ق2، ص 18.

ثانيا : مثلت الاباضية تحولا واضحا في ثورات الخوارج من حركات عنيفة غير مخطط لها إلى دعوة سرية منظمة تتميز بتنظيماتها الدقيقة وبذلك تكون امكانيات نجاحها اكبر كما اثبتته الوقائع التاريخية .

ثالثا : إن معارضتها للسلطة القائمة كانت ضمن مفاهيم ومبادئ وأهداف داخل الاطار الإسلامي والقيم العربية والموروثة . وهي بذلك تختلف عن الكثير من الحركات التي تسترت بالإسلام وأخفت عقائد بعيدة عن روحه وعن تراث المجتمع .

ومع هذه الميزات التي برزت في مفاهيم الاباضية فقد لعبت الظروف المحلية والقبلية دورها في انتشار الدعوة الاباضية في عمان . فلقد كان جابر بن زيد الأزدي إمام الدعوة ومؤسسها في البصرة من قبائل الحمير من الأزد من أهل عُمان ولعب دوراً مهما في نشر الدعوة بين أزد عمان . وأما أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، منظم الحركة الاباضية وإمامها بعد جابر بن زيد فكان يرسل دعاة «حملة العلم» ينتمون إلى قبائل عُمانية ليكون أثرهم أشد . وكان للظروف السياسية أثرها كذلك فولاة عمان في أواخر عصر الأمويين وبداية عصر العباسيين كانوا من الازد وقد «داهنوا الاباضية» وربما كان بعضهم إباضي المذهب ولكنه كان يخفيه تقية .

ولم يتعرض العباسيون في بداية عهدهم للأزد أو للأباضية في البصرة أو عُمان . ووقفوا على الحياد في الحرب التي دارت بينهم وبين الصفرية في عُمان ثم طلب خازم التميمي قائد الجيش العباسي من امام الاباضية الجلندي بن مسعود ان يسلم متاع شيبان اليشكري إمام الصفريه ويعترف ولو إسمياً بالولاء للعباسيين . وحين امتنع الامام الإباضي عن ذلك وقع الصدام .

«لقد اختلف المؤرخون المسلمون في أصل الاباضية وزمن نشوئها ويتضح لنا هذا الاختلاف في طبيعة الروايات المقتضبة التي أوردها هؤلاء المؤرخون[1] .

فقد عزا بعض المؤرخين الرواد الإباضية إلى عبدالله بن إباضي ، وقد تبعهم في ذلك عدد من كتاب الفرق والقائد»[2] .

(1) راجع ، الحركة الاباضية في المشرق ، ص 42-46 وقد اعتمدنا عليه في اغلب النصوص .
(2) ابن قتيبة ، المعارف ، (القاهرة ، 1960 ،ص 622) .

ولكن «يتفق أغلب المؤرخين الذين تطرقوا إلى سيرة ابن إباض على انتمائه إلى قبيلة تميم القاطنة في البصرة بشكل خاص، فهو عبدالله بن إباض من بني مرة بن عبيد[1] رهط الأحنف بن قيس التميمي[2].

ذكر الأزكوي: أنه «نشأ في زمان معاوية بن أبي سفيان وعاش إلى زمن عبدالملك بن مروان..»[3]. ويحتمل أنه ولد في العقد الأول من خلافة معاوية بن أبي سفيان (41-60هـ) 661-679م وبهذا يكون عمره عند اشتراكه في الحرب مع عبدالله بن الزبير ضد القوات الأموية عام 64هـ لا يتجاوز أربعة وعشرين عاما، ويتضح من الرسالة[4] التي كتبها رداً على رسالة عبدالملك بن مروان ما يوافق صحة هذا الاستنتاج إذ يظهر من متنها إنه كان مدركاً ومميزا للأمور: «فلا تسأل عن معاوية ولا عن عمله ولاصنعه، غير أنا قد ادركناه ورأينا عمله وسيرته في الناس...».

«ولا يمكننا ان نحدد تأريخا لوفاته لطول فترة حكم عبدالملك بن مروان الممتدة من (65هـ-684م /86هـ-705م) غير اننا نستطيع الجزم من خلال ما تضمنته الرسالة المارة الذكر انه عاش بعد سنة (٦٧هـ/686م)، إذ اشار فيها إلى هزيمة المختار بن ابي عبيدة الثقفي من قبل مصعب بن الزبير»[5].

«وفيما عدا هذه الاشارة نلاحظ أن كتب السير الإباضية تكاد تسكت سكوتا مطبقا فيما يتعلق بالحياة الشخصية والسياسية لعبدالله بن إباض، الذي نسب اليه المذهب الاباضي، بل نجد هذه المصادر تتضارب رواياتها وخاصة فيما يتعلق بمركزه السياسي في الدعوة الاباضية، فالدرجيني يعتبر عبدالله بن إباض «إمام أهل الطريق المؤسس لأبنية

---

(1) المبرد، الكامل، باب الخوارج (دمشق، لات)، ص 118، كذلك الحركة الاباضية في المشرق، ص 46-53، وقد اعتمدنا عليه نصا.

(2) مؤلف مجهول، قطعة من كتاب الأديان، مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم، 289، ورقة 198.

(3) الازكوي، كشف الغمة، ورقة 244، ب، عن الحركة الاباضية في المشرق، ص 46، حيث اعتمدنا عليه نصاً. عبدالله بن اباض، السيرة المنسوبة اليه ضمن كتاب سير وتراجم العلماء الموسوم: (بالسير العمانية) بمكتبه الامام غالب بن علي بالدمام، - البرادي الجوهر المنتقاة فيما أخلّ به كتاب الطبقات، ص 163- كشف الغمة، ورقة 1305 الحركة الاباضية في المشرق، ص 47.

(4) سيرة عبدالله بن إباض ورقة (7)، كشف الغمة 1205.

(5) السير العمانية، سيرة ابن باض، ورقة6 الحركة الإباضية في المشرق، ص 48.

هي مستندات الأسلاف . . .»[1] وبالاضافة إلى كونه مؤسسا للمذهب فهو **«رأس العقد ورئيس من البصرة وغيرها من الأقطار . . .»**[2] ويلاحظ من نص الدرجيني عدم تحديد فترة امامته ورئاسته ، كما اشار إلى فضائله المشهورة «المخلفة في بطون الأوراق »[3] ولم يصلنا منها شيء الا ان الشماخي يخالف الدرجيني فيما ذهب اليه ، ويقول بإمامه جابر بن زيد ويعطي دوراً ثانويا لعبدالله بن إباض» .

«فإذا كان عبدالله بن إباض مؤسسا للمذهب الاباضي؟! فلماذا لا نلاحظ آثارة العقائدية والفقهية في مؤلفات الإباضية! وأمهات كتبهم خاصة ، وما وردنا عنه الا رسالته لعبدالملك بن مروان ، ورده على نافع بن الأزرق الذي يمثل وجهة نظره في القعود احتفظت به كتب الاخباريين غير الاباضية»[4] .

«وهنا نكون أمام احتمالين ، الأول : أن عبدالله بن إباض ، احد مجتهدي الاباضية وعلمائها البارزين»[5] ، وقد عبر عن جهة نظر المعتدلين ، من المحكمة الأولى ، وقد غلبت شهرته عليهم فسّموا بالاباضية ، وقد أوضح الخطوط العريضة للفكر الاباضي مميزا بينهم ، وبين الحركات الخارجية المتطرفة كالأزارقة ، والنجدات وغيرهم من الخوارج .

ومن جهة أخرى ، ونتيجة للمراسلات ، التي جرت بين عبدالله بن إباض وعبدالملك بن مروان فقد خيّل للسلطة الأموية ، ووقع في ظنها أن عبدالله بن اباض هو المؤسس للدعوة الإباضية ، ولذا نسب إليه المذهب الاباضي ، وسمي باسمه .

والاحتمال الثاني : وهو ان الجماعة المعتدلة من المحكمة الأوائل أوعزت إلى عبدالله بن اباض ليكون المتكلم ، والمناظر المعبر عن وجهة نظرهم المبدئية ، وخير دليل على ذلك ان النشاط السري «مرحلة الكتمان» وجد قبل المراسلات بين عبدالله بن إباض ، ونافع بن الأزرق[6] وسبق تبادل الرسائل بين عبدالله بن اباض وعبدالملك وهذا يؤكد سرية النشاط الإباضي في البصرة اذ لم تجر المراسلة بين قادة التنظيم والسلطة المركزية بدمشق ، وكان

---

(1) الدرجيني ، ابو العباس أحمد ، طبقات الاباضية ، 1/ ورقة 93ب .

(2) المصدرالسابق .

(3) كتاب السير ،ص 77 .

(4) الحركة الإباضية في المشرق ، ص 49 فما بعد حيث اعتمدنا عليه نصا .

(5) الطبري ، الرسل والملوك ، 568/5 .

(6) الحركة الإباضية في المشرق ، ص 50 .

المفروض أن يجري تبادل الرسائل بين جابر بن زيد وعبدالملك بن مروان ، ومما يؤيد هذا الرأي ما ذكره الشماخي : بأن ابن إباض «يصدر في امره عن رأي جابر بن زيد»[1] ، ورواية الرقيشي التي يقول فيها :«فقد بلغنا ان أبا بلال مرداس بن جابر . . . وغيره من أئمة المسلمين لم يكونوا يخرجون إلا بأمر امامهم جابر بن زيد العماني رحمه الله ، ومشورته ،و يحبون ستره عن الحرب ، لئلا تموت دعوتهم ، وليكن رداء لهم . . .»[2] .

من خلال هذه النصوص يبدو أن ابن اباض لم يكن الا شخصية مشهورة ، عبرت عن وجهة نظر الإباضية فنسب المذهب اليه لأن السلطة الأموية لم تعرف غيره من قادة المحكمة المعتدلين . وقد أدرك ذلك نور الدين السالمي فنظم هذا المعنى شعرا[3] اكد فيه شهرة ابن إباض وحسن سيرته ولم يشر إلى كونه إماماً .

ومن هنا ندرك أن الإباضية مجرد تسمية للخط المعتدل ، من المحكمة الذي بقي حتى يومنا هذا .

الظروف السياسية التي رافقت نشوء الإباضية[4]:

«لا يمكن معرفة نشأة الأباضية ، بمعزل عن دراسة الظروف السياسية التي مر بها المحكمة الأولى في صراعهم مع السلطة الأموية . إن الظروف العصيبه التي واجهت الأمويين إبان خلافة يزيد بن معاوية ت (64هـ/ 683م) ، ثم بعد وفاته ، مكنت الاحزاب المناوئة للسلطة الأموية من النهوض ، ومحاولة اسقاط الأمويين عن الحكم بكل وسيلة ممكنة ، وقد كانت للأحداث الأليمة في المدينة المنورة على يد القائد الأموي مسلم بن عقبة في وقعة الحرة عام (63هـ) واستباحتها ، وقتل العديد من أهلها أثراً بليغاً لدى المحكمة الأولى فرأوا وجوب الدفاع عن مكة المكرمة ،لئلا يحل بها ما حل بالمدينة قبلها ، فاشترك عبدالله ابن

---

(1) الطبري ، الرسل والملوك 568/5- يتفق الدكتور خليفات مع هذا الرأي راجع ، نشأة الحركة الاباضية ، عمّان 1978 ، ص 84 .

(2) الشماخي ، السير ، ص 77 ، الرقيشي ، مصباح الظلام ورقة 20 ب . الحركة الإباضية في المشرق ، ص52

(3) الحارثي ، سالم بن حمد ، العقود الفضية في أصول الإباضية ، بيروت ،1974 , 122 .

(4) الحركة الإباضية في المشرق ، ص 53-58 حيث اعتمدنا عليه نصا .

اباض مع ابرز شخصيات المحكمة الأول ، كنافع بن الازرق ، ونجدة بن عامر الحنفي ، وغيرهم من الزعماء المشهورين للدفاع عن مكة بجانب عبدالله بن الزبير ، بغض النظر عن اختلاف الاهداف السياسية للفريقين ، فقد جمعهم ، مصلحة الدفاع المشترك ضد العدو الواحد .

وبعد ان قاتل المحكمة مع ابن الزبير الحصين بن نمير السكوني خليفة مسلم بن عقبة الذي قام بمحاصرة ابن الزبير بمكة افترقت المحكمة مع عبدالله بن الزبير نتيجة لاختلاف المبادئ والاهداف وخاصة في مسألة الخلافة ، فتركوه إلى البصرة في عام 64هـ ، حيث تعرض عبدالله بن اباض مع مجموعة من أبرز قيادي المحكمة الأولى إلى السجن مع مائة واربعين سجينا .

وفي الوقت ذاته اتجهت مجموعة اخرى من المحكمة بعد فراقها لابن الزبير إلى اليمامة بزعامة ابي طالوت من بني زمان بن مالك بن بكر بن وائل ، وعبدالله بن ثورابي وفديك بن قيس بن ثعلبة ، وعطية بن الأسود اليشكري الذين بايعوا فيما بعد نجدة بن عامر الحنفي وسموا بالنجدات[1] .

وقد مكنت الظروف السياسية ، بعد وفاة يزيد بن معاوية عام 64هـ/ 683م ، المحكمة الأولى من الخروج من سجن البصرة بصورة جماعية ، بما فيهم عبدالله بن إباض ، ونافع بن الأزرق بعد أن اصبح موقف الوالي الأموي عبيدالله بن زياد ضعيفاً جدا ، مما مكن المحكمة بما لهم من قوة حجة ، وحماس ، وانتشار بين الأمة أن يفسدوا حتى البيعة التي حصل عليها من أهل البصرة بعد موت يزيد وأدى ذلك إلى هروبه إلى الشام» . وقد وقفت المحكمة الأولى في البصرة على مفترق الطرق نتيجة لاختلاف واجتهاد القادة ازاء الظروف الجديدة بعد هروب عبيدالله بن زياد إلى الشام . وهذه المواقف أدت إلى تحولات أثرت على المدى البعيد في مسيرة المحكمة الأولى في البصرة ، ونظرا لخلو الميدان من القائد المتميز الذي يجمع المحكمة تحت رايته لتحقيق أهدافهم في اسقاط السلطة الأموية ، فقد انقسموا إلى قسمين رئيسين :

---

(1) البلاذري انساب الاشراف ، ج4 ، ق2 ، القدس ، 1938 ، ص 102 .

قسم أراد الخروج بزعامة نافع بن الأزرق ، وقد ساعدهم على الخروج الفتنة القبلية في مدينة البصرة بين الأزد وربيعة ، وبني تميم وقيس[1] .

وقسم لم يرتأوا الخروج ، وهم الأقلية ومنهم عبدالله بن إباض ، وعبدالله بن صفار ، ورجال معهما على رأيهما»[2] .

«وقد تبع الانقسام الأول انقسام فكري ، كان له أثره في سلوك الحركات الخارجية من حيث التطرف والاعتدال ، فقد تبرأ نافع بن الأزرق من الذين تخلفوا عنه في البصرة ، ولهذا كتب رسالة إلى عبدالله بن صفار وعبدالله بن إباض ، ومن تخلف من الخوارج في البصرة يدعوهم فيها إلى وجوب الالتحاق به ، ووصف المسلمين ، من غير الخوارج بالشرك وجواز استعراضهم ، وعدم جواز مناكحتهم ، وموارثتهم[3] . وقد حفظ المبرد نص الكتاب الذي اثار الجدل والانقسام العقائدي بين المحكمة الأولى ، جاء فيه :(بسم الله الرحمن الرحيم : اما بعد فإن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ، والله انكم لتعلمون أن الشريعة واحدة والدين واحد ففيم المقام بين اظهر الكفار ، ترون الظلام ليلاً ونهاراً وقد ندبكم الله إلى الجهاد ، فقال : ﴿وقاتلوا المشركين كافة﴾ ، ولم يجعل لكم في التخلف عذرا في حال من الاحوال»[4] .

«إلا أن ماورد في الرسالة قلب افكار ابن إباض رأسا على عقب فقال عبدالله بن إباض رداً على الافكار الواردة في الرسالة ، آنفة الذكر :«**قاتله الله أي رأي ، صدق نافع بن الأزرق ؛ لو كان القوم مشركين وكانت سيرته كسيرة النبي ﷺ في المشركين ، ولكنه قد كذب وكذبنا فيما يقول : إن القوم كفار بالنعم والأحكام وهم براء من الشرك ، وما سوى ذلك من أموالهم فهو علينا حرام**»[5] .

«وقد أثارت آراؤه هذه انشقاقا جديداً بين القعدة من خوارج البصرة ، فقد تبرأ منه عبدالله بن صفار ، واتهم ابن اباض بالتقصير ونافع بن الأزرق بالغلو ، وتبرأ منهما ، وأيده في ذلك ابو بيهس هيصم بن جابر الضبعي ، الذي ذهب إلى القول بجواز الاقامة بين

---

(1) الرسل والملوك ، 567/5 ، الحركة الاباضية في المشرق ، ص56 .

(2) الرسل والملوك ، ص 568/5 .

(3) الحركة الاباضية في المشرق ، ص 56 ، فما بعد حيث اعتمدنا عليه بالنص .

(4) الرسل والملوك ، 568/5 .

(5) المصدر السابق .

المسلمين ، ومنا كحتهم وموارثتهم باعتبارهم منافقين ، لأنهم يظهرون الإسلام وحكمهم عند الله حكم المشركين[1] . ومن هنا تكونت الفرق الخارجية التي كفرت بعضها ، كالصفرية ، والاباضية ، والبيهسية ، والأزارقة . وقد كان الانشقاق ، من ابسط الامور وأبرز الظواهر لدى الحركات الخارجيه في هذه الحقبة ، ولا يوجد هناك دليل تاريخي ، يثبت الرأي الذي طرحته سهير قلماوي : «**بأن انقسامهم خطة مدبرة للهجوم على الدولة الأموية**[2] ، **فلم يحدث ما يشير إلى وفاق بينهم ، بل على العكس من ذلك رأينا القتال بين الصفرية والاباضية فيما بعد**» .

ابو بلال مرادس[3]

«يعتبر أبو بلال مرداس بن عمرو التميمي من ابرز أئمة المحكمة الأولى وكانت جميع الفرق الخارجية بعد انقسامها تعتبره اماما من أئمتها[4] ، الا ان الاباضية هي الفرقة الاكثر تأثراً بسيرته ، فقد عرف بالزهد والتقوى وحسن السيرة ، وقد خرج في عام 61هـ/ 680م ، على عبيدالله بن زياد بعد أن ضيق كثيرا على خوارج البصرة . واشار البسيوي إلى ذلك بقوله : «**وصارت الدولة في أيدي الجبابرة ، حيث ما سمعوا بأحد من المسلمين قتلوه أو حبسوه عبيدالله وأشياعهم . . . فلما كثر الجور واستخف بالإسلام خرج عليهم المرداس بن جدير فيمن اتبعه**»[5] وكان عدد الذين خرجوا معه اربعين رجلا نزلوا قرية آسك في الاحواز ولم يكن «**يدعي هجرة ولا ينتحلها ولا يخيف أمنا ولا يستحل استعراضا . . . ولا يغنم أموالاً ولا يسبي ذرية ولا ينزل قومه منزلة أهل الأوثان . . .**»[6] وهذه السلوكية طبعت الاباضية في معاركهم ومعاملتهم لأهل الخلاف من المسلمين ، وقد خالفتها الأزارقة وخاصة فيما يتعلق بالهجرة والاستعراض وتشريكهم للمسلمين . كما كان ابو بلال مرداس يؤمن بأخذ العطاء من السلطان الجائر ، فعندما مر به مال حمل لعبيدالله بن زياد أخذ منه اعطيات اصحابه ورد الباقي ، فطلب منه اصحابه اخذ المال كله ، فقال :«**إنهم يقسمون هذا الفيء ، كما يقيمون الصلاة فلا نقاتلهم**»[7] .

---

(1) المبرد ، الكامل ، ص 118 الحركة الاباضية في المشرق ، ص 57 فما بعد .
(2) قلماوي ، سهير ، أدب الخوارج ، مصر 1945 ص 35 .
(3) راجع الحركة الإباضية في المشرق ، ص 58 ، قارن خليفات ، المرجع السابق ، ص 64 ، فما بعد .
(4) الرقيشي ، مصباح الظلام ، ورقة 21 .
(5) البسيوي ، الحجة على من أبطل السؤال في الحدث الواقع بعمان ، ورقة 10 .
(6) الرقيشي ، مصباح الظلام ، ورقة 21 .
(7) المبرد ، الكامل ، ص 83 .

«ومن آرائه كذلك أنه يلقي الحجة في الحرب على المخالف المسلم ولا يقاتل الا من قاتله[1] . أي الدعوة أولا ثم الحرب ثانيا . وقد تركت سيرته هذه أثرا عميقا في سلوك الاباضية ، وبخاصة فيما يتعلق بأخذ الأعطيات حيث ترد مثل هذه الأحكام في الفقه الإباضي ، وتمثل انعكاسها لرأي أبي بلال مرداس[2] وقد قتل ابو بلال مرداس من قبل عبيدالله بن زياد عام 61هـ . قتله عباد بن الأخضر في موقعة آسك الشهيرة لدى الخوارج»[3] .

النشاط السري للدعوة الاباضية[4]:

«إن كتب السير الإباضية تحوي روايات متفرقة عن حياة الدعاة الأباضية ، وكذلك عن طبيعة التنظيمات وأساليبها . ومما يوثق هذه المعلومات ، ويقيم الدليل على صحتها ، أن الراوية ابا سفيان محبوب بن الرحيل ، كان قد عاصر هذه التنظيمات ، وقد وصلتنا رواياته في مجموعة من المصادر الإباضية المختلفة .

أما رسالة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، لدعاة المغرب فهي تمثل العلاقة التنظيمية والصلة الوثيقة بين الدعاة الإباضية في المشرق والمغرب ، وتقيم الدليل على سرية العمل فالبصرة مركز الدعوة للتنظيم الإباضي لاسيما وأنها وردت في مدونة أبي غانم بشر بن غانم الخراساني إحدى اقدم المصادر في الفقة الإباضي ، وهذه الوثيقة تقيم دليلا على استمرار التنظيم الإباضي حتى مطلع العقد الرابع من القرن الثاني الهجري أبان قيادة أبي عبيدة مسلم للدعوة الإباضية .

وهناك نصوص تتكلم بوضوح عن المجالس السرية في الدعوة الاباضية ، وقد انعكست الظروف التي مرت بها الدعوة في مراحلها الأولى إبان التنظيم السري (الكتمان) ، وفي

---

(1) الدرجيني طبقات الاباضية 1/ ورقة 16 ب ، (3) الشماخي ، ص 90 عن ابي بلال مرداس راجع الحركة الاباضية في المشرق 58 ، خليفات ، نشأة الحركة الاباضية ، ص 64-74 ، «وقد انكر الخوارج المتطرفون قعود أقرانهم اتباع مرداس عن الثورة فلقبوهم بالقعدة أي الذين قعدوا عن الجهاد .

(2) الطبري ، الرسل والملوك، 471/5 .

(3) قال الحموي وآسك «بلد من نواحي الاهواز قرب أرجان وكانت بها وقعة للخوارج . . .» وفيها قيل شعر يعبر عن الصلابة والفداء في سبيل العقيدة الذي كان سر انتصارات الخوارج ، معجم البلدان ، مج١ طهران ، 1965 ، ص 61 .

(4) انظر الحركة الاباضية في المشرق ، ص 68 فما بعد حيث اعتمدنا على ما أورده في هذا المجال نصاً .

كتب الفقة الاباضي ، ويمكننا أن نقول إن كتب الفقة الاباضي جارت الواقع السياسي الذي عاشته الدعوة ، فالزكاة لها أحكامها في حالة الظهور والكتمان . والامامة لها أحكامها ايضا في مثل هذه الحالات .

فالكتمان والظهور اذن مرحلتان طبيعيتان في مسار الدعوة الاباضية ، وكل من المرحلتين لهما ميزاتهما السياسية والفقهية .

فالكتمان بحاجة إلى طريقة أو اسلوب في العمل وخاصة بالنسبة إلى جماعة لها أهداف في السياسة والحكم . ويمكن تعريف الكتمان لدى هذه الدعوة بأنه يمثل أدنى مراحل الضعف ، وبسبب هذا الضعف تلجأ الدعوة إلى الكتمان لبناء نفسها والاستعداد للظهور . ولذا سنحاول أن نكوّن صورة واضحة المعالم للنشاط السري للدعوة الإباضية في مدينة البصرة» .

الامام جابر بن زيد[1]

«لا نعلم بالتحديد متى بدأ التنظيم السري للدعوة الإباضية وتشير بعض النصوص إلى بدايته على عهد الإمام جابر بن زيد (21-93هـ/ 641-711) ولا تتطرق المصادر إلى أي دور يذكر لعبدالله بن اباض في النشاط السري للدعوة الاباضية ، وبهذا يكون الامام جابر بن زيد واضع الأسس التنظيمية الأولى للدعوة ، ومن المحتمل أن الجماعة المعتدلة من المحكمة الأولى لجأت إلى هذا الأسلوب نتيجة لحملات الابادة التي تعرض لها الخوارج في البصرة في عهد زياد بن ابيه وابنه عبيدالله لاسيما وأن هذه الحملة شملت من كان يدين بالاستعراض ، ومن كانت سمعته الاعتدال : كأبي بلال مرداس . يقول الرقيشي «قد بلغنا أن أبا بلال مرداس بن حدير رحمه الله وغيره من أئمة المسلمين لم يكونوا يخرجوا إلا بأمر امامهم جابر بن زيد العماني . . . ومشورته ويحبون ستره عن الحرب لئلا تموت دعوتهم ليكون ردءاً لهم ، ومن هذا النص يتضح أن رأس الدعوة في عهد عبيدالله بن زياد جابر بن زيد . ومما زاد الجماعة المعتدلة في المحكمة قناعة باتباع هذا الطريق فشل الكثير من الحركات الخارجية المتطرفة .

---

(1) الحركة الاباضية في المشرق ، ص 70– قارن خليفات المرجع السابق ، ص 86 ، سامي ابو داود ، جابر بن زيد ، اطروحة ماجستير غير منشورة ، جامعة آل البيت ، المفرق 1997م .

وبما يؤكد أن جابربن زيد كان المسؤول عن التنظيم السري الاباضي النص الذي رواه أبو سفيان عندما أعتقل احد مشايخ الدعوة الاباضية المسمى أبو سفيان قنبر «وكان شيخا كبيرا أخذ وجلد أربعمائة سوط على أن يدل على أحد من المسلمين فلم يفعل، قال جابر بن زيد وكنت قريبا منه، وما كنت انتظر الا أن يقول هذا هو فعصمه الله»[1]، ومن المعلوم أن جابر بن زيد كان من الشخصيات العلمية البارزة آنذاك ليس لدى الاباضية فقط بل لدى عامة المسلمين وعلمائهم خاصة، فقد ترجم له خليفة بن خياط في كتاب الطبقات، باعتباره أحد أئمة الحديث[2]. لقد كان للصلابة التي أبداها الدعاة الاباضية، في مواجهة السلطة الأموية والحيطة والحذر وبث العيون حول مجالسهم السرية، قد مكن التنظيم الاباضي من النمو والأتساع. ولم تستطع السلطة الأموية في البصرة أن تضع يدها على أي مجلس من مجالسهم السرية، قال أبو سفيان محبوب بن الرحيل: **«وما بلغنا أنهم ظفر بهم في مجلس قط إلا أنهم كانوا ذات مرة في عهد زيادة وإنه أتاهم الخبر بأن الخيل تريدهم فخرجوا مسرعين وتركوا نعالهم على باب البيت الذي كانوا فيه، فجاءت الشرطة فنظروا إلى النعال، فقالوا للعجوز صاحبة البيت: ما هذه النعال فقالت: مكاتب لنا يسأل الناس فيعطي النعال وغيرها، قالوا بالله ما ذلك كما ذكرته، فإن هذا موضع ريبة قال فقال بعضهم قد ذكرت العجوز ما ذكرت، فلا تعرضوها للبلاء فلعلها أن تكون صادقة، قال: فعافاها الله منهم»**[3]. ويتضح هنا أن للمجالس رقباء وعيون تحرسها، ولذا خرجوا قبل مداهمة الشرطة لهم»[4].

وزيادة في التستر والكتمان، فقد ابتكروا طرقا جديدة في التستر والتنكر، فكانوا «يأتون المجالس أيام زياد وابنه في هيئة النساء في النقاب وغير ذلك يتشبهون بالنساء... وكان أحدهم ليحمل عل ظهره جرة بماء ويحمل حمله متاع كأنه بياع حتى يدخل المجلس»[5]، ويظهر هذا النص في المدى البعيد، الذي اتبعه الدعاة الإباضية للتستر على مجالسهم، ويعكس في الوقت نفسه الظروف القاسية والبطش الشديد، الذي ألجأهم إلى التنكر بهذه الصورة للحفاظ على دعوتهم، بعيداً عن أعين الرقباء.

---

(1) الشماخي السير، ص 93، الحركة الإباضية في المشرق، ص 71.

(2) ابن خياط، كتاب الطبقات، ص210.

(3) الشهر ستاني، الملل والنحل، ص 137.

(4) الشماخي السير، ص 77.

(5) الدرجيني، طبقات الإباضية 1/ ورقة 107، الحركة الاباضية في المشرق، 73 حيث اعتمدنا على ما اورده نصا.

«وقد ساهم الامام الاباضي جابر بن زيد في أحكام التنظيم الإباضي ، ففي نص فقهي مدعم بدليل تاريخي ، يشير إلى سرية التنظم ودور جابر بن زيد ، فقد سلط الضوء على جانب مهم من الجوانب السرية للكتمان وهذا الجانب يتمثل في موقف زعماء الدعوة الإباضية من الخارج عن التنظيم الاباضي ، فلو خرج هذا الخارج من الدعوة الاباضية ولم يطعن فيهم ، ويدل على عوراتهم ، تركوه وشأنه ولكن يوجبون بغضه وعداوته«وإن خرج من مذهب المسلمين وخالفهم وطعن في مذهبهم فقد حل قتله كما فعل الامام الصالح جابر بن زيد رحمه الله حين سأل عن أفضل الجهاد ، فقال للسائل أفضل الجهاد قتل خردلة»[1] فأخذ أحد غلمان الإباضية خنجرا مع رجل منهم ، فدله على خردلة فقتله في المسجد ، وقال الجيطالي شارحا لهذا النص :«وكان خردلة هذا فيما وجدت من أهل هذه الدعوة ، ثم خرج عنها وتركها ، فجعل يطعن على المسلمين ويدل على عوراتهم فلذلك استحل جابر قتله . . .»[2] .

وإذا قارنا هذا النص بنصوص أخرى فيما يتعلق بموقف الإباضية من القتل يمكن القول إن الاباضية لاتستحل دماء مخالفيهم من المسلمين الا في حالة الحرب ، وبعد القاء الحجة على المخالف «وتحل الدماء بالظلم والابتداء به» ولهذا ، فمقتل خردلة له معناه السياسي ، لأنه شكل خطراً على حياة الدعوة وهو افشاء اسرارها ، فكان قتله افضل الجهاد في تلك الحقبة العصيبه من حياة الاباضية .

ويظهر ان النشاط الاباضي بدأ يشكل خطرا على سلطة الحجاج بن يوسف الثقفي ، في عهد الامام جابر بن زيد ،لذا عمد الحجاج إلى نفيه إلى عُمان مع احد مشايخ الدعوة المسمى هبيرة[3] . وقد استفادت الدعوة الاباضية بصورة غير مباشرة من نفي جابر إلى عُمان حيث بذرت بذورها الأولى هناك[4] وقد قام الحجاج بن يوسف باعتقال جابر وحبسه . فحين سأله عن الخنث كيف يورث «فقال تحبسوني وتستفتوني؟» .

---

(1) الدرجيني ، طبقات الإباضية 1/ ورقة 107 ، الشماخي ، السيرة ، ص 108 .

(2) الجيطالي ، شرح قواعد الإسلام ، ورقة 25ب ، 26 ، سامي ابو داود ، مرجع سابق ، ص54Æ

(3) البسيوي ، مختصر البسيوي (زنجبار ، 1309هـ) ، ص 7 ، هبيرة هو جد الراوية لهذا الخبر .

(4) الشماخي ، السير ، ص 81 .

«إن العلاقة بين الحجاج وجابر قبل نفيه إلى عمان اتسمت على ما يبدو بالود ، وكان لكاتب الحجاج يزيد بن ابي مسلم دوراً في تحسين هذه العلاقة ، لأنه يرى رأي الخوارج[1] ويحتمل أنه كان يهون من أمر جابر ، ولما كانت لجابر شخصية علمية بارزة ، فقد عرض عليه الحجاج أن يشغل منصب القضاء ، «**قال لاينبغي أن نؤثر بك أحد نجعلك قاضيا للمسلمين**»[2] . وقد رفض جابر بن زيد هذا العرض متظاهرا بضعف الشخصية والكفاءة .

وعندما طالب جابر بن زيد بعطائه المقطوع عنه قال له الحجاج :«**هذا لا يستقيم أن نعطيك من بيت مال المسلمين ولا نستعملك لهم**»[3] . وقد اقترح يزيد بن ابي مسلم على الحجاج مقابل ذلك ، أن يعمل جابر في (ديوان المعاملة) في البصرة ، وقد كتب يزيد بن ابي مسلم لصاحب ديوان البصرة أن لا يكلف الشيخ مؤونة العمل ويعطيه عطاءه كاملا ، وكان عطاؤه سبعمائه درهم أو ستمائة درهم[4] .

من هذا يتضح لنا الدور الكبير الذي قام به جابر بن زيد في مرحلة الكتمان ، ويحتمل أنه المؤسس للنظام السري في الدعوة الاباضية في البصرة في العقد السادس من القرن الأول الهجري[5] وليس كما رجّح الدكتور محمود إسماعيل : بأن التنظيم الاباضي بدأ في العقد الاخير من القرن الأول الهجري[6] ، لأن جابر توفي في مطلع العقد الاخير من القرن الأول الهجري (عام 93هـ/ 711م)[7] ، وقيل 96هـ»[8] .

الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة

«لقد بلغ التنظيم الإباضي أوج ازدهاره على يد ابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة الداهية السياسي[9] ، الذي يعتبر واحداً من الشخصيات اللامعة في مجال التنظيمات السرية ، في

(1) الدرجيني ، الطبقات ، 1 ، ورقة ، 119 ، الحركة الإباضية في المشرق ،ص76 ، قارن خليفات ، ص86 .
(2) الحركة الاباضية في المشرق ، ص 76 .
(3) الشماخي ، السير ، ص ٧٤.
(4) الدرجيني ، طبقات الإباضية ، 1 ، ورقة ، 92 ب .
(5) الدرجيني ، طبقات الإباضية ، 1 ، ورقة ، 10 ، الشماخي ، السير ، ص 108
(6) إسماعيل محمود ، الحركات السرية في الإسلام ، (القاهرة 1973) ، ص 32
(7) خليفة بن خياط ، الطبقات (بغداد 1976) ، ص 210
(8) الشماخي ، شرح مقدمة التوحيد ، ورقة 16ب ، 117 .
(9)الحركة الاباضية في المشرق ، ص 78-82 ، حيث اعتمدنا على ما أورده نصا .

تلك الحقبة ، ويدل على ذلك لقبه الذي يعرف به . فقد أصبح لقب (القفاف) من ابرز ألقابه ، ومعناه أن ابا عبيدة كان يتظاهر بعمل القفاف عند تدريسه للدعاة الاباضية ، حينما يلمح عيون السلطة الأموية أو العباسية .

ورغم المحن التي مر بها أبو عبيدة مسلم ، فقد برهنت هذه المحن على صدق ايمانة بدعوته ، وعدم انكشاف أمره ، فعندما تعرض لسجن الحجاج بن يوسف الثقفي هو وأحد مشايخ الدعوة المسمى ضمام بن السائب مدة طويلة استمرت حتى وفاة الحجاج بن يوسف الثقفي في شوال عام 713/95 ، ولم يكشف أمرهما رغم العذاب ، وظروف السجن السيئة . وليست لدينا معلومات فيما إذا كان هناك توافق بين نفي جابر بن زيد إلى عُمان وسجن ابي عبيدة وضمام . ويبدو أن الحجاج قد أدرك خطورة تأثيرهم ، فعمد إلى هذه الاجراءات للحد من نشاطهم .

وقد ظهر بشكل خاص من الشخصيات البارزة في ميدان التنظيم السياسي شخصية فذة إلى جانب ابي عبيدة مسلم ، وهي شخصية حاجب أبي مودود الطائي[1] ، وتظهر كفاءته في حل المشاكل التي كانت تحدث في الدعوة ومراقبة مجالس الدعاة والحفاظ عليها ، بشكل لا يسترعي انتباه السلطة الأموية ، فقد ارسل إلى احد الدعاة النشطين الذين كانت تعقد المجالس في بيوتهم ملاحظتين يؤاخذ عليهما الأولى : كثرة الجماعة التي يضمها المجلس وهذا مناف للسرية ، والثانية : إن الجيران تسمع كلامهم وهذا الأمر يشي بهم لدى السلطة ، فأرسل اليه محذرا فقال له :«أرفق على نفسك يا عبدالملك ما هذا الذي بلغني انكم تفعلون ، قال : إنا لنفعل وإن أمرتنا أن لا نفعل تركنا»[2] ويتضح من هذا النص استجابة الدعاة لمشايخ الدعوة الاباضية» .

«ففي الوقت الذي ظهر فيه ضعف الدولة الأموية ، وتدهورها في أواخر عهدها ، بدأ الدعاة الاباضيةشأنهم شأن حركات المعارضة الاخرى ، يتهيأون لدخول المعترك السياسي ، فقد كان ابو مودود حاجب والمشايخ الاباضية يخططون لمواجهة الظروف الجديدة .

وكان لمشايخ الدعوة الاباضية مجالسهم الخاصة ، التي يقتصر حضورهم فيها دون غيرهم «بلغنا ذات ليلة أن في منزل حاجب فلعلهم يأذنون لنا» ، وكان ابو حمزة المختار بن عوف

---

(1) كشف الغمة ، ورقة 389 ، ب .

(2) الدرجيني ، طبقات الاباضية ، 107/1 الشماخي السير ، ص 107 ، الحركة الاباضية في المشرق ، ص78 .

الأزدي ، الذي استولى على الحجاز عام 129هـ/ 746م ، ممن يحضرون هذه المجالس مع زميله في معارك الحجاز بلج بن عقبة الأزدي ، ولعل مثل هذه المجالس ، كانت تعقد للتنظيم والاعداد للحركة الاباضية في اليمن عام 129هـ ، لا سيما أن أبا حمزة وبلج بن عقبة من روادها ، ومن جهة أخرى على ما تقول الرواية الإباضية :إن حاجب هو القائم بأمور المسلمين في مثل هذه الأشياء من أمر الحرب ، وجمع الأموال ، والمعونة ، والخصومة وإلى ابي عبيدة يسند أمر الدين والفتاوي ، فهي على الاغلب لمناقشة الأمور السياسية المهمة بدليل أن حاجبا رد شعيب بن عمر الذي يرتبط معه برابطة المصاهرة وأبى أدخاله ، مع أنه كان من أفضل فتيان الدعوة»[1] .

لابد ان نشير إلى ضعف النشاط الاباضي في البصرة بعد إمامة ابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة ، إذ ان خلفه الربيع بن حبيب الفرهودي لم يكن يملك المؤهلات القيادية التي تمتع بها سلفه ويظهر هذا واضحا في سكوت المصادر الإباضية عن النشاط الإباضي في البصرة .

ونلاحظ ان الدعوة في البصرة وجهت إعاناتها المالية إلى المغرب ، لدعم الدعوة الناشئة في تاهرت بالمغرب[2] .

واستمرت الاتصالات بين البصرة والمغرب خاصة عند حدوث المشاكل بين أهل الدعوة[3] ، فيطلبون حلها من الربيع بن حبيب الذي كان يبعث بفتواه اليهم كممثل لرأي الدعوة الأم في البصرة[4] ، ثم اخذت الدعوة الإباضية بالانحسار في البصرة بعد قيام الدولة الاباضية الثانية بعمان 177هـ -793م . ويبدو أن الكثير من هؤلاء الدعاة قد هجروا البصرة إلى عُمان ، ليعيشوا تحت ظل مذهبهم وسيادة تعاليمه .

إن اما أشرنا إليه سابقا يدل على الدور الخطير الذي قامت به البصرة في تاريخ عُمان والمغرب من الناحية السياسية والعقائدية .

---

(1) المرجع السابق ، ص 78 فما بعد ، ص 82-84 .

(2) عن الاباضية في شمال افريقيا ، راجع خليفات ، المرجع السابق ، ص 133 فما بعد ، سعد زغلول عبدالحميد ، المغرب العربي ، ج2 ، ص 287 فما بعد ، بحاز ابراهيم بكير ، الدولة الرستمية ، الجزائر ، القرارة ، سنة1993 .

(3) ابو زكريا ، السيرة وأخبار الأمة ، ورقة 14 ، ب الحركة الاباضية في المشرق ، ص 92 .

(4) الباروني ، الأزهار الإباضية ، قارن 102/2 ، قارن شعبان ، التاريخ الإسلامي ، ج1 ، ص 151 .

نتائج العمل السري للدعوة الإباضية[1]:

«إن قادة الدعوة الاباضية اتبعوا سبيلا ، جديدا ظاهره القعود ، وعدم التدخل في شؤون السياسة ، ليبعدوا عن الدعاة انظار السلطة الأموية ، ولقد أفاد العمل السري ، الدعوة الإباضية ، إذ مكن الدعاة بما لهم قابليات علمية ، ومراكز اجتماعية مرموقة ، من جذب الناس إلى حظيرة المذهب الإباضي دون مضايقة كبيرة من الولاة المتعاقبين على البصرة ، وفي الجانب الآخر كانت التنظيمات السرية تعد نفسها ، اعداداً ثوريا وتخرج الدعاة من مدرسة البصرة الفكرية ، لممارسة الثورة المسلحة عند سنوح الفرصة المواتية ، كما نلحظ ذلك في رسالة لابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة للدعاة الإباضية في المغرب .

وبهذا يتبين لنا أن الدعوة الإباضية في هذه الحقبة اتبعت اسلوبا سياسيا ظاهره المهادنة وباطنة الاستعداد ، وكان لسلوك الدعاة المسالم أثراً في تجنب أذى السلطة والمضايقة ، بغض النظر عن المضايقات التي مارسها الحجاج بن يوسف الثقفي . وقد استمروا في سلوكهم هذا حتى بعد قيام ثورتهم على الدولة الأموية والعباسية ، ونستطيع ان نتلمس هذه المواقف في موقف السلطة الأموية والعباسية من ابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة ، المرجع الأعلى للاباضية ، إبان ثورة اليمن ، وعُمان وثوراتهم بالمغرب ، إذ بقيت هذه السلطات تجهل أن ابا عبيدة مسلم رأس الثورات ومصدرها ، ولو عرفت ذلك لعرضته للموت ، ولو أن هذه السلطة تعرف اتجاهه المذهبي والعقائدي[2] ، ولكنها لم تتوصل إلى دليل يثبت صلته بالحركات الثورية مما يدل على قوة التنظيم السري ودقته وكتمانه» .

«إن انتشار المذهب الاباضي ارتبط بالقدرات القيادية ، لدى أئمة الدين ، في مرحلة الكتمان في البصرة ، فلاحظنا قوة النشاط الاباضي في امامة جابر بن زيد ، وازدهارها في امامة ابي عبيدة مسلم ، وخمولها في إمامة الربيع بن حبيب الفرهودي ، لأنه لم يكن يملك من المؤهلات القيادية للدعوة التي امتاز بها قاداتها السابقون . ويمكن ان نجمل الأسباب التي أدت إلى نجاح الدعوة الاباضية في هذه المرحلة بما يأتي :

أولا : نظرة أبي عبيدة مسلم بن ابي كريمة ، ودراسته المستوعبة لمشاكل المناطق التي كانت مستاءة من الحكم الأموي ، وعلاقة هذه المناطق بالسلطة المركزية من حيث القوة والضعف ، فعندما ادرك ابو عبيدة مسلم ان الدولة الأموية في طريقها إلى

---

(1) راجع الحركة الاباضية في المشرق 93-97 حيث اعتمدنا على ما اورده نصاً .

(2) قال أبو جعفر المنصور لما علم بموت أبي عبيدة مرجعا ذهبت الإباضية ، الشماخي ، السير ، ص 191 .

الزوال أوعز إلى اباضية اليمن بالتعجيل بالثورة[1] ، ولم يفكر بالثورة في البصرة رغم انها المركز الأم للتنظيم لأسباب أوجهها قرب البصرة من مراكز الحكم القوية ، ووجود عدد من الاحزاب الاخرى ، وكون البصرة (عثمانية) أي محايدة في المعترك السياسي .

ثانيا : القيادة الجماعية : إذ توفرت مجموعة من المشايخ الاباضية كمجلس شورى ، من ذوي القدرات التنظيمية في مساعدة ابي عبيدة مسلم ، كضمام بن السائب والحر بن الحصين ، وحاجب الذي كان مسؤولا عن جميع النشاطات العسكرية وقد قام بجمع المال والسلاح للثورة باليمن سنة 129هـ/746م [2] .

ثالثا : المقدرة الفكرية التي تمتع بها الدعاة الاباضية ، وجذبهم قلوب الناس لمذهبهم ، وليس بخاف علينا خطب ابي حمزة المختار بن عوف المشهورة في بلاغتها ، وخطب عبدالله بن يحيى الكندي (طالب الحق) في صنعاء مما يدل على اعتقاد بصحة الفكرة التي آمنوا .

رابعاً : الاخلاص والولاء المتناهي لهؤلاء القادة الذين اوقفوا حياتهم على الدعوة لمذهبهم ويمكن ان نلاحظ هذا في اقوال وسلوك الدعاة الذين لم يكونوا يفكرون بمصالح اجتماعية ، واقتصادية من وراء أعمالهم كقول الداعية سلمة بن سعيد أول داعية إباضي إلى المغرب :**«وددت أن يظهر هذا الأمر يعني مذهب الإباضية بالمغرب يوماً واحداً من غدوة إلى ليل ، فما أبالي ضربة عنقي»**[3] .

خامسا : صلابة الدعاة في مرحلة الكتمان والتخفي ، رغم تعرضهم لصنوف التعذيب ، وظهر هذا واضحا في مواقف الدعاة الصلبة ، موقف ابي عبيدة مسلم وحاجب ابي مودود خير دليل على ذلك[4] .

سادساً : السرية في العمل والتنظيم ، واستعمال وسائل عملية في ضبط العمل السري ، فاذا اخرج داعية إباضي من الدعوة الإباضية في مرحلة الكتمان ولم يدل على عوراتهم ، تركوه وشأنه ، ولكن هذا الخارج لو قام بفضح نشاطهم وذكر أسماءهم لدى السلطة ، فالقتل حكمه[5] . وبهذه نستطيع ان نفسر فشل اغلب

---

(1) البلاذري ، انساب الاشراف ، 8/ ورقة 10ب .

(2) الشماخي ، السير ، ص 90 الحركة الاباضية في المشرق ، ص93-97 .

(3) أبو زكريا ، السيرة وأخبار الأمة ، ورقة 2 .

(4) الشماخي ، السير ، ص 87 .

(5) الجيطالي ، شرح قواعد الإسلام ورقة 18ب .

الحركات الخارجية ونجاح الإباضية في إقامة عدة كيانات كالدولة الإباضية في عُمان والدولة الرستمية في تاهرت وبقاء المذهب وانتشاره» .

«لقد ظلت عُمان خلال العصر الأموي مرتبطة بوالي العراق ولهذا لم يعين الأمويون ولاة دائمين على عُمان وإذا تم تعيين وال فلم يكن يتمتع بنفوذ على قبائل عُمان أو مناطقها الداخلية ، بل اقتصرت سلطته على الساحل وعلى صحار . ولكن نشاط جابر بن زيد أدى إلى ارتياب الحجاج الثقفي والي العراق خاصة بعد ثورة ازد عُمان بزعامة سعيد وسليمان أولاد عباد بن الجلندي ، وقد ارسل الحجاج حملات عديدة دون جدوى ، كان من اهمها حملة القاسم المزني التي فشلت في اخضاع عُمان . فكان أن قرر الحجاج مراقبة الازد ليس في عُمان بل في العراق . فوضع زعماءهم تحت مراقبة شديدة . ثم عاد فأرسل جيشا آخر بقيادة مجاعة المزني وجعل بعضه في سفن والبعض الآخر اخذ طريق البر . وقد انهزم سعيد بن الجلندي أمام الاسطول البحري وانسحب نحو الداخل . أما سليمان بن الجلندي فقد تصدى للجيش البري وهزمه ثم عاد فأنجد أخاه وأحرق سفن الجيش الأموي وهزم مجاعة المزني الذي اعتصم بجلفار وكتب إلى الحجاج يطلب النجدة .

أرسل الحجاج الثقفي جيشا جديدا بقيادة عبدالرحمن بن سليمان استطاع ان يدحر أهل عُمان ونكل بالازد(1) . فكان له تأثير سيء على موقف الازد بالبصرة الذين كرهوا سياسة الحجاج . ولكن الحجاج تمادى فأقنع الخليفة بعزل يزيد بن المهلب من ولاية خراسان وسجنه مع بعض افراد أسرته . ونفى العديد من زعماء الازد من البصرة وكان منهم جابر بن زيد إلى عُمان . فكانت فرصة استغلها جابر للدعوة لمذهبه في وطنه عُمان . وقد فرّ سعيد وسليمان الجلنديان إلى بلاد الزنج في شرقي افريقيا حيث كانا يعرفانها لروابط قديمة تجارية وبشرية . وكانت سياسة الوالي الأموي على عُمان الخيار بن صبرة المجاشعي شديدة» .

على أن سياسة الأمويين تجاه الازد وآل المهلب وبالتالي عُمان تغيرت بمجيء سليمان بن عبدالملك إلى الخلافة ، حيث عاد نفوذ آل المهلب بزعامة يزيد بن المهلب الذي أصبح والياً على العراق وعيّن أخاه واليا على عُمان(2) .

---

(1) الازكوي ، كشف الغمة ، ورقة 326 ب السالمي ، تحفة ج1 ،ص 69 .

(2) خليفات المرجع السابق ، ص 104 .

وفي خلافة عمر بن عبدالعزيز دخل يزيد بن المهلب السجن ، وبقي فيه طيلة حكم عمر بن عبدالعزيز كما سجن اخوانه واقاربه بالبصرة . ولكن سياسة المرونة استمرت بين الخليفة والاباضية واستقبل الخليفة وفداً خارجيا ضم عدداً من إباضية عُمان(1) .

ولا شك فإن زعماء الإباضية في البصرة استغلوا هذه الفرصة لتنظيم حركتهم ونشرها من أجل تأسيس إمامة الظهور ، وانتخب خليفة للمسلمين من بين أتباع الدعوة . ويشير الدكتور خليفات إلى دور الامام ابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة في تطوير المجالس السرية وأثر ذلك في سرعة انتشار الدعوة على أسس متينة(2) .

وفي خلافة يزيد بن عبدالملك ثار يزيد بن المهلب واحتل البصرة وأخرج اخوته واتباعه من السجن وامتد نشاطه إلى الاحواز وكرمان وفارس وعين أخاه ثانية على عُمان ، ولكن الأمويين هزموا يزيد بن المهلب وقتلوه سنة 102هـ/ سنة 720م .

وهكذا ارتبطت الدعوة الاباضية بالمهالبة وبالازد وان أي اجراء يمس المهالبة ينعكس على الإباضية وعلى علاقتها بالخلافة الأموية . ورغم الحاح الاباضية على ابي عبيدة بضرورة الخروج على السلطان بعد سياسته التعسفية مع المهالبة والازد والإباضية فإنه كان حذراً ولهذا فان الانتقال من مرحلة الكتمان إلى مرحلة الظهور كان بطيئا يتحاشى الانتكاسات التي قد تؤدي إلى انهيار الحركة .

حين عين يزيد المهلبي أخاه واليا على عُمان تسلم الولاية دون مقاومة وبقي واليا حتى بعد القضاء على حركة أخيه ومقتله . وفي أواخر عهد الامويين لا توجد اشارات تاريخية لولاة أمويين على عُمان إلا إشارة واحدة لوالي أموي في عهد الوليد بن يزيد(3) . ويبدو أن السلطة الفعلية بقيت في أيدي آل الجلندي وخاصة في الداخل .

إن ارتباط عُمان بالبصرة خلال القرنين الأول والثاني للهجرة السابع والثامن للميلاد كان واضحا من اتصالات القبائل وخاصة الأزدية منها وهجراتهم المتبادلة وخاصة أثناء الفتوحات الإسلامية حيث اصبحت البصرة قاعدة للفتوحات الشرقية . ولذلك فإن الحجاج

---

(1) انساب الاشراف ، ج7 ، ورقة 543 ، الطبري ، القسم الثاني 1282 .
(2) خليفات ، المرجع السابق ، ص 112 .
(3) خليفة بن خياط ، تاريخ ج2 ، ص 385 .

لم يباشر حملته ضد عُمان قبل اتخاذ اجراءات مشددة ضد ازد البصرة ، كما اشرنا إلى ذلك من قبل على أن هذه الاجراءات كانت وقتية» .

«إن عهد عُمان بحركات الخوارج وآرائهم لم يكن جديدا . وفي روايات تاريخية ان عُمان تعرفت على آرائهم منذ عهد الامام علي بن ابي طالب (رضي)[1] وقد نشطت حركات خارجية غير اباضية في عُمان ولكنها لم تلق تأييد أهل عُمان حتى بدأ الدعاة بنشر المذهب الإباضي .

وفي رواية للبلاذري[2] إن الخوارج النجدات بزعامة نجدة بن عامر سيطروا على عُمان . فقد أرسل نجدة قائده عطية الحنفي سنة 67هـ سنة686م ، فاصطدم بعباد بن عبدالله بن الجلندي وقتله وسيطر على عُمان بينما انسحب ولدا عباد وهما سعيد وسليمان إلى داخل عُمان . وبعد انسحاب عطية التميمي ثار أهل عُمان على واليه وقتلوه واعادوا الأمر إلى آل الجلندي . وبعد حدوث خلاف بين عطية ونجدة قرر الانسحاب نحو عُمان واتخاذها مركزاً له ولكنه جوبه بمقاومة شديدة من أهل عُمان . وهذه الحادثة إن دلت على شيئ فإنما تدل على عدم تقبل أهل عُمان لأفكار الخوارج المتطرفة أمثال الازارقة والنجدات .

ولكن أهل عُمان كانوا على صلة بحركات خارجية معتدلة مثل الصفرية والاباضية فبعد فشل حركة عمران بن حطان الشيباني[3] في الجزيرة الفراتية هرب مع بقية أتباعه من الازد إلى عُمان فوجدهم يعتنقون افكار الخوارج المعتدلين أمثال أبي بلال مرداس . وبقي عمران في عُمان حتى مات سنة89هـ/ 707م ، وكان نشاط عمران الصفري وتواجده بعُمان أحد اسباب حملة الحجاج الثقفي على عُمان .

وقد استطاع مروان بن محمد ان يسحق الخوارج الصفرية في الجزيرة الفراتية واضطر فلول الخوارج إلى الهرب إلى فارس وكرمان واقاليم الخليج العربي ، حيث سيطرت الصفرية على جزيرة ابن كاوان في الخليج[4] وفي نفس الوقت وبعد فشل الإباضية بحضرموت واليمن قرر مشايخ الإباضية اعلان الامامة في عُمان مستغلين تضعضع الوضع السياسي اثر سقوط الامويين ومجيء العباسيين سنة 132هـ/ 749م ، وفي العام نفسه بايعوا

---

(1) السالمي ، تحفة ، ص 67- اليعقوبي تاريخ ، ج2 ،ص 227 .
(2) انساب الاشراف ، ج1 ص 125 .
(3) الازكوي ، كشف ، ورقة 375 .
(4) الطبري ، القسم الثالث ، ص 787-79 ، الازكوي ، ورقة 330 فما بعد .

للجلندي بن مسعود أول امام ظهور ووجهوا النداء للمسلمين لمبايعة الجلندي خليفة للمسلمين . ولكن العباسيين لم يقفوا مكتوفي الايدي تجاه هذا التحدي من الاباضية كما سنلاحظ ذلك فيما بعد .

لقد كانت الدعوة الاباضية دعوة نشطة في عُمان بفضل الروابط الوثيقة بين ازد البصرة معقل الاباضية وأزد عُمان . فقد انتقلت الاباضية من البصرة إلى عمان ، ثم ان الحركة الاباضية حرصت منذ البداية على الظهور بمظهر المعبر عن آمال أهل عُمان» .

نشاط الدعوة الإباضية في عُمان وتأسيس الإمامة الأولى

لا تشير مصادرنا التاريخية على وجه الدقة متى اصبحت العقيدة الاباضية واسعة الانتشار في عُمان ويرى باثيرست انه ربما كان هناك أئمة خوارج قبل الاباضية[1] ، على ان اقليم عُمان شهد منعطفا مهما سنة 132هـ/ سنة 749م حين تأسست الإمامه الإباضية الأولى .

«ويبدو ان الدعوة الخارجية في عُمان انتشرت في نطاق ضيق قبل خلافة عبدالملك بن مروان (65-86هـ/ 684-706م) اذ يذكر العوتبي ان عمران بن حطان الشاعر الخارجي المشهور- الصفري المذهب عند فراره من الحجاج بن يوسف الثقفي التجأ إلى عُمان في الازد فوجد قوما منهم (ينشدون اشعاره ولا يعلمون انه عمران فدعاهم إلى رأيه وأقام بين أظهرهم وظهر أمره ، ووجد قوما مسارعين له يبكون على مرداس بن ادية ، ويذكرون فضله وبظهرون امره شاهراً حتى بلغ الحجاج امره فكتب إلى أهل عُمان في قتله . . .) ويتبين لنا من هذا النص ان الحركة الخارجية دخلت إلى عُمان بشكلها المعتدل المتمثل بآراء ابي بلال مرداس ، الذي يعتبره الإباضية اماما من أئمتهم الأوائل ، وقد مهدت مثل هذه الآراء المعتدلة للدعاة الإباضية بعُمان ، في الدعوة لمذهبهم الاباضي ونشره بين القبائل الازدية بصورة خاصة»[2] .

من الصعوبة بمكان معرفة التاريخ الذي بدأت فيه الدعوة الاباضية في الانتشار بعُمان ، ولكن المصادر الإباضية تؤكد ان الجذور التاريخية الأولى لدخول الدعوة الاباضية ترجع إلى

---

(1) فاروق عمر ، ملامح من تاريخ الحركة الخارجية ، مجلة المؤرخ ، بغداد ، 1975 ، ص 174 .
(2) الحركة الاباضية في المشرق ، 169 ، فما بعد ، وقد اعتمدنا على ما اورده في هذا الباب نصاً .

الوقت الذي حكم فيه الحجاج بن يوسف الثقفي العراق (75هـ/ 694/95 -714م) ، إذ بدأ التنظيم الاباضي السري يشكل خطرا على سلطة الحجاج التي كانت تشمل البصرة وعُمان ، ومن المحتمل ان الحجاج ادرك ان جابر بن زيد هو المسؤول عن نشاط الاباضية المعادي للخلافة الأموية ، ومن اجل شل الدعوة الاباضية في البصرة والحد من نشاطها عمد الحجاج إلى نفي جابر بن زيد إلى عُمان!! .

وقد خدم الحجاج الدعوة الاباضية بنفيه جابر بن زيد إلى عُمان دون ان يعلم ، فقد بذر البذور الأولى للعقيدة الاباضية في عُمان وقد ساعد على اجابة العمانيين للاباضية عوامل ثلاثة أولها وجود افكار خارجية معتدلة في عُمان مهدت له وثانيها كونه ازديا من اليحمد وثالثها كونه عُمانيا في الاصل»[1] .

«إن التنظيم الاباضي في البصرة بعد وفاة جابر بن زيد عام 93هـ/713م ، وتولي خلفه ابو عبيدة مسلم بن ابي كريمة زعامة الاباضية ، بدأ يتخذ شكلا دقيقا من التنظيم المبني على أسس مدروسة تمثلت بوفود الدعاة المتوجهة من البصرة إلى الامصار الإسلامية المختلفة . وكان تخطيط ابي عبيدة مسلم قائما على اساس اختيار مجموعة من الاباضية من كل مصر انتشرت فيه الدعوة وتدريسهم في البصرة وتعبئتهم فكريا وسياسيا وتنظيميا وارسالهم بعد اكتمال اعدادهم إلى الأمصار التي قدموا منها ليقوموا بمواصلة نشر الدعوة الاباضية فيها ، على ان هذه القاعدة لا تنطبق على كل «حملة العلم» فقد كان بعض هؤلاء الدعاة ينتمون إلى غير الامصار التي توجهوا اليها . فقد كان في مجموعة (حملة العلم) التي توجهت إلى المغرب ابي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليماني الموطن[2] غير ان الصفة الغالبة عليهم انتماءاتهم المغربية[3] ، الا ان هذه القاعدة تنطبق تماما بالنسبة لحملة العلم الذين وجههم ابو عبيدة مسلم إلى عُمان فهم من حيث الموطن عمانيون ينتمون إلى قبائل الازد اليمانية والمضرية ، وكان لهذا الاختيار الموفق اثر كبير ساعد في نجاح مساعي الدعوة الإباضية في عُمان» [4] .

---

(1) الحركة الاباضية في المشرق ، 172 ، حيث اعتمدنا عليه نصا .

(2) اطفيش ، الامكان فيما جاز ان يكون أو كان (الجزائر ، 1304هـ) طبعة حجرية بدار الكتب المصرية برقم 9.32 ، ص 112 .

(3) ابو زكريا ، السيرة واخبار الأئمة ، ورقة 6أ .

(4) العوتبي ، الانساب ،ورقة /107 ب .

«ولا يستطيع الباحث تحديد تاريخ معين للنجاح الذي اكتسبته الدعوة الإباضية بعُمان ، ويرجح ان هذا النجاح لحملة العلم تحقق في مطلع العقد الأول من القرن الثاني الهجري ، لأن أبا عبيدة مسلم تزعم قيادة الدعوة الاباضية في نهاية القرن الأول الهجري ، بعد وفاة جابر بن زيد عام 93هـ/ 713م ، ثم ان هذا المصطلح- حملة العلم[1] يرد ذكره بصورة خاصة بعد تولي ابي عبيدة مسلم زعامة الإباضية ولا يعرف في عهد الإمام جابر بن زيد حملة للعلم بهذه الصورة المنظمة ، التي أرسى قواعدها كمدرسة فكرية وسياسية لتخريج الدعاة الإباضية في مدينة البصرة ابو عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، واستمرت بنشاطها في عهد خلفه الربيع بن حبيب بن عمرون الفرهودي الازدي[2] ، تؤدي الدور والغرض الذي أنشئت من أجله إبان إمامته للدعوة الإباضية في البصرة ، الا انها بدت أقل فعالية ونشاطا على ما كانت عليه ايام ابي عبيدة الذي كان يملك مؤهلات قيادية يفتقر اليها خلفه الربيع بن حبيب .

وقد اختلف المؤرخون الرواد في عدد حملة العلم الذين دخلوا عُمان في عهد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة في مطلع القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي حتى منتصفه ، فالعوتبي يشير إلى أسماء أربعة من هؤلاء الدعاة ويرى أن محمداً بن المعلا الفحجي هو أول من قام بالدعوة إلى تأسيس الإمامة الإباضية بعُمان[3] ، وقد تبعه بعد ذلك الربيع بن حبيب بن عمرو الفرهودي ، منصور الرياحي وبشير بن المنذر النزواني[4] ، ومن المحتمل أن هؤلاء الدعاة كانوا الحملة الأولى التي بشرت بالمذهب الاباضي في عُمان ، ومن الصعوبة بمكان الفصل بين حملة العلم الذين تلقوا العلم عند أبي عبيدة مسلم وأولئك الذين تلقوا العلم عند الربيع بن حبيب الذي تولى إمامه الإباضية في البصرة بعد أبي عبيدة مسلم بن ابي كريمة ، ويشير المجتهد الاباضي اطفيش أن حملة العلم عن ابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة إلى عُمان هم محبوب بن الرحيل ، وموسى بن ابي جابر الازكوي ، والمنير بن النير[5] وهاشم بن غيلان[6] . إن تأثير ابي عبيدة مسلم وإعداده لهؤلاء الدعاة تجلى في دورهم السياسي الذي لعبوه في الحياة العمانية ، فلم يكن حملة العلم مجرد فقهاء أو مثقفين

---

(1) ابو زكريا ، السيرة واخبار الأمة ، 2أ-5- ب ، الدرجيني طبقات الإباضية ، 1 ورقة ، 9ب .

(2) العوتبي ، الانساب ، ورقة /107 ب ، الحركة الإباضية في المشرق ، ص 173 .

(3) العوتبي ، الانساب ، ورقة 93أ1 .

(4) المصدر نفسه .

(5) إطفيش ، الامكان فيما جاز ان يكون أو كان ، ص109 .

(6) مصباح الظلام ، ورقة 31ب .

ثقافة مذهبية تؤهلهم للتبشير بمذهبهم فبعد مضي أقل من نصف قرن من ارسالهم إلى عُمان اصبحوا سادة الموقف السياسي بعمان فلا يعين امام الا باختيارهم(1) ، وربما اصبح بعضهم ولاة لبعض ولايات الامامة الإباضية كما حدث لمحمد بن المعلا الكندي(2) . وبعبارة موجزة أنهم كانوا رجال فكر ودولة في آن واحد .

إن نجاح الاباضية في عُمان واعتناق الكثير من أهلها للمذهب الاباضي كان نتيجة للجهود الكبيرة التي بذلها دعاة الإباضية (حملة العلم) . ويعزو نجاحهم لانتمائهم لقبائل الازد العمانية وفروعها المختلفة(3) ، وقد مكنتهم هذه الرابطة القبلية من معرفة عادات السكان العمانيين وتقاليدهم ويسرت لهم النجاح في نشر افكارهم والحصول على حماية قبائلهم ، وكان للعامل القبلي أثره في انتشار الدعوة الاباضية بعُمان وتأثيرها الكبير في سير الأحداث في هذا العصر الإسلامي وزادها قوة اعتناق آل الجلندي(4) لهذه الدعوة ، ففي مطلع العقد الرابع من القرن الثاني الهجري أصبحت الإباضية العقيدة السائدة التي اعتنقها السكان العمانيون ، ومن خلال الصراع بين القبائل التي اعتنقت المذهب الإباضي في عُمان والخلافة العباسية اصبح هذا المذهب العقيدة والهدف الذي يقاتلون في سبيله من أجل المحافظة على إمامه الظهور الاباضية واقامتها بين الحين والاخر .

وبهذا يمكن تحليل ظاهرة الإنفصال المبكرة لعُمان قبل غيرها من الاقاليم الإسلامية الاخرى ، بسبب الوحدة القبلية المتميزة ، ثم ركزت ذلك الوحدة المذهبية لهذا المصر الإسلامي باعتناقه المذهب الاباضي .

اضافة إلى العامل الجغرافي الذي ميز هذا الاقليم واعطاه خصائص تساعد على الانفصال(5) فموقع عُمان في جنوب شرقي الجزيرة العربية جعلها تطل على الخليج العربي من جهة الغرب والبحر العربي من جهة الجنوب اعطاها اهمية تجارية وبحرية حيث اصبحت في بعض الاوقات المعبر التجاري الذي يربط بين جنوب وشرق آسيا وبلاد الخلافة العباسية ومركزها في العراق وهذا يعزز الاقتصاد العماني ويعطيه القابلية على

---

(1) المصدر نفسه .

(2) السالمي ، تحفة الاعيان، 111/10 .

(3) العوتبي ، الانساب ،ورقة 170ب .

(4) الازكوي ، كشف الغمة ، ورقة 328 ب .

(5) انظر فاروق عمر ، ملامح من تاريخ الحركة الخارجية في عُمان ، مجلة المؤرخ ، العدد الثاني ، ص 175 .

الاعتماد على نفسه بالاضافة إلى التنوع في التضاريس، فمن الشريط الساحلي المطل على الخليج العربي في الغرب إلى الجبال المتوغلة في وسط عُمان والتي تمتاز بخصوبتها[1] وارتفاعها الشاهق، إلى الصحراء الرملية المجذبة التي تحيط بعمان كقوس يمتد من الشمال ثم ينحنى في الغرب باتجاه الجنوب حيث الصخور والجبال الحجرية الشديدة الوعورة .ان هذه التضاريس واختلافها المتباين يسرت للحركات الاباضية الحرية في الحركة والاحتماء بها وخاصة وان السلطة المعنية بعُمان كالخلافة الأموية والعباسية تركز في الاستحواذ على المنطقة الساحلية (الباطنة) لأهميتها التجارية والعسكرية، فلجأ العمانيون على العموم إلى الداخل للاحتماء بالجبال والصحراء في أوقات الأزمات ثم اندفعوا إلى الساحل متى ما أحسوا بضعف الوالي ممثل السلطة المركزية».

الامامة الإباضية الأولى بعمان 132هـ/749م

«نتيجة للجهود التي بذلها الدعاة الاباضية في عُمان والتي أدت إلى اعتناق قسم لايستهان به من أهلها الدعوة الاباضية توفرت الشروط اللازمة والظروف المناسبة في عام 132هـ/ 749م لإقامة إمامة إباضية حاكمة[2] تسمى بامامة الظهور في اصطلاح علماء الإباضية[3]، وتعتبر هذه الحركة المحاولة الثانية للدعوة الاباضية في المشرق العربي، بعد فشل محاولتهم الأولى في اليمن وحضرموت بإقامة دولة إباضية فيها عام129هـ/ 746م، انتهت بنهاية الدولة الاموية عام 132هـ وكان إباضية عُمان قد شاركوا بشكل فعال بقيادة هذه الحركة، وبعد فشلها يظهر أن الكثير من الإباضية قد التحقوا بعمان وتجمعوا فيها . ويشير السالمي إلى أن الجلندي بن مسعود بن جيفر بن جلندي والذي ينتمي إلى بني الجلندي بن المستكبر بن مسعود بن الحرار بن عبد عز بن معولة بن شمس، ملوك عُمان بعد اولاد مالك بن فهم، قد حضر بيعة عبدالله بن يحيي (طالب الحق) ومن المحتمل انه قد شارك بهذه الحركة وانسحب إلى عُمان بعد فشلها .

لقد تهيأت الظروف السياسية في عُمان من الناحيتين الداخلية والخارجية لاقامة الاباضية، فقد ولي عُمان في عهد الخليفة الاموي عمر بن عبد العزير، عمر بن عبدالله

---

(1) زلوم، عبد القادر، عُمان والامارات السبع، (بيروت، 1383)، ص 34-139، راجع الحركة الاباضية في المشرق، 180-190، فقد اعتمدنا عليه .

(2) الازكوي، كشف الغمة، ورقة 328 ب، 329أ .

(3) الشماخي، شرح مقدمة التوحيد، ورقة 16 أ .

الانصاري ، وكان موقفه من الدعوة الإباضية موقف المسالم ، ويظهر انه ادرك أنه لا يستطيع مقاومة ، القبائل الازدية ، فتنازل بعد وفاة عمر بن عبدالعزيز إلى زياد بن المهلب الذي تولى حكم عُمان حتى قيام الخلافة العباسية عام132هـ/749م ، ويظهر انه لم يتعرض للدعوة الاباضية ، ربما بسبب الرابطة القبلية ، فالدعوة الاباضية احتضنتها القبائل الازدية بصورة خاصة ، واصبحت بمرور الزمن حركة واسعة النطاق لها من يؤيدها من وجهاء الازد فالتعرض لها قد يكلفه فقد ولايته على عُمان أولا ، ويجعله يصطدم بأهله وعشيرته من قبائل اليمن ثانيا ، فلما جاءت الخلافة العباسية اعتزل زياد بن المهلب ولاية عُمان ، وعين ابو العباس السفاح جناح بن عبادة بن قيس الهنائي على عمان «وهو الذي جاهر الاباضية وأعانهم حتى صارت الولاية للإباضية بعُمان»[1] ثم عين مكانه ابنه محمد بن جناح الذي كان كأبيه عديم الميل للدولة العباسية ، ثم أن الإباضية اصبحت اقوى حركة سياسية بعُمان ، وقد أدرك ذلك محمد بن جناح بن عبادة ، فلم يتخذ أي اجراء ضدهم بل مال اليهم ومهد السبيل لإقامة إمامة اباضية بعمان في سنة 132هـ ، ويشير الأزكوي إلى ان المنصور ولى على عُمان محمد بن جناح ، فداهن الإباضية حتى صارت ولاية عُمان لهم «فعند ذلك عقدوا الامامة للجلندي بن مسعود فكان سبباً لقوة المذهب . . .»[2] .

من خلال هذا العرض للأوضاع السياسية بعمان يتضح أن الظروف الداخلية ساهمت بدرجة كبيرة في نمو الدعوة الاباضية في عُمان وانتهت أخيرا بمبايعة الجلندي بن مسعود[3] أول إمام للدولة الجديدة «وقام الجلندي بن مسعود بعمان وأجمعوا على إمامته وولايته والجاهدة معه أعداء الإسلام وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأظهروا الحق والدعوة بعمان» ، وبهذا أضاف قوة سياسية جديدة للحركة الاباضية لأنه يمثل واجهة اجتماعية ذات تأثير كبير على قطاع واسع من القبائل الازدية باعتباره حفيد الملوك السابقين لعُمان من بني الجلندي وهذا بلا شك عامل مهم ساعد في رواج المذهب الاباضي بعمان والذي اصبح مذهباً رسمياً في ظروف سيادة الإمامة الإباضية في فترة «الظهور» .

---

(1) العوتبي ، انساب ، ورقة 168 ب ، (إن اختيار المنصور لبني هناءة لتولي ولاية عُمان لانهم كانوا من اشراف الازد «ورأس الازد منهم بالبصرة وعُمان وخراسان رؤساء عدة» نفس المصدر السابق .

(2) الازكوي ، كشف الغمة ، ورقة 328(ب) ، السالمي ، تحفة الاعيان 88/1 .

(3) البسيوي ، الحجة على من أبطل السؤال في الحدث الواقع بعمان ، ورقة 11 ، ضمن كتاب جامع السير في تراجم العلماء ، مكتبة الامام غالب بن علي بالدمام .

«كما أن الظروف الخارجية المحيطة بعُمان والمتمثلة بعدم وجود سلطة مركزية نتيجة الصراع بين الدولة الأموية والحركات السياسية المعارضة كحركة المعارضة الخارجية التي أنهكت قوى الدولة الأموية وحركة المعارضة العباسية التي استطاعت ان تقضي على الدولةا لأموية وتحل محلها عام 132هـ/ 749م ، جعلت عُمان بمنأى عن ميدان الصراع الذي شمل بلاد خراسان والعراق وبلاد الشام خاصة . إن مثل هذه الظروف لا تسمح للعباسيين في التفكير بالأقاليم البعيدة عن مركز السلطة وكان هدفهم الأول في مرحلة التأسيس توطيد أركان الدولة ثم بدأوا بعد الاستقرار السياسي التفكير بمد سلطتهم على اطراف الدولة الإسلامية . إن اقامة امامة إسلامية في عُمان من قبل الإباضية ومبايعتهم للجلندي بن مسعود يعني من وجهة نظرهم أن الامامة الإباضية هي الممثلة الشرعية للإمامة الإسلامية في العالم الإسلامي[1] ، ومثل هذه الامامة تتصادم وطموحات العائلة العباسية الهادفة لحكم العالم الإسلامي ، وهذا العامل المهم حفز السلطة العباسية للقضاء على الإمامة الإباضية الأولى عام 134هـ/ 751م ، ومعاملتهم كما عاملهم الأمويون من قبل كثوار على السلطة المركزية يستدعي ارجاعهم إلى حضيرة الخلافه العباسية . ومن ناحية اخرى ان العراق اصبح بقيام الخلافة العباسية حاضرة العالم الإسلامي ، ومركز التبادل التجاري ، ولذا تضاعفت اهمية الطرق البحرية والبرية المارة بعمان[2] بانتقال الخلافة من بلاد الشام إلى العراق وهذا العامل يستدعي السيطرة على عمان للمحافظة على الخط التجاري الذي يربط بين البلدان الواقعة جنوب البحر العربي وشماله من ناحية تجارية ، ولذلك جندت الدولة العباسية حملة عسكرية بقيادة خازم بن خزيمة134هـ/751م . إن اختيار خازم بن خزيمة لقيادة هذه الحملة كان الغرض منه التلخص من خازم لقتله بعض اخوال الخليفة العباسي أبي العباس السفاح ، وبناء على مشاورة ونصيحة موسى بن كعب وأبي الجهم بن عطية عدل ابو العباس عن قتل خازم بن خزيمة واستجاب لمشاورة الذين :**«أشاروا عليه بتوجيهه إلى من بعُمان من الخوارج ، إلى الجلندي وأصحابه ، وإلى الخوارج الذين بجزيرة ابن كاوان مع شيبان بن عبد العزيز اليشكري . . .»**[3] ، ولهذا الغرض أعد الوالي العباسي على البصرة سليمان بن علي سفناً لحمل خازم وجنده إلى جزيرة ابن كاوان بناء على الأوامر التي صدرت له من الخليفة ابي

---

(1) الاصطخري ، المسالك والممالك ، (القاهرة ، 1961) ، ص 27 ، الدباغ ، جزيرة العرب ، ص 115 .

(2) الطبري ، الرسل والملوك ، 462/7 .

(3) المصدر نفسه .

العباس السفاح ، كان عدد جنود هذه الحملة حوالي السبعمائة جندي ، اضافة إلى الذين ضمهم خازم من أهل بيته ورجال من أهل مرو الروذ ، وبني تميم من أهل البصرة ، وسارت هذه الحملة البحرية بقيادة خازم باتجاه جزيرة ابن كاوان للقضاء على الخوارج الصفرية فيها الذين يقودهم شيبان بن عبدالعزيز اليشكري الذي كان قد انسحب بالخوارج الصفرية من العراق إلى جزيرة ابن كاوان عام 129هـ/746م ، بعد أن ضايقه القائد الأموي عامر بن ضبارة واضطره على الانسحاب إلى جزيرة ابن كاوان الواقعة في البحرين . ويظهر أن الصفرية بلغوا درجة من الضعف في سنة 134هـ/751م حتى ان خازم بن خزيمة بعد ان ارسى سفنه في جزيرة ابن كاوان وجه خمسمائة رجل من جنوده بقيادة نضله بن نعيم النهشلي حيث استطاعوا ان يفضوا جموع الصفرية من هذه الجزيرة بعد قتال شديد ، اضطروا فيه ان يركبوا السفن إلى منطقة جلفار الواقعة في شمال شرقي عُمان ، وفي هذه المنطقة التقت الإباضية بالصفرية ورفضوا ان يحل الصفرية في بلادهم ، وقد أرسل الامام الإباضي الجلندي بن مسعود قوة إباضية قادها الداعية الإباضي البصري يحيي بن نجيح ، وقد أرسله التنظيم الإباضي في البصرة إلى عُمان مع هلال بن عطية الخراساني . ولما كان يحيى بن نجيح مختصا بجمع المال في البصرة فمن المحتمل انه حمل مساعدات الإباضية في البصرة لدعم الإمامة الإباضية بعمان وهذا يدل دلالة واضحة على ارتباط الجماعات الاباضية في كل مصر انتشرت فيه الدعوة سواء في عُمان[1] ، أو في خراسان والتي اشترك فيها الداعية الاباضي عطية بن هلال الخراساني ، في معاونة الجلندي بن مسعود في قيادة الجند الاباضي ضد الجيش العباسي الذي قاده خازم بن خزيمة» .

معارك جلفار 134هـ/751م[2]:

«وفي منطقة جلفار التقى الصفرية والاباضية يقودهم يحيي بن نجيح على رواية محمد بن محجوب ، وفي رواية الأزكوي أن هلال بن عطية ويحيى بن نجيح قادا الجيش الاباضي معا في المعركة[3] ، وقبل المعركة التي وقف فيها الفريقان على شكل صفين قام القائد الاباضي يحيي بن نجيح على ما يرجح بدعوة الصفرية إلى المذهب الإباضي ، وربما طلب

(1) مصباح الظلام ، ورقة 24 ب .

(2)الحركة الاباضية في المشرق ، 189 ، فما بعد ، حيث اعتمدنا على ما أورده عن المعارك نصاً .

(3) الازكوي ، كشف الغمة ، ورقة330أ ، السالمي ، تحفة الاعيان 94/1 .

اليهم النزوح عن عُمان إلى منطقة اخرى ، وكما يفهم من الرواية الإباضية أن يحيي بن نجيح «دعا بدعوة انصف فيها الفريقين»[1] دون الإفصاح عما تضمنته هذه الدعوة ولكن المتبع في العادة لدى الاباضية عدم ا لبدء بالقتال ، دون عرض المبادئ الاباضية على الخصم[2] ، ويبدو أن الصفرية رفضوا العروض الإباضية ، أو الاتفاق معهم لمواجهة الجيش العباسي وبهذا غدت الصفرية في موقف حرج من الناحية العسكرية فهم غرباء على البيئة العُمانية من ناحية ومن ناحية أخرى أصبحوا بين عدوين خازم بن خزيمة في جزيرة ابن كاوان بالبحرين ، وقوات الامامة الاباضية في عُمان التي عسكرت في منطقة جلفار شمال شرقي عُمان . وفي هذه المنطقة وقعت معركة كانت خاتمة الرحلة الطويلة للخوارج الصفرية الذين جابوا المنطقة الشرقية للدولة الأموية وشرق الجزيرة العربية والتي ابتدأت منذ عام 127هـ- بقيادة الضحاك بن قيس الخارجي ، وانتهت بمقتل خليفته شيبان بن عبدالعزيز اليشكري عام 134هـ/750 ، وانتصار الاباضية الذين فقدوا قائدهم يحيي بن نجيح في هذه المعركة[3] ، وقد انتصرت الاباضية في هذه المعركة لانهم كانوا يقاتلوا في أرض خبروها في حين كان الصفرية غرباء على هذه البيئة ، ثم إن الصفرية أصبحت قوة صغيرة منهكة بعد مطاردة الامويين ، واخيرا العباسيين الذي طردوهم من البحرين .

ثم وقعت معركة جلفار الثانية بعد هزيمة الصفرية مباشرة ، إذا يظهر ان القائد العباسي خازم بن خزيمة كان متابعاً للصفرية ، وقد خدمته ظروف العداء بين الإباضية والصفرية وكفاه الجلندي وأصحابه مؤونة قتال الصفرية والقضاء عليهم ، ويبدو أن الاباضية كانوا في انتظار القوة العباسية التي أرست سفنها على ساحل عُمان ، إذ تشير الرواية الإباضية أن خازم لما وصل إلى عمّان قال للجلندي :**«إنا كنا على اثر هؤلاء القوم وقد كفانا الله قتالهم على أيديكم أو نحو هذا ، ولكنني أريد أن أخرج من عندك إلى الخليفة واخبره أنك له سامع مطيع»** .

«ويتضح من الرواية الإباضية ان خازم بن خزيمة طلب من الاباضية الاعتراف بالسلطة العباسية وعدم الخروج عنها ، وأبدى مقابل ذلك استعداده للرجوع عن عُمان ، إلا أن روايات الطبري وهو من المؤرخين الرواد تؤكد ان هدف الحملة كان غرضه القضاء على

---

(1) مصباح الظلام ، ورقة 24 ب ، الحركة الإباضية في المشرق ، ص190 .

(2) الجيطالي ، شرح قواعد الإسلام ، ورقة 26أ .

(3) مصباح الظلام ، ورقة30 أ ، كشف الغمة ، ورقة 328 ، ب - 329أ .

الخوارج الإباضية بعمان[1] ، وربما ادرك خازم نوايا الخلافة العباسية للتخلص منه بإرساله إلى عُمان فحاول ، أخذ السمع والطاعة من الإباضية دون قتال كما أنه طلب من الإمام الإباضي الجلندي بن مسعود تسليمه «خاتم شيبان وسيفه ليكونا له حجة عند الخليفة»[2] ، فاستشار الجلندي بن مسعود علماء الإباضية[3] في تحديد موقفه من العروض التي قدمها خازم بن خزيمة ، ولما كانت الخلافة العباسية حكومة ظالمة في نظر الإباضية فقد أشار عليه العلماء بعدم الركون إلى الظلمة[4] ، ويشير السالمي أن خازم بن خزيمة كان مصراً على اخضاع عُمان واقامة الخطبة فيها للخليفة العباسي ، ونتيجة لرفض الجلندي وأصحابه الخضوع للخلافة العباسي في العراق ، فقد جرت معركة شديدة بمنطقة جلفار على ضفة الخليج العربي الغربية[5] ، انتصرت في بدايتها الإباضية وأكثروا القتل في الجند العباسي ، وكان فيمن قتل أخو القائد العباسي خازم بن خزيمة مسلم أخيه لأمه ، وكان على طلائع الجند العباسي نظلة بن نعيم النهشلي مساعدا لخازم بن خزيمة في هذه الحملة ، ويشير الطبري أن عدد قتلى الأباضية في هذه المعركة تسعمائة قتيلاً ، كما احرقوا منهم تسعين رجلا[6] ، وبعد سبعة أيام من هذه المعركة استعمل العباسيون اسلوبا جديدا في معاركهم للإباضية بعد أن استعصى عليهم الانتصار على الإباضية بسرعة وذلك باحراقهم بيوت الإباضية المصنوعة من الخشب والخلاف ، بعد أن وضعوا على رؤوس الرماح المشاقة وهي مادة مصنوعة من الكتان والقطن والشعر مشبعة بالنفط اضرموا فيها النار وحرقوا بها بيوت أصحاب الجلندي بن مسعود[7] ، ففقدوا توازنهم العسكري واصبح شغلهم الشاغل في هذه الحالة انقاذ بيوتهم وعوائلهم ، فتمكن العباسيون من الانتصار عليهم بسهولة فقتل الجلندي بن مسعود[8] ، وهلال بن عطية الخراساني القائد الإباضي الذي أرسله ابو عبيدة مسلم لمعاونة الاباضية في عُمان[9] ، وتشير الرواية الاباضية ان آخر من قتل في هذه المعاركة

---

(1) الطبري ، الرسل والملوك 7/ 362 .

(2) مصباح الظلام ، ورقة 31أ ، كشف الغمة ، ورقة 329أ .

(3) ومن هؤلاء العلماء هلال بن عطية الخراساني ، وشبيب بن عطية العُماني ، وخلف بن زياد البحراني ، وقد شاركوا بقتال العباسيين وعاصروا الجلندي بن مسعود- تحفة الاعيان ، 95/1 .

(4) مصباح الظلام ، ورقة 31 ب ، كشف الغمة ، 329أ .

(5)المصدر السابق ، 31أ

(6) الطبري ، الرسل والملوك 463/7 .

(7) المصدر نفسه ، وكذلك الحركة الإباضية في المشرق ، 190-191 .

(8) الطبري ، 463/7 ، ابن كثير ، البداية والنهاية 57/10، حيث يشير ابن كثير خطأً إلى أن الجلندي إماماً للصفرية .

(9) مصباح الظلام ، ورقة 31ب .

الجلندي بن مسعود وهلال بن عطية الخراساني[1] وقد قتل من الإباضية في هذه المعارك زهاء العشرة آلاف اباضي كما ورد في رواية الطبري[2]، الا ان هذه الرواية فيها الشيء الكثير من المبالغة لأن الحركة الاباضية كانت في بداية التأسيس ولو اجتمع لها هذا العدد من المقاتلة لما استطاعت الحملة العباسية المحمولة بالبحر من القضاء عليهم» .

«ثم ان الدعوة الاباضية في عُمان بعد هذه المعركة استمرت تمارس نشاطها فازدهرت العقيدة الإباضية في عُمان وعلى هذا فإن السيطرة العباسية على عُمان كانت سيطرة عسكرية لم تجد التأييد من أهل المنطقة ، والراجح انها عاشت كقوة معزولة في المنطقة الساحلية ذات الاهمية التجارية ، وبأمر من الخليفةابي العباس السفاح رجعت القوة العباسية بعد ان اقامت عدة اشهر في عُمان ، وبعد أن زالت الامامة الاباضية الأولى في سنة 134هـ/751م[3] .

وخلافا لما اورده لويكي(T. Lewicki) عندما ذكر في مقالته عن الاباضية بأن الامامة الإباضية قد امتدت إلى حضرموت واليمن ، ووقع في الخطأ نفسه إسماعيل محمود عندما تكلم عن نجاح الدعاة الاباضية في اقامة دولة اباضية في عُمان فيشير بانهم «تمكنوا من فتح اليمن ثم زحفوا على الحجاز»[4] ، ان الذي اوقع في الخطأ المستشرق (Lewicki) ، ومن بعده إسماعيل محمود هو اعتمادهما على نص مقتضب اورده المؤرخ الاباضي البرادي اشار فيه إلى الأئمة الاباضية الذين ثاروا على الدولتين الأموية والعباسية يقول فيه :«ثم ثار قبل الوارث ايضا الكلندا بن الجلند فاستولى على اليمن حتى استشهد رحمه الله»[6] . كما ان إسماعيل محمود وقع في خطأ آخر حين جعل من القائد الاباضي ابي حمزة المختار بن عوف قائداً لحملة عُمانية توجهت إلى اليمن والحجاز ولكنه «انسحب

---

(1) ابن رزيق ، الفتح المبين في سير سادة البو سعيد ، ترجمة د . بادجر ، 1870 ، ص 7 .

(2) الطبري ، 463/7 .

(3) المصدر نفسه .

(4) E. I. , Leiden, 1971, Vol. 3, P 652

(5) إسماعيل ، محمود ، الحركات السرية في الإسلام ، ص 33 .

(6) البرادي ، الجواهر المنتقات ، ص 170 . ويلاحظ في النص اعلاه ان البرادي يسمى الجلندي بن مسعود بالكلندا بن الجلند ، وقد انفرد البرادي بهذه التسمية ، كما ان البرادي وقع في خطأ اخر حين قرن بين خروج عبدالله بن يحيى ، (طالب الحق) وخروج «خوارج الجور نجدة بن عامر واصحابه باليمامة» ، ص 170 .

من الحجاز واليمن وعاد إلى عُمان وحضرموت» نتيجة لحملة أموية توجهت اليه من بلاد الشام[1] .

والواقع ان الحركة الإباضية الأولى قامت في حضرموت سنة 129هـ ، وامتدت إلى اليمن وبعدها قاد أبو حمزة المختار بن عوف حملة استولت على الحجاز وقد قتل في مكة سنة 130هـ ، بعد ان توجهت اليه حملة أموية من بلاد الشام استطاعت القضاء على أول امامة إباضية في اليمن في سنة 132هـ ، ثم ان المصادر التاريخية لا تذكر ان ابا حمزة المختار بن عوف ثار في عُمان ، ويبدو ان إسماعيل قد خلط بين الحركة الاباضية في اليمن 129هـ ، والحركة التي قامت بعمان في سنة 132هـ ، ولكن الذي يحتمل حدوثه هو ان اباضية عُمان بعد فشل الحركة في اليمن وحضرموت انسحبوا باتجاه المشرق عن طريق ضفار إلى عُمان ذلك لأن الجلندي بن مسعود كان قد اشترك في بيعة عبدالله بن يحيى الكندي (طالب الحق)[2] . واخيراً فالدعوة الاباضية في عُمان اقتصرت سيطرتها السياسية على عُمان فقط دون غيرها من البلدان وانتهت هذه السيادة في سنة 134هـ ، لتظهر مرة ثانية فيما بعد»[3] .

عُمان بعد زوال الإمامة الإباضية الأولى

تحكمت بتاريخ عُمان في هذه الفترة ثلاث قوى سياسية وهذه القوى بعضها غريب عن اقليم عُمان ، كالقوة العباسية التي تركزت في المنطقة الساحلية على مايظهر باعتبارها قوى غريبة على القبائل التي تشكل معظم السكان العمانيين آنذاك .

أما القوى الداخلية فيمكن تقسيمها إلى قسمين : القسم الأول ويتمثل بقوى الدعوة الإباضية التي بدأت تفرض نفسها كمذهب لهذا الاقليم .

والقسم الثاني : القوى القبلية الموزعة على اقليم عُمان ، وكانت اقوى الكتل والجماعات القبلية آل الجلندي الازديين لانها اعرق الجماعات القبلية التي حكمت عُمان حتى عهد

---

(1) إسماعيل ، محمود ، الحركات السرية في الإسلامي ، ص 33 .

(2) السالمي تحفة الاعيان ، 188/1 .

(3) اعتمدنا على الحركة الاباضية في المشرق نصا من ص ، 180-195 الاطروحة .

(4) كشف الغمة ، ورقة 328أ ، راجع الحركة الإباضية في المشرق ، ص 200 فما بعد حيث اعتمدنا على ما اورده .

قريب[4] ، اضافة إلى قبائل أخرى مثل بني هناءة وغيرهم[1] ، وعلى ضوء هذه الاعتبارات جرت الاحداث السياسية في هذه الفترة ، فبعد زوال الامامة الاباضية وانتقال السلطة بعمان إلى يد بني الجلندي انقادوا للعباسيين حتى سنة 177هـ ، وكان ابرز هؤلاء محمد بن زائدة ، وراشد بن النظر ويحتمل أنهما اولاد النظر بن جعفر وزائدة بن جعفر اللذان قتلهما الجلندي بن مسعود مع والدهما- كما ذكرنا سابقا- وقد استطاعا ان يسيطرا على عُمان ، فعلى هذا تكون هذه العائلة الممثلة لقوى المعارضة للإمامة الاباضية قبل وبعد الجلندي ، وتظهر سيطرتهم بتعيين العمال على مدن وقصبات عُمان وفي الوقت نفسه تشير المصادر الإباضية إلى قيام شبيب بن عطية بدور فعال في نشر المذهب بعد مقتل الجلندي بن مسعود إذ كان يجبي القرى في حالة غياب السلطةالعباسية ، اما إذا فرضت السلطة العباسية سيطرتها وجبت الضرائب ، فانه يكف يده ويعتزل الامر ، وهذا يدل على ضعف السيطرة العباسية ومن يواليها بعمان .

وقد اختلف الفقهاء- من حملة العلم- في تحديد مركز شبيب بن عطية السياسي ويظهر انه لم يكن اماما منصوبا متفق عليه من قبل علماء الاباضية .

يتضح من هذا الاستعراض ان فشل الاباضية في الحفاظ على كيانهم لم يفت في عضد دعاتها واستطاعوا ان يمهدوا لقيام امامة اباضية جديدة امتدت من سنة177هـ/793م ، حتى سنة 280هـ/893م .

اعلان الإمامة الإباضية الثانية: عصر القوة والإزدهار 177هـ -237هـ/793هـ -886هـ

«لم يستطيع بنو الجلندي بزعامة محمد بن زائدة ، وراشد بن النظر ، توطيد الامن لحكمهم نتيجة للاضطرابات القبلية وكانت آخر هذه الاضطرابات خروج غسان بن عبدالملك أحد الشخصيات المعارضة لحكم راشد بن النظر الجلندي ، وقد استثمر فقهاء الإباضية وحملة العلم هذه الاضطرابات لصالح الدعوة ، محاولين ازالة آل الجلندي عن حكم عُمان ولهذا وقف الفقيه الإباضي موسى بن أبي جابر الأزكوي ومحمد بن عبدالله بن جساس مساندين لغسان بن عبدالملك رغم انه «ممن لم تحمد سيرته» كما أن الإباضية وشيوخهم كانوا على علم بظلمه ومع ذلك وقفوا إلى جانبه ، ولا يمثل هذا الموقف من

(1) العوتبي ، أنساب ورقة 169 , 165 ، ب .

الناحية النظرية للمبادئ الاباضية التي تقضي بعدم معاونة الظالم، ثم ان الخروج على الباغي أو جهاد المشرك لابد ان يتم مع امام ملتزم بآداب الحرب من الوجهة النظرية لدى فقهاء الإباضية .

إلا أن هذا الموقف من الناحية العملية مهد لنجاح الدعوة الإباضية، ويدل هذا الأسلوب على مرونة ونضج سياسي وعدم الجمود على أفكار السلف في الوقوف والتبري من الظالم، وهنا نلاحظ أن الاباضية استفادت من هذه المواقف إلى أبعد حد ممكن، فعللوا ان الاباضية استفادت من مساندتهم لغسان بن عبدالملك لصالح الدعوة وقالوا «في جواز الخروج مع الظالم على من هو اظلم منه»(1) مستغلين القوى الأخرى لضرب اعدائهم على الرغم من اختلاف المبادئ والأهداف السياسية .

ومثل هذه المواقف المرحلية التي تراعي ظروف الحركة من حيث القوة والضعف لم نألفها في حركات الخوارج كالازارقة الذين امتازوا بمواقفهم المتزمتة وأوجبوا «امتحان كل من التحق بهم، ليتأكدوا من مطابقة آرائه لعقائدهم وافكارهم»(2)، فإذا اجتاز الامتحان سمحوا له بالقتال في صفوفهم والا قتلوه(3) .

وعلى اثر حملات الدعوة الواسعة للدعاة من حملة العلم الاباضية واستغلالهم للصراع القبلي تهيأت الظروف المناسبة لازالة ال الجلندي واعلان الامامة الاباضية الثانية . ويشير الازكوي إلى ذلك فيقول «ثم ان الله منَّ على أهل عُمان بالالفة على الحق فخرجت عصابة من المسلمين - الاباضية - فقاموا بحق الله وازالوا ملك الجبابرة(4) وكانوا قبل بدء حركتهم في حالة من الضعف والفرقة . ويشير البسيوي موضحاً طبيعة الحركة بقوله «فان المسلمين كانوا مستضعفين لا يوالون أحد من اصحاب راشد ولا من ولاته، خرجوا عليه من قرى شتى من قبائل شتى حتى جمعهم الله واظهر سنن العدل»(5) ويتضح لنا من هذا النص ان الحركة الاباضية لم تكن لتتسم بطابع قبلي معين، كما أنها لم تكن حركة منطقة معينة لخروج الدعاة من مختلف القرى العمانية وهذا الأمر طبيعي بالنسبة للحركة الاباضية التي دخلت إلى عمان كدعوة فكرية لا تقر من حيث المبدأ بالافكار القبلية والاقليمية .

---

(1) السالمي التحفة 108/1، الحركة الاباضية في المشرق، ص210 .

(2) الدجيلي، فرقة الأزارقة، ص 80-81 .

(3) المصدر نفسه، ص 81 .

(4) الازكوي، كشف الغمة، ورقة 329ب، ابن رزيق سادة وأئمة عُمان، ص 9- السالمي، 108/1 .

(5) البسيوي الحجة على من ابطل السؤال ورقة 7، انظر الحركة الإباضية في المشرق، ص211 .

تجلت هذه الحركة في الدور القيادي لمدرسة ابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة فقام طلابه من حملة العلم[1] بالتهيؤ والاعداد للثورة وجمعوا الاباضية في شتى القرى العُمانية وقد تمت عملية جمعهم بعد ان جرت مكاتبات بينهم «فتكاتبوا وهم يومئذ أهل ضعف فاجتمعوا وتالفوا على اقامة الحق»[2] وقام محمد بن المعلى الكندي «وهو أول من قام في دولة الاباضية بعُمان»[3] بقيادة الاباضية في حربهم لراشد بن النظر الجلندي ورفع شعارهم المعروف (لا حكم الا الله) ايذانا ببدء الحركة الاباضية[4] . ويظهر ان الاباضية تجمعوا في منطقة الظاهرة[5] في حين حشد راشد بن النظر اتباعه في منطقة قبائل مهرة الواقعة جنوب عُمان ثم اتجه شمالاً إلى منطقة الظاهرة[6] «إلى أن صار بالمجازة فأتى اليه المسلمون فألفوه بالمجازة من أرض الظاهرة شرقي الوادي منها» واستطاع الاباضية ان يهزموا راشد بن النظر في واقعة المجازة الحاسمة في شهر رمضان عام 177هـ/ 793م ، وعلى أثرها ترك راشد بن النظر مدينة نزوى ، وكان من نتائج هذه المعركة زوال سلطة العباسيين وحلفائهم من آل الجلندي عن عُمان ، وبهذا تعتبر واقعة المجازة البداية الحقيقية للدولة الاباضية الثانية في عُمان فعلى اثر هذه المعركة بدأ الإباضيون يعينون عمالاً منهم على ولاياتها وقاموا بجمع الصدقات الشرعية من أهلها[7] .

ويشير السالمي إلى أن الإباضين رجعوا إلى منطقة منح بعد واقعة المجازة وارسلوا إلى مدينة ازكى رسلهم تدعوا الفقية الاباضي موسى بن ابي جابر الازكوي للحضور لتقرير مستقبل الامامة الجديدة ويظهر أن منح هي احدى نواحي نزوى التي حمل اليها موسى بن ابي جابر الازكوي[8] وكان آنذاك مريضاً . وعن هذا الاجتماع يقول الازكوي :«إن المشايخ

---

(1) اطفيش ، الامكان فيما جاز ان يكون أو كان ، ص 9-11 .

(2) السالمي ، التحفة ، 109/1 .

(3) العوتبي ، الأنساب ، ورقة 93م .

(4) السالمي ، التحفة ، 109/1 .

(5) تقع الظاهرة شمال غربي مدينة نزوى وتقع فيها الحجر الغربي ، السعدي المصدر السابق ، ص 195 ، ويقول عنها العبري «حوزة الأرض التي فيها بلد عبري والسليف والعراقي والعينين والدريز تسمى الظاهرة لظهورها عن الجبال التي تكشف أرض الجوف» انظر الملحق الجغرافي بكتاب العقود الفضية في اصول الاباضية لإبراهيم بن سعيد العبري ، ص 2 .

(6) السالمي ، المصدر السابق110/1 .

(7) المصدر نفسه ، انظر الحركة الإباضية في المشرق ، 2/2 .

(8) الأزكوي ، كشف الغمة ، ورقة 329 ب ، ابن رزيق ، سادة وأئمة عُمّان ، ص 10 .

والعلماء من أهل عُمان اجتمعوا في نزوى ، وكان رئيسهم وعميدهم موسى بن ابي جابر الأزكوي» . وقد حضر هذا الاجتماع بشير بن المنذر ومحمد بن المعلي[1] .و هم من طلاب ابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة وكانوا قد تلقوا دروسهم في الفقه والسياسة في مدينة البصرة مركز اشعاع الفكر الإباضي آنذاك[2] .

وقد تمخض هذا الاجتماع عن نتائج مهمة تجلت فيها الشخصية الحكيمة والسياسة الرشيدة والادراك العميق لطبيعة الامور لدى فقيه الدعوة الاباضية موسى بن أبي جابر ، فقد ادرك ان بعض الرؤساء الحاضرين يطمعون في رئاسة الدولة «وقد حضر معهم رؤساء لا يؤمنون على الدولة فخاف موسى ان لا يكون المسلمين يد وأن تقع الفتنة»[3] .

ولهذا إتخذ اجراءاً مناسبا يجنب الكيان الجديد الانشقاق والخصومات التي تحدث عادة بعد نجاح الثوار في الاستيلاء على مقاليد الامور بعد مشاورة مشايخ الإباضية تعيين قيادي الدعوة على الاقسام الإدارية المهمة بعُمان فقال لمحمد بن المعلي الكندي «قد وليناك صحار [4] وما يليها فاكفنا أمرها»[5] وبهذا تولى الاقسام الساحلية الواقعة شرق عُمان أو ما تسمى بمنطقة الباطنة .

اما المنطقة الداخلية التي تركزت فيها الدعوة الاباضية فقال موسى بن ابي جابر :«قد ولينا ابن ابي عفان نزوى وقرى الجوف . . .»[6] .

---

(1) السالمي ، التحفة 110/1 .

(2) العوتبي ، الانساب ، ورقة 170 ب .

(3) الأزكوي ، كشف الغمة ورقة 329ب ، انظر الحركة الإباضية في المشرق ، 211 فما بعد .

(4) مدينة صحار تقع إلى الشمال الغربي من مسقط على مسافة 125 ميلا وهي ذات مرفأ ذو خليج صالح للملاحة ، السعدي ، رسالة الإسلام العدد نفسه ، ص 190 ، وقد وصفها الجغرافيون المسلمون فقال الاصطخري «وهي على البحر وبها متاجر البحر وقصد المراكب وهي أعمر مدينة واكثرها مالا ، ولا تكاد تعرف مدينة اكثر عمارة ومالا من صحار» .
وبهذا تظهر الاهمية الاقتصادية لمدينة صحار ويظهر انها كانت المركز الاداري المهم بعد مدينة نزوى في هذه الفترة كما يبدو ، الاصطخري ، ابو اسحق إبراهيم بن محمد ، المسالك والممالك (ليدن ، 1927) ، ص25 .

(5) السالمي ، التحفة 110/1 .

(6) كشف الغمة ، ورقة 329 ب ، انظر الحركة الإباضية في المشرق ، 212 .

ويظهر بأن محمد بن أبي عفان قد شارك في قتال راشد بن النظر وكان قائدا من قواد الدعوة الاباضية ، ويشير السالمي ان «محمد بن عبدالله بن ابي عفان كان رجلا من اليحمد الا انه نشأ في العراق وكان من أهل العراق قدموا به إلى عُمان»[1] ، ويتضح من خلال هذا النص الصلة الوثيقة للإباضية بالعراق ويظهر أن بعض (حملة العلم) من علماء الاباضية اتجهت انظارهم لموسى بن ابي جابر الازكوي لتولي إمامة الدولة الاباضية باعتباره أبرز الشخصيات العقائدية والسياسية أو لخدماته الكبيرة التي قدمها للدعوة الاباضية . إلا أن موسى بن ابي جابر فضل المصلحة العامة للدعوة الاباضية على مصلحته الشخصية آخذاً بنظر الاعتبار طموح كل من دعاتها الكبار لتولي شؤون الامامة فعندما طلب موسى بن ابي جابر من محمد بن عبدالله ليتولى نزوى وقرى الجوف «فقال الشيخ ابو المنذر بشير بن المنذر قد كنا نرجو أن نرى ما نحب والان قد رأينا ما نكره»[2] ثم قال له :«قد كنا رجوناك يا أبا علي ان تسير بهذه فرددتها إلى هؤلاء الذين يخافون على الدولة ، فقال موسى بن ابي جابر إنما كان نظري يا أبا الحكم للدولة»[3] ، «واعلمه انما أراد ان يفرقهم لئلا تقع الفتنة»[4] .

إمامة محمد بن عبدالله بن أبي عفان:177هـ-179هـ/ 793-795م.

«ينتمي محمد بن عبدالله بن أبي عفان ، لقبيلة اليحمد الأزدية ، نشا وترعرع في العراق وعلى هذا فهو من اباضية العراق ، قدم به اباضية عُمان إلى بلدهم عندما فكروا باقامة الامامة الاباضية فيها[5] ويظهر انه كان قائدا من قواد الدعوة الاباضية[6] الذين اشتركوا في قتال راشد بن النظر الجلندي . وفي رواية للسالمي ان موسى بن ابي جابر اراد ان يبايع محمد بن المعلي كامام شاري لخدماته التي بذلها في مرحلتي الكتمان والظهور ، الا انه لم يبد استعداداً لقطع الشري فبويع بدله محمد بن عبدالله بن ابي عفان بعد ان ابدى موافقته لقطع الشري ، فلما استتبت له الامور عين ولاة جدد غير أولئك الذين عينوا

(1) السالمي ، التحفة 110/1 .
(2) كشف الغمة / ورقة 329 ب .
(3) السالمي ، التحفة 110/1 .
(4) كشف الغمة / ورقة 330 م .
(5) السالمي ، التحفة 111/1 ، الحركة الاباضية في المشرق 212 فما بعد .
(6) البسيوي ، الحجة على من ابطل السؤال ورقة 17 ، انظر الحركة الإباضية في المشرق ،ص212 .

بعد واقعة المجازة ، وبمبايعته ابتدأت هذه الدولة في شهر رجب عام177هـ/793م[1] . ويظهر أن إمامته كانت امامة دفاع حتى تضع الحرب اوزارها[2] . كانت مهمة محمد بن عبدالله بن ابي عفان شاقة في مواجهة التكتلات والأحلاف القبلية السابقة وكان على الامامة ان تتحمل تبعاتها لاعتمادها على بعض أطراف النزاع القبلي في فرض سيطرتها على عُمان فقد اعتمد محمد بن عبدالله بن ابي عفان على سعيد بن زياد البكري للقضاء على الفتن في المنطقة الشرقية[3] أو ما يسمى بأهل الشرقية كما يصطلح عليه العمانيون[4] . وقد استطاع سعيد بن زياد من اخماد هذه الفتن والاستيلاء على هذه المنطقة ودمارها انتقاماً لبني الحارث من أهل نزوى وأهل أبرا الذين اوقع بهم بنو هناءة ابان حكم راشد بن النظر بن الجلندي في عام145هـ/762م[5] ، وقد بارك له أعماله الانتقامية الشيخ موسى بن أبي جابر . فيقول السالمي «فلما وصل اليهم وكان بينه وبينهم ما كان ، وظهر عليهم سعيد ، واستولى على بلادهم واراد دمارها بعث رسولا إلى موسى ابن ابي جابر ليأخذ رأية في قطع نخيلهم فاجاب فقال موسى لرسوله «ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على اصولها فبأذن الله وليخزي الفاسقين»[6] .

وتحت ستار هذه الفتوى أنزل سعيد الدمار في المزروعات والديار إنتقاما لبني قومه وخروجاً على آداب الحرب الإسلامية . فأثار باجرائه هذا كبار الدعاة المعاصرين لمحمد بن عبدالله بن ابي عفان وحملوه مسؤولية أعمال سعيد بن زياد البكري . فاعتبر أبو أيوب وائل بن أيوب الحضرمي أعمال سعيد إضراراً ببيت مال الدولة . وقد وثق قول وأئل بن ايوب المجتهد الاباضي محمد بن محبوب من علماء أواخر القرن الثاني وأوائل الثالث

---

(1) كشف الغمة / ورقة 33أ .

(2) الحركة الاباضية في المشرق ، ص 213 فما بعد ، فقد اعتمدنا عليه بالنص .

(3) السالمي ، المصدر السابق ، ص 112 الحركة الاباضية في المشرق213-216 .

(4) الشرقية ، المنطقة الواقعة إلى جنوب الشرقي في عُمان الوسطى مركز الامامة وفيها تقع جبال الحجر الشرقي السعدي ، مجلة رسالة الإسلام العدد السابق ، ص 195 ولا يعنون بالشرقية شرق عُمان كله «وقد اصطلح أهل عُمان فيما بينهم على قسمة تسمية نواحيها للتميز فسموا ما كان شرقي بلدان العوامر إلى أخر حدود بلدان بالشرقية (العقود الفضية في أصول الإباضية) »ص2 .

(5) العوتبي ، 169ب .

(6) السالمي ، المصدر السابق ، ص 112/1 .

الهجري[1] . حيث استنكر الأعمال التي قام بها سعيد يقول :«ما سمعنا عن احد من قواد هذه الدولة أولاها ولا آخرها صنع ، ولا سار في حربهم بشر ، بما صنع سعيد بن زياد البكري ، من سفك الدماء وترك المعروف»[2] ، وقد تحمل ابن ابي عفان مسؤولية هذه الأعمال فكانت من الأسباب التي افقدته تأييد قادة الدعوة وخلعه عن الامامة . ومما يؤيد ذلك ان الامام الذي خلفه في الامامة اتخذ اجراءات بإبعاد سعيد بن زياد البكري إلى البحرين ، لكي يرضي علماء الاباضية من جهة وليخفف من حدة العصبيات القبلية بين بني هناءة وبني الحارث الذين ينتمي لهم زياد بن سعيد البكري من جهة اخرى[3] .

ونتيجة لسلوكه الجافي لتعاليم الدعوة الاباضية واستبداده بالأمور وصدوده عن فقهاء الدعوة في عُمان وعدم الاخذ بنصائحهم مع ما كان لهم من يد طولى في خلع الامام وتنصيبه فلم يدرك محمد بن عبدالله بن أبي عفان انشداد الشيعة الاباضية لأئمة الفقهاء وسيطرتهم الروحية على النفوس ، ويعبر البسيوي عن ذلك فيقول :«ظهرت منه امور جفا فيها وجعل يستخف بحقوق اشياخ المسلمين ويفسق عليهم»[4] ونتيجة لهذه السيرة المرفوضة طعن الكتاب الاباضية في شخصيته ولم يجعلوه في عداد أئمتهم من الناحية النظرية بالرغم من حكمه الذي استمر سنتين وشهر[5] ولهذا السبب وغيره من الاسباب التي ذكرناها قرر الاباضية خلعه من الإمامة «فعملوا له حيلة اخراجه من مدينة نزوى ربما لابعاده عن مؤيديه من معسكر نزوى وذلك في سنة 179هـ ، وانتخبوا الوارث بن كعب الخروصي بدلا منه»[6] .

يتضح لنا ان هذه الإمامة كانت إمامة دفاع ومن سمات هذه الامامة المدافعة داخل حدود الامامة .

---

(1)توفي محمد بن محبوب سنة 260هـ ، في امامة الصلت بن مالك وكان قاضياً له بمدينة صحار ، العقود الفضية في اصول الاباضية ، ص 255 .

(2) السالمي ، المصدر نفسه ، الحركة الإباضية في المشرق ، ص214 .

(3) العوتبي ، ورقة 169ب .

(4) البسيوي ، الحجة على من أبطل السؤال ، ورقة 22 ، يقول الأزكوي وبلغني إنما الذي أنكروا عليه جفوته للمسلمين ورده للنصائح ، كشف الغمة ، ورقة 330أ .

(5) انظر السالمي ، التحفة ، أ113 ,112 العقود الفضية في أصول الإباضية ص153 .

(6) المصدر نفسه ، السالمي التحفة أ ، 114 فاروق عمر ، العباسيون الأوائل ، ج 1 ،ص 253 .

امامة الوارث بن كعب الخروصي179هـ 192هـ/795-807م

«الامام الوارث من اليحمد[1] سمي بالخروصي نسبة إلى وادي بني خروص حيث كان يسكن قرية هجار الواقعة في هذا الوادي ، ويظهر انه كان فلاحا يعمل في الزراعة[2] .

وقد اشترك بصورة فعلية في عزل محمد بن عبدالله بن ابي عفان من الامامة وقد خرج بصحبة موسى بن ابي جابر الأزكوي الذي حملوه على سرير (من أزكي إلى نزوى لكبر سنه) . وفي مدينة نزوى مقر الإمامة الإباضية عقد له الامامة موسى بن ابي جابر الازكوي بمشورة علماء الاباضية بايعوه كإمام شاري للدعوة .

ويعد عهد هذا الامام من أبهى عهود الامامة . إذ ساد الاستقرار في عُمان ولم يحدث ما يعكر صفو الامن في جميع ارجاء الامامة ، كما امتدحه المؤرخون لحسن سيرته . يقول الأزكوي :«فوطيء الوارث أثر السلف الصالح من المسلمين وسار بالحق واظهر دعوة المسلمين وعز الحق وأهله وخمد الكفر ودفع الله الجبابرة»[3] ويستشف من هذا النص استقرار الاحوال الداخلية لأن مصطلح الجبابرة ذو معنى إداري وسياسي ويعنى به استيلاء أمراء القبائل على بعض قصبات عُمان مناهضين للإمامة الاباضية في حالة ظهورها ، أو مساندين للخلافة العباسية في حالة زوال الإمامة . فكل من لم يحكم وفقاً لتعاليم الإسلام كما يقره المذهب الاباضي فهو من الجبابرة[4] حتى ولو كان هذا الحاكم إباضياً[5] . فالأزكوي أراد بنصه السابق سيادة تعاليم الدعوة الاباضية من جهة وعدم الخروج على إمامة الوارث بن كعب الخروصي .

كانت السنوات التي قضاها الوراث بن كعب الخروصي في الامامة والتي استمرت اثنتي عشرة سنة وستة اشهر[6] ، ذات اثر كبير في استقرار عُمان واستمرار الامامة فيها إذ خمدت الاحقاد القبلية وأصبحت الدعوة الاباضية العامل الحاسم في السياسة الداخلية ، وتشير رواية السالمي إلى كفاءته الادارية وعدله حيث لم يكن يؤثر قريب في حكمه ،

---

(1) كشف الغمة ورقة 330 أ ، العقود الفضية في أصول الاباضية ، ص 253 ، الحركة الإباضية في المشرق 214 .

(2) السالمي ، التحفة ، 115/1 .

(3) كشف الغمة ، ورقة 330 أ .

(4)الازكوي كشف الغمة ورقة ، 329 ب .

(5) السالمي التحفة 112/1 .

(6) كشف الغمة ، ورقة 330 ب .

فعندما اوقف اموالا لكي تنفق على أهل هجار وستال وما زاد منه يوزع على المناطق المجاورة وقد منع بني أخيه من هذا الوقف لتخلفهم عن نصرة الدعوة الاباضية[1] ومن عدل هذا الامام ومروءته والتزامه بنصوص الشريعة أنه جاز لانقاذ السجناء في احد أودية عُمان بعد تعرض هذا الوادي لسيل جارف واعتبر نفسه مسؤولا عن انقاذهم[2] ، وقد لاقى حتفه معهم غرقا في هذا الوادي[3] .

استطاع الإباضيون أن يقيموا دولتهم في عُمان في أوج ازدهار الدولة العباسية في خلافة هارون الرشيد (170هـ /786م -193هـ .808م) في سنة 177هـ ، وقد ساعدهم على نجاح الحركة بعد عُمان عن حاضرة الخلافة ووعورة الطريق البري الذاهب الي عُمان المحاذي للضفة الغربية للخليج العربي وقلة القبائل الحليفة للعباسيين في هذا الاقليم ولهذا كان من الصعوبة بمكان على السلطة المركزية ان تجند حلفاءها بسرعة ، فساعدت هذه العوامل الدعوة الإباضية على توطيدكيانها السياسي قبل أن يتمكن العباسيون من مهاجمتهم . ويبدو أن الحملة العباسية التي أعدها الرشيد قد وصلت متأخرة إلى عُمان ، ومن الصعوبة بمكان تحديد تاريخ لهذه الحملة الا أنه يفهم من رواية للسالمي إرسال هذه الحملة في أواخر خلافته ولتحديد تاريخ هذه الحملة يمكن القول إنها توجهت إلى عُمان بعد عام 179هـ/ 793 وقبل عام 808/193 وهو العام الذي توفي فيه هارون الرشيد[4]» .

ولأهمية هذه الحملة فقد اعطى هارون الرشيد قيادتها لاحد اقربائه المقربين ، الذي اختلف المؤرخون في شخصيته فالأزكوي والسالمي يذكران بان قائد هذه الحملة هو عيسى بن جعفر بن ابي جعفر المنصور[5] بينما ذكر ابن حبيب والبلاذري ان قائد الحملة على عُمان كان عيسى بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس[6] ونرجح رواية ابن حبيب والبلاذري لأن عيسى بن جعفر الذي عناه الازكوي توفي في طريق جرجان

---

(1) السالمي التحفة 116/1 .

(2) كشف الغمة ، ورقة 330 ب ، السالمي ، التحفة 120/1 .

(3) الجيطالي ، شرح قواعد الإسلام ، ورقة 16 أ ب .

(4) اليعقوبي ، التاريخ ، 116/3 ، الحركة الاباضية في المشرق ، 221-229 ، حيث اعتمدنا عليه نصا .

(5) كشف الغمة ، 330أ .

(6) ابن حبيب المحبر ، (حيدر اباد 1942) ، ص 488 ، البلاذري فتوح ، القاهرة ، 1956 ، ق 1 ، ص 93 .

مستقبلا لهارون الرشيد عند توجهه إلى هذه المنطقة في سنة 192هـ/سنة 807م[1] . وقد بكى الرشيد عيسى بن جعفر اخى زبيدة لحبه الشديد له[2] .

تألفت الحملة العباسية المتوجهة إلى عُمان من الف فارس . وخمسة آلاف راجل[3] ويبدو ان الحملة بحرية إذ يصعب علي الخمس آلاف راجل قطع الطريق الصحرواية الشاقة من البصرة إلى عُمان بمحاذاة الضفة الغربية للخليج العربي .

«وينعى ابن حبيب والبلاذري على أهل البصرة الذين الفوا جند الحملة العباسية سوء اخلاقهم كمحاربين وإثارتهم لأهل عُمان الذين وقفوا يترصدونهم على سواحل عُمان الشمالية والشرقية . يقول ابن حبيب :«فخرج بأهل البصرة فجعلوا يفجرون بالنساء في طريقهم ويسلبون ، فبلغ أهل عُمان ذلك فحاربوا عيسى ومنعوه من دخول بلدهم فظفروا به وصلبوه وامتنعوا على السلطات فلم يعطوا طاعة»[4] . الا ان رواية البلاذري أكثر دقة وتمييزا لاتجاه عُمان السياسي كما أن البلاذري لا يجعل الفساد وحده سبب لصمود أهل عُمان بوجه الحملة العباسية . يقول البلاذري :«فولاها عيسى بن جعفر بن سليمان بن علي عبدالله بن العباس ، فتوجه إليها بأهل البصرة ، فجعلوا يفجرون بالنساء ويسلبونهم ويظهرون المعاصي ، فبلغ ذلك أهل عُمان وجلهم شراة[5] . فحاربوه ومنعوه من دخولها ، ثم قدروا عليه فقتلوه وصلبوه ، وأمتنعوا على السلطان فلم يعطوه طاعة وولوا أمرهم رجلا منهم» ويظهر من نص البلاذري المذكور ان الدافع الأساسي لهذه الحملة القضاء على الكيان السياسي للإباضية بعمان الذين يكوّنون أكثر أهل عُمان .

ويظهر أن بعض آل المهلب المشهورين قد وقف إلى جانب الاباضية وذلك بحكم الرابطةالقبلية المتينة فقد كتب «داود بن يزيد المهلبي إلى الامام وارث بن كعب يخبره ان

---

(1) اليعقوبي ، التاريخ116/3 .

(2) الجومرد ، هارون الرشيد ، 556/2

(3) السالمي ، التحفة 118/1 .

(4) ابن حبيب ، المحبر ، ص488 ، البلاذري ، فتوح ، ق1 ، ص93 .

(5) الشراة ، من اسماء الخوارج (وسموا شراة لأنهم باعوا انفسهم لله) واشتق هذا الاسم من الأية القرآنية ﴿ومن الناس من يشتري نفسه ابتغاء مرضاه الله﴾ .

عيسى وصل بعسكره»[1] وتشير رواية أخرى ان داود بن يزيد المهلبي كتب إلى والي صحار مقارش بن محمد اليحمدي يخبره بدخول الجيش العباسي الأرض العمانية[2] . وهذا بدوره كتب إلى الامام وارث بن كعب الذي يقيم في مقر الامامة بمدينة نزوى بوصول الحملة العباسية فأمر مقارش بن محمد اليحمدي على ثلاثة آلاف رجل[3] فالتقوا بـ (حتى) الواقعة إلى الشمال من صحار في شرق عُمان . ومعنى ذلك ان الحملة العباسية كانت قد توغلت كثيرا في الساحل العماني من منطقة جلفار حتى وصولها إلى منطقة (حتى) . وفي هذه المعركة انهزم عيسى بن جعفر إلى مراكبه الراسية على الساحل العُماني ، فسارت إليه حملة بحرية مكونة من ثلاثمائة مركب قادها ابو حميد بن فلح الحمداني السلولي يعاونه عمرو بن عمر واستطاع هؤلاء القادة من أسر عيسى بن جعفر بن سليمان الهاشمي واخذوه إلى صحار[4] واخبروا الامام وارث بن كعب الذي كان قد توجه على رأس جيش من نزوى لمواجهة الحملة بأسرهم لعيسى بن جعفر واعتقاله بمدينة صحار فرجع وارث بن كعب إلى مدينة نزوى بعد ان قضى ولاته على خطر الحملة العباسية[5] . وتعد هذه الهزيمة أول انتكاسة بحرية للخلافة العباسية في عُمان وكان من نتائجها ترسيخ جذور الامامة الاباضية في عُمان ولم تجرؤ الخلافة العباسية على منازلة الاباضية بعد هذه الهزيمة المنكرة بعد ادراكها لقوة الإمامة الإباضية حتى عام 280هـ/893م ، إذا استطاع محمد بن بور عامل البحرين من الاستيلاء عليها[6] بسبب الانقسام الداخلي الذي ادى إلى زوال الامامة الثانية لفترة محدودة من عُمان[7]» .

أما فيما يتعلق بمصير عيسى بن جعفر بن سليمان فقد قام الإمام وارث بن كعب خطيبا : «فقال : يا أيها الناس ، اني قاتل عيسى بن جعفر فمن كان معه قول فليقل»[8]

(1) كشف الغمة ، ورقة 330 أ .

(2) كشف الغمة ، ورقة 330 أ .

(3) السالمي التحفة 118/1 .

(4) كشف الغمة ، ورقة 330 أ .

والحدان بطن من الازد القاطنين بعمان ، انظر ابن حبيب ، مختلف القبائل ومؤتلفها ، غوتا ، 1850 ، ص3 .

(5) السالمي التحفة 118/1 .

(6) الطبري ، الرسل والملوك ، 33/10 ، انظر الحركة الاباضية في المشرق ، 229 فما بعد .

(8) العوتبي ، الانساب ، ورقة 170أ .

(9) السالمي المصدر السابق .

ولعله بأسلوبه هذا أراد ان يحمل جميع الإباضية مسؤولية قراره هذا فقام احد فقهاء الاباضية وهو علي بن عروة فقال له :«إن قتلته وان تركته فكله واسع لك»[1] فارتأى الامام وارث بن كعب بعد ذلك تركه سجينا ، ولاشك ان هذا الموقف الحكيم من الامام الاباضي سوف لا يعرّض عُمان لغزو عباسي جديد انتقاما لعيسى بن جعفر الذي يرتبط برابطة العمومة بالخليفة هارون الرشيد الا ان مجموعة من الاباضية المتطرفين «انطلقوا من حيث لا يعلم الامام حتى أتوا صحار ، فتسوروا السجن وقتلوا عيسى من حيث لا يعلم الوالي ولا الامام وانصرفوا من ليلتهم[2] وقد قادهم في هذه العملية يحيى بن عبدالعزيز احد رجالات الاباضية البارزين بعمان[3] وهذه الحركة تمثل النزعة الخارجية بصورة عامة في حرية التصرف والاجتهاد وتضع الإمام الاباضي في موقف حرج بسبب تصرفات فردية بدون إدراك لعواقب الامور ، يقول الازكوي :« فلما قتل عيسى بن جعفر عزم هارون على انفاذ جيش إلى عُمان فارتاعوا مدة ثم انه مات قبل ذلك وكفاهم الله شره[4] وكان لوفاة هارون الرشيد وما اعقبها من صراع على ولاية العهد متنفسا للأمامة الاباضية لتثبيت كيانها حيث اشتعل أوار الصراع بين الأمين والمأمون[5] . مما جعل الخلافة العباسية في شغل شاغل عن عُمان فأنساهم الانتقام لإبن عمهم وارجاع عُمان لحضيرة الخلافة العباسية» .

«إن الرواية الاباضية عن قتل عيسى بن جعفر تخالف مضمون رواية ابن حبيب الذي عدّ عيسى بن جعفر في عداد المصلوبين في الإسلام يقول ابن حبيب «فحاربوا عيسى من دخول بلدهم فظفروا بهه وصلبوه وامتنعوا على السلطات فلم يعطوا طاعة»[6] . ويتفق البلاذري مع ابن حبيب في روايته في صلب أهل عُمان لعيسى بن جعفر[7] وقد برر ابو محمد الفضل الحواري من علماء الإباضية في القرن الرابع الهجري عملية اغتيال عيسى بن جعفر دون اذن الامام بقوله :« . . . وللمسلمين أن يقتلوا من قتلهم كيفما قدروا عليه في غيلة أو غير غيله ، قال وفي ذلك آثار المسلمين قائمة معروفة»[8] .

---

(1) كشف الغمة ، ورقة 330 أ ، الحركة الإباضية في المشرق ص230 فما بعد .

(2) كشف الغمة ورقة 330 أ ، السالمي ، التحفة ، 119/1 .

(3) كشف الغمة ، ورقة 330 أ .

(4) المصدر نفسه ، السالمي ، المصدر السابق .

(5) كشف الغمة ، ورقة 330 ب ، السالمي ، المصدر السابق119 .

(6) اليعقوبي ، التاريخ ، 172/3 فما بعد ، المسعودي مروج الذهب ، 389/3فما بعد .

(7) ابن حبيب ، المحبر ، ص 488 .

(8) البلاذري ، الفتوح ، ق 1 ص ، 93 ، انظر الحركة الاباضية في المشرق ، ص231 فما بعد .

«يشير الازكوي ان السبب في وفاة الوارث هو غرقه في احد اودية نزوى بسبب السيول الجارفة التي داهمت السجن الواقع في وادي كلبوه[1] وغرق معه سبعون رجلا من الاباضية في هذا الوادي في اليوم الثالث من جمادي سنة 192هـ/ 807م ، ودفن الوارث بين العقر وسعال وقبره معروف وهو ذو شعبية كبيرة .

إن عهد الوارث بن كعب يعد من ازهى عهود الإمامة الاباضية بعمان وقد ترك للأئمة الذين خلفوه في حكم الإمامة كياناً مستقراً مكنهم من الاستمرار في حكم عُمان حتى سنة 280هـ»[1] .

إمامة غسان بن عبدالله الفحجي 192-208هـ/ 807-823م

«اجتمع علماء الإباضية في منطقة فلج ضوت بعد وفاة الوارث بن كعب وكان من ابرز المجتمعين سليمان بن عثمان ومسعدة بن تميم[2] وقد أراد سليمان بن عثمان أن يكتب إلى الشرق والسر[3] للنظر في انتخاب إمام جديد[4] . ولما كانت منطقةالشرق بعمان تثير المتاعب للامامة الإباضية لاستيطانها من قبل بني هناءة وقبائل مهرة إذ أنها بقيت لفترة طويلة البؤرة التي تنطلق منها الاضطرابات القبلية . فلم يوافق مسعدة بن تميم على رأي سليمان بن عثمان وقال له مسعدة بن تميم :«أتريد يا أبا عثمان ان تجمع الناس فيختلفون علينا ولكن اقطع الأمر»[5] . ويشير السالمي إلى انه حذر سليمان بن عثمان من التباطؤ في اختيار إمام جديد للإمامة تجنبا للفرقة التي قد يحدثها غوغاء الناس[6] . فوقع اختيارهم

---

(1) السالمي ، المصدر السابق ، ص 119 .

(2) الحركة الاباضية في المشرق ، ص 231-244 وقد اعتمدنا عليه نصاً .

(3) تقع السر ، إلى الشمال الغربي من مدينة نزوى في منطقة الظاهرة وسميت قرى العينين والعراقي والغبي البائد باسم أرض السر انظر السعدي ، مجلة رسالة الإسلام العدد السابق ، ص 195 .العبري ، الملحق الجغرافي ،ص 3 بكتاب العقود الفضية في أصول الإباضية ، وذكر المقدسي منطقة السر فقال عنها :«اصغر من نزوة ، والجامع في السوق ، شربهم من انهار وآبار وقد التفت بها النخيل) المقدسي أحسن التقاسيم ، ص 93 .

(4) السالمي التحفه122/1 .

(5) مصباح الظلام ورقة 25 ب ، أبو المؤثر الاحداث والصفات ، ورقة 17 .

(6) السالمي ، التحفة122/1 ، الحركة الاباضية في المشرق ، ص 231 .

على غسان بن عبدالله الفححي اليحمدي الازدي لتولى الامامة في الرابع من شهر جمادي الأولى سنة 192هـ /807م[1] . ولا نعرف السبب في تفضيله على غيره لتولي منصب الامامة إذ لا تشير المصادر الاباضية إلى نشاط قام به في خدمة الدعوة الاباضية قبل توليه الامامة . ويحتمل ان اختياره للامامة لقوة شخصيته وكفاءته كما ظهر من خلال حكمه لعُمان إذ سار بالامامة الاباضية سيرة مرضية فأشاد به المؤرخون يقول الازكوي «فوطئ اثر المسلمين وعز الإسلام وأهله وخمد الكفر» .

«لقد ذكرنا ان الامام وارث بن كعب الخروصي أرسى قواعد الاستقرار ونعمت عُمان في حكمه باستقرار سياسي إذ استطاع اخماد المعارضة الداخلية للامامة الاباضية ، ولكن هذه القوى ما لبثت ان ظهرت من جديد متمثلة بالمعارضة التقليدية لبعض آل الجلندي وبنى هناءة[2] . يقول الازكوي «وفي زمنه غسان – قتل الصقر بن محمد بن زائدة وكان ممن قد بايع المسلمين على راشد بن النظر الجلنداني وأعانهم بالمال والسلاح» ومعنى ذلك ان الصقر بن محمد بن زائدة ساعد الحركة الاباضية التي ازالت آل الجلندي عن حكم عُمان في سنة 177هـ/سنة 793م .

ولا نتفق مع السالمي في اشارته إلى أوضاع بني الجلندي السياسية بعد انتقال السلطة منهم إلى الاباضية سنة 177هـ ، حينما يقول «وبذلك انقضت دولة بني الجلندي وانتقلت الدولة إلى اليحمد ، فلم يكن لبني الجلندي بعدها دولة اصلا بالمعنى المحدد ، ولم تكن لهم حركة الا ما كان منهم بتوام في أيام المهنا»[3] .والحال أنهم لم يكن لهم دولة تذكر إلا أن مشاركتهم لبني هناءة دليل على استمرار حركتهم وتواطئهم ومناوئتهم لإمامة غسان بن عبدالله الفححي[4] .

ويشير العوتبي إلى خروج بني هناءة «ومنهم راشد بن شاذان بن غسان بن سعيد بن شجاع الهنائي من بني محارب وهو الذي سار إلى دما ونهبها وقتل واليها وقومه وكان ذلك

---

(1) السالمي المصدر السابق ، العقود الفضية في أصول الاباضية ، ص 254 .

(2) كشف الغمة ، 330ب .

(3) العوتبي ، 170أ ، كشف الغمة ، 230ب .

(4) السالمي ، المصدر السابق108/1 ، انظر الحركة الإباضية في المشرق ، 232 .

(5) العوتبي169 ، ب 170 أ .

في ولاية الامام غسان بن عبدالله الفححي فوجه غسان في طلبه ومن كان معه من محاربي بني هناءة فلم يلحقوا بهم» ويحدد لنا الازكوي المنطقة التي انبعثت منها هذه الحركة القبلية ويوضح السبب الذي أدى إلى قتل بعض آل الجلندي حيث يقول :«إنه خرج على المسلمين رجل من أهل الشرق ومعه بنو هناءة وغيرهم باغياً على المسلمين فلقي إلى المسلمين أن أخ الصقر مع البغاة فذكروا للصقر ، فقال من يقول ، هذا أخي معي في الدار مريض ولما تحقق أن اخا الصقر معهم فاتهموه بالمداهنة لما ستر عن أمر أخيه»[1] .

«ويستدل من هذا النص مداهنة الصقر بن محمد زائدة الجلنداني واخيه ابي راشد بن محمد للخارجين على الامامة في عام 207هـ/822م . وقد اتخذوا هذا الموقف بعد ضعفهم الشديد الذي جاء نتيجة لاندحارهم وتشتيت قواهم على يد الدعاة الاباضية عام 177هـ ، فأمر الامام غسان بن عبدالله والي منطقة سمايل باحضار الصقر بن محمد الجلندي إلى مقر الإمارة بنزوى «فحضى الوالي بالصقر مع الشراة خوفا عليه منهم ان يبطشوا به» وبعث الامام الإباضي سرية أخرى برفقة الفقيه الإباضي موسى بن علي لحماية الصقر بن محمد الجلنداني فالتقوا بمنطقة نجد السحامات وفي مسيرهم هذا اعترضهم بعض الشراة فقتلوا الصقر بن محمد . ويبدو أنهم حمّلوه مسؤولية هذه الخارجه فكانوا في حالة شديدة من الغضب . ويشير الأزكوي إلى ذلك بقوله «فلم تكن لابي الوضاح ولا لموسى بن علي القدرة على منعهم من قتله . . .» ويظهر ان الاوامر كانت تقضي بقتله سرا بايعاز من غسان بن عبدالله الفححي . ويشير الازكوي إلى ذلك بقوله :«ولم يبلغنا عن الامام غسان إنكار على من قتله»[2] . ويظهر في هذا النص ما يؤيد موافقة الإمام غسان على قتله ، وهناك احتمال ثان وهو أنهم قتلوه بدون أوامر من الامام غسان بن عبدالله كما قتلوا عيسى بن جعفر بن سليمان في إمامة الوارث بن كعب الخروصي» .

ولنا أن نتساءل لماذا لم يعاقب الامام الإباضي زعيم بني هناءة راشد بن شاذان بن غسان الهنائي؟ ولماذا لم ينتقم الشراة من هذا الرئيس القبلي الذي اوقع الخراب والدمار

---

(1) دما ، المعروفة اليوم ببلد السيب الواقعة في منطقة الباطنة المطلة على خليج عُمان ، السعدي ، مجلة رسالة الإسلام العدد السابق ، 195 يقول العبري :«وكانت بلد السيب العامرة دمي بوزن جمع دمية وهذا الاسم يطلق على موضع معروف بها الآن . . . وقد أول بعضهم تسميته لكثرة ما كان يراق بها من الدماء . . . وقد كانت يومئذ موضع رباط أهل عُمان تجاه من يحاربهم من جهة البحر حتى قال بعض علماء ذلك العصر : افضل الرباط اليوم رباط المسلمين او رباط العدو بدما .

(2) كشف الغمة 330أ .

بمدينة دما وقتل والي الامامة الاباضية فيها . وهنا نلاحظ سكوت المصادر الاباضية . وفي الوقت الذي اوضح فيه السالمي تفسير لسكوت الامام غسان بن عبدالله عن قتلة الصقر بن محمد بقوله :«أما أن يكون قد صح أن صقر مع الشراة بايع عليه واستوجب بذلك القتل فأسرّ إلى بعض الشراة ان يقتله ولم يتشهر هو بقتله كي لا تكون عصبية»[1] وفات السالمي ان موقفه هذا يمثل تعميقا لمفهوم العصبية القبلية . يقول العوتبي «فوجه غسان في طلبه ومن كان معهم من محاربي بني هناءة فلم يلحقوا ، ثم ان راشد بن شاذان طرح نفسه في الرستاق[2] وعلى الفحح من اليحمد ، فأخذوا له أمان من غسان ولأصحابه» .

ونلاحظ هنا ان الروابط القبلية هي التي اعفت راشد بن شاذان رغم قتله والي الامامة الاباضية في دما لاستغاثته بعشيرة الفحح وهي القبيلة التي ينتمي لها الامام الاباضي غسان بن عبدالله الفححي . في حين قتلوا الصقر بن محمد لانه كتم أمر أخيه الذي اشترك مع بني هناءة في غارتهم على مدينة دما[3] .

من هذا الاستعراض للتكتلات القبلية في هذه الحقبة من تاريخ عُمان يمكن القول إن آل الجلندي لم يعد لهم مكان الصدارة في الكيان الجديد ، كما أنهم اصبحوا مختلفي الولاء فبعضهم اعتنق الدعوة الاباضية كالجلندي بن مسعود ومنهم مواليا للسلطة العباسية كراشد بن النظر ومحمد بن زائدة الذين حكما اغلب أجزاء عُمان في الفترة الممتدة بين سنة (134هـ 177هـ/751- 793م) .

إن انقسام المجتمع القبلي العُماني ومنه آل الجلندي يعتبر أمرا طبيعيا تتعرض له عادة المجتمعات إذ ما واجهت دعوة فكرية كالدعوة الاباضية التي حمل افكارها مجموعة من الفقهاء والعلماء عرفوا «بحملة العلم» الذين كانوا ينتمون لفروع شتى من القبائل الازدية وغيرها . لهذا وقف منها آل الجلندي مواقف مختلفة ما بين معتنق لها ورافض لأفكارها . لقد أظهر الامام غسان بن عبدالله القدرة على السيطرة على عُمان من الناحية الداخلية فوطّد الأمن واشاع العدل ، وبلغت الإمامة الإباضية قمة ازدهارها وقوتها السياسية في

---

(1) العوتبي ، ورقة 170 أ .

(2) تقع مدينة الرستاق في الجبل الاخضر من الناحية المطلة على سهل الباطنة د . السعدي ، مجلة رسالة الإسلام ، العدد السابق ، ص 191 .

(3) العوتبي ، 170 أ السالمي التحفة 125/1 .

القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) مما حدا بالازكوي ان يصف هذه الفترة بقوله :«وكانت تلك الأيام صدر الدولة وقوتها وجمة العلماء» .

إمامة عبدالملك بن حميد الازدي 208هـ- 226هـ/823-840م

«هو عبدالملك بن حميد العلوي من بني علي بن سودة بن عامر ماء السماء الازدي بويع للأمامة بعد وفاة غسان بن عبدالله اليحمدي في الثاني والعشرين من شهر شوال سنة ثمان ومائتين للهجرة[1] .

لا تذكر المصادر الاباضية شيئا كثيرا عن حياته الخاصة قبل الامامة غير ان السالمي يشير إلى اشتراكه في الحركة التي ادت إلى اعلان الدولة الاباضية في عام 177هـ/793م ، وكان من شباب الدعوة الداعين لازالة حكم راشد بن النظر الجلندي . فماضيه إذن يدل على أنه من الشخصيات الاباضية التي لها سبق في الدعوة ولذلك فهي مؤهلة للأمامة وقد أمتازت فترة امامته بالاستقرار والهدوء يصفها الازكوي فيقول «فسار سيرة الحق والعدل واتبع أثر السلف الصالح فصارت عُمان يومئذ خير دار»[2] وقد استطاع توطيد الأمن الداخلي وخاصة في جنوب عُمان حيث تسكن قبائل المهرة[3] المتمردة فطاردهم حتى أذعنوا وجعلوا يطلبون مودته فأشار عليه موسى بن علي الذي كان ابرز فقهاء الاباضية المجتهدين«إن يقبل ذلك منهم ويؤمنهم ، فأمنهم»[4] . وقد اعتادت قبائل المهرة القيام بأعمال السلب في فترات مختلفة من القرن الثالث الهجري [5] وقد اصبحت مدينة صحار على الساحل العماني ملتقى للمذاهب الفكرية من قدرية ومرجئة . وكثر المستجيبون لهذه العقائد ، وقد ساعد موقع المدينة التجاري على اختلاط مختلف الاجناس البشرية ويظهر ان هذه العقائد قد وصلت إلى صحار بواسطة التجار المسلمين ولاقت رواجاً وقبولاً من قبل أهالي صحار وتوام . وقد ازعجت هذه المبادئ الوافدة العلماء العمانيين كهاشم بن غيلان الذي حرضّ عبدالملك بن حميد عليهم ودعاه إلى طردهم من عُمان[6] . وما كتبه اليه

(1) الحركة الاباضية في المشرق ، ص 239 فما بعد وقد اعتمدنا عليه نصاً .

(2) كشف الغمة ، 331ب ،السالمي التحفة 134/1 .

(3) المهرة ، من القبائل الجنوبية تقع أرضهم بين ظفار وحضرموت وكان لهم سوق في الجاهلية في منطقة الشحر المنسوبة اليهم أي شحر مهرة .

(4) السالمي ، التحفة 135/1 نقلا عن ابي المؤثر .

(5) ابو المؤثر ، الاحداث والصفات ، ورقة 20 .

(6) السالمي التحفة 138/1 .

«وانه بلغنا ان قوما من القدرية ، والمرجئة بصحار قد اظهروا دينهم ، ودعوا الناس إليه وقد كثر المستجيبون لهم ، ثم قد صاروا بتوام وغيرها من عُمان ، وقد يحق عليك ان تنكر ذلك عليهم ، فإنا نخاف ان يعلو امرهم في سلطان المسلمين ، فأمر يزيد أو أكتب اليه ان لا يترك أهل البدع على اظهار دعوتهم» .

«ولا تشير المصادر إلى حدوث صدام بين الخلافة العباسية والإمامة والإباضية بعمان مما اتاح لعمان ان توطد استقلالها على الرغم من ضعف الامام عبدالملك بن حميد في آخر سنين حكمه[1] الا أن الاوضاع الداخلية كانت مستقرة لتوفر مجموعة من القادة الكفؤين في دفة الحكم ، وكان أبرز هؤلاء القادة شيخ العلماء موسى بن علي الذي قام بادارة الدولة الاباضية في سنوات عجز عبدالملك بن حميد نتيجة الشيخوخة التي اثقلت فيه السمع والبصر[2] ولهذا السبب رأى بعضهم عزله عن الامامة غير ان موسى بن علي رفض عزله عن الامامة فبقي فيها حتى وفاته[3] سنة 226هـ ، وبهذا كانت ولايته ثمانية عشر عاما وسبعة اشهر[4] نعمت فيها عُمان بالهدوء والاستقرار» .

إمامة المهنا بن جيفر اليحمدي 226هـ -237هـ 840-851م

«ولي المهنا بن جيفر الفححي اليحمدي الامامة يوم الجمعة في شهر رجب سنة 226 للهجرة بايعة للإمامة موسى بن علي الأزكوي شيخ علماء الاباضية[5] واتفقت كلمة الاباضية بلا خلاف على إمامته ، مما يدل على انه كان يتمتع بتأييد قوي من قبل علماء الاباضية[6] وتعتبر امامته امتداداً لفترة الاستقرار النسبي والقوة بل ان عصره امتاز بحكومة مركزية قوية . ويعود الفضل في ذلك لقوة شخصيته فقد «كان له ضبط وحزم وكان لا يتكلم احد في مجلسه ولا يعين خصماً على خصمه ، ولا يقوّم أحداً من اعوانه ما دام

(1) البسيوي ، الحجة من أبطل السؤال ، ورقة 14 كشف الغمة ، 331ب ، السالمي ، التحفة 134/1 .
(2) البسيوي ، المصدر السابق ورقة 14 ، السالمي ، التحفة 134/1 .
(3) كشف الغمة ، 331 ، ب ، السالمي التحفة 134/1 .
(4) مصباح الظلام ، 26أ .
(5) الحركة الاباضية في المشرق 247-253 وقد اعتمدنا عليه نصاً .
(6) ابو المؤثر ، الأحداث والصفات ، ورقة 11 .

قاعدا حتى ينهض ولا يدخل العسكر احد من أهل النفقة الا بالسلاح»[1] وبهذه السيرة اكتسب احترام مواطنيه وغرس الهيبة في نفوسهم له . وكان مدركاً لطبيعة مواطنيه وحبهم لتغير وجوه الحكام فعندما كبر في عمره اقترح جماعة من الاباضية على موسى بن علي عزله وكلفوا بذلك موسى بن علي ليعرض الأمر على المهنا بن جيفر «فلما دخل عليه جعل يسأله وينظر حاله فعرف الامام معناه فقال يا أبا علي جئت إليّ والله لئن اطعت أهل عُمان على مايريدون لا اقام معهم امام سنة واحدة» وتظهر صلابته وشدته في رده لموسى بن علي شيخ الاباضية ومرجع الفتيا انذاك قائلا له :«ارجع إلى موضعك فما أذنت لك في الوصول ولا أستأذنتي ولا تقم بعد هذا القول»[2] وبهذا قطع دابر الانشقاق الذي يحدث عادة في حالة كبر الامام واستمر في الامامة دون ان يصغي لمعارضيه كما كان شديد العقوبة لأولئك الذي يخشى على الدولة خطرهم فملأ بهم السجون ولم يسمح للوجوه القبلية ان تتشفع لهم عنده ، وقد ازعجت هذه الشدة والصرامة بعض العلماء الاباضية كمحمد بن محبوب وبشير بن المنذر غير أنهما لم يصرحا برفضهما حكمه تجنبا لحدوث انشقاق بين الاباضية[3] .

ومن مظاهر قوة الدولة الاباضية في هذه الفترة كفاءة الاسطول البحري الذي بلغت عدد مراكبه ثلاثمائة مركب مهيأة للحرب فضلا عن بقية المراكب الاخرى .

أما القوة البرية فقد كانت «عساكر بنزوى عشرة الاف مقاتل ، وهؤلاء بنزوى خاصة»[4] ويتبن لنا عظم هذه القوة إذا اضفنا اليها بقية العساكر في الولايات الاخرى كصحار وتوام وجلفار وجعلان ودبا وبقية الولايات العمانية كما تكاثر الرعايا في كل الولايات العمانية نتيجة للاستقرار الداخلي وازدهار التجارة والزراعة على حدٍ سواء . ويشير السالمي إلى ازدياد سكان سعال احدى أحياء نزوى فقدرها بأربعة عشر الف نسَمة[5] .

---

(1) مصباح الظلام ، 26ب ، كشف الغمة 331ب ، نقل النص بتصرف ومصطلح العسكر في النص اعلاه يظهر المراد منه معسكر الجنود الذين تدفع لهم الرواتب كما يبدو وكثيرا ما يتردد اسم العسكر في الاحداث التي دارت في مدينة نزوى مما يدل على انه بمثابة الثكنات العسكرية التي يتجمع فيها الجنود انظر أبو المؤثر ، ورقة 8 مصباح الظلام28 أ .

(2) السالمي التحفة 151/1 .

(3) المصدر السابق1/ 158 , 159 .

(4) السالمي ، التحفة ، 150/1 .

(5) المصدر السابق ، 151/1 .

«أن قبائل مهرة كانت قد أذعنت في فترة امامة عبدالملك بن حميد (207هـ226 هـ) وكان من عادة القبائل البدوية الشديدة التمرد الخروج على سلطة الاباضية ولذلك رفضت هذه المرة أن تدفع فريضة الصدقة المأخوذة على الجمال ولذا سمى المأمور بها بالمصدق وكانت هذه الفريضة سنوية تؤخذ كل عام من هذه القبائل[1] فعندما دخل عبدالله بن سليمان إلى أرض مهرة «وصل إلى رجل مهري يقال له وسيم بن جعفر قد وجبت عليه فريضتان فأمتنع ان يعطي إلا فريضة واحدة»[2] . وقال المهري للمصدق مهددا «إن شئت أن تأخذ فريضة واحدة ، وإلا فانظر إلى قبور اصحابكم»[3] . أشار إلى من قتله المهريون من الاباضية سابقا فلما استيقن المهنا بن جيفر من تمرده كتب إلى ولاة أدم وأسنى وجعلان يطلب منهم انه من ظفر منهم بوسيم بن جعفر فليستوثق من تمرده ويخبر الامام بذلك»[4] . «فكتب اليه والي أدم أنه قد حصل وقد أستوثقت ويعلمني بذلك»[5] فارسل إليه المهنا بن يحيى اليحمدي المعروف بأبي المقارش مع جماعة من الخيالة ومجموعة من الكتايب حتى لقته كتيبة بمحلته» فأتوا به أسيراً إلى نزوى فحبس فيها لمدة سنة كاملة «لا يقدر أحد أن يذكره فيه ولا يسأل في أمره» مما يدل على هيمنة المهنا وسطوته في الحكم ولا شك إن مثل هذا الامام يناسب حكمه هذه القبائل التي يصعب السيطرة عليها الا بالشدة والا لعاثت في الارض فساداً .

وقد أطلق سراح وسيم بن جعفر المهري بعد استغاثته لدى وجوه اليحمد للتوسط لدى المهنا بن جيفر وقد اجاب وساطتهم بعد ان عرض عليهم شروطا ثلاثة تنم عن سيطرته وقدرته على اخضاع القبائل وهذه الشروط هي : أما أن تأذن مهرة بالحرب وأما أن يرتحلوا من عُمان وأما أن يحضروا الماشية كل عام إلى عسكر نزوى وقد أجابوا على الشرط الثالث وأخذوا يحضرون إبلهم كل عام لنزوى .

ومن جهة أخرى شهدت عُمان آخر حركات آل الجلندي ضد الإمامة الاباضية وكان قائدهم هذه المرة المغيرة بن روشن الجلنداني ومن معه من بني الجلندي واستطاعوا السيطرة

---

(1) مصباح الظلام ، 27أ .

(2) كشف الغمة 331 ب ، 332أ .

(3) مصباح الظلام27 أ ، كشف الغمة 332 أ ، السالمي152/1 ، انظر الحركة الإباضية في المشرق ، ص252 .

(4) مصباح الظلام ، 27أ . كشف الغمة 332أ .

(5) كشف الغمة 332 أ ، السالمي ، التحفة153/1 .

على توام فأرسل المهنا بن جيفر اليهم والي صحار ومعه 12 الفا من ضمنهم عناصر هندية فقضوا على آخر حركات آل الجلندي ضد الاباضية . وقد توفي الامام المهنا سنة 237 هـ ، ويعتبر عهده من أزهى عهود الامامة في عُمان»[1] .

استمرار التطور السياسي للامامة الاباضية الثانية في عُمان:

لم يتعد نفوذ الوالي العباسي الساحل ومدنه الرئيسية أما الداخل والجبل فكانت قبائله تتمتع بالسيادة التامة . بل ان الاباضية استطاعوا ان يعلنوا إمامتهم منذ حوالي سنة132هـ ، متحدين العباسيين ومنتهزين فرصة الاضطرابات في العراق وبلاد الشام .

وقد ظلت السلطة العباسية اسمية على عُمان ولم يكن للعباسيين هدف الا تأمين طرق الملاحة البحرية عبر الخليج ولذلك كان همهم السيطرة على السواحل فقط دون الداخل . وقد ادرك البويهيون الذين تسلطوا على مقدرات العراق السياسية سنة 334 هـ ، اهمية اقليم عُمان الاستراتيجية بالنسبة لامن الخليج من جهة ولتأمين انسياب السلع التجارية من جهة اخرى تلك السلع التي كانت تدر ارباحا كبيرة من الضرائب والمكوس المفروضة عليها .

وحين استولى معز الدولة البويهي على بغداد والبصرة والاحواز ، كان لابد ان يشعر عُمان بقوة النفوذ البويهي . إلا أن امير عُمان يوسف بن وجيه اتفق مع قرامطة البحرين وتصدى له . ولكن نتيجة المعركة كانت انتصار البويهيين بسبب خذلان القرامطة ليوسف بن وجيه . وفي سنة 355هـ/ سنة966م ، استطاع البويهيون السيطرة على سواحل عُمان ، واستمر نفوذهم حتى سنة 363هـ/ سنة973م ، حيث قتل الوالي المرتبط بالبويهين وعادت عُمان سيرتها السابقة[2] .

ولكن عضد الدولة البويهي لم يهمل عُمان طويلا فقد كان يدرك اهميتها لأمن الخليج وتجارته فاتبع سياسة جديدة لا تتورع من التعاون حتى مع القرامطة والعمل على عدم اثارتهم بل التفاهم معهم على اقتسام ارباح التجارة الخليجية . كما منح بعض القرامطة اقطاعات في سواد العراق[3]!! وبقى النفوذ البويهي كغيره بين مد وجزر ولم يشمل في احسن حالاته غير سواحل عُمان بينما بقي نفوذ الاباضية مستمرا في داخل عمُان .

---

(1) الحركة الاباضية في المشرق ، ص253 حيث اعتمدنا عليه نصاً .

(2) ابن الاثير ، الكامل ، ج8 ، ص 298 ,299 ,272 .

(3) شعبان ، التاريخ الإسلامي (بالانجليزية) ج2 ص153 , 166-167 .

امامة الصلت بن مالك 237-273هـ/ 851-885م[1]

«اجتمع كبار علماء الاباضية وكان رئيسهم في العلم وإمامهم في الدين محمد بن محبوب[2] فبايعوا الصلت بن مالك بالامامة في السادس عشر من ربيع الثاني سنة 237هـ[3] وهو التاريخ الذي مات فيه الامام المهنا بن جيفر إذ ان العادة التي جرت عليها الاباضية تقضي بمبايعة امام جديد في ذات اليوم الذي يتوفى فيه الامام السابق لكي لا تبقى الأمة بدون امام يقودها ولتجنب الفرقة التي يحدثها تأجيل الانتخاب والبيعة لامام جديد . ويذكر ابو المؤثر الذي شهد بيعة الصلت ان العلماء بايعوا الصلت للامامة «كان المشهور فيهم يومئذ محمد بن علي القاضي وسليمان بن الحكم والوضاح بن عقبة ومحمد بن محبوب وزياد بن الوضاح»[4] كما حضر البيعة مجموعة اخرى من العلماء ووجهاء القوم : «الا ان محمد بن علي وبشير بن المنذر ومحمد بن محبوب والمعلا بن منير وعبيدالله بن الحكم كانوا هم المقدمين في البيعة للصلت بن مالك» [5] . وشهدت عُمان في صدر امامته استقرارا سياسيا فلم يعد لقوى المعارضة دور يذكر .

ولعل من ابرز الأحداث الداخلية في هذ الحقبة تعرض مناطق واسعة للخراب بسبب السيول سنة 251هـ . واصبحت المدن العامرة اثرا بعد عين . ويصف السالمي السيول نقلا عن بعض المصادر المتقدمة بقوله :«فقلعت السيول المنازل والاموال وغرقت النساء والرجال فغرق الرجال وعياله ، وتخرب منزله وماله . . . وحملت البحور ابدانهم وقلعت الاشجار ، فاصبح السالم الموسر منهم فقيرا يطلب الاكل والشيء اليسير»[6] .

---

(1) فيما يتعلق بالتطور السياسي للامامة الاباضية الثانية اعتمدنا على الحركة الاباضية في المشرق ، ص355 ، فما بعد حيث اخذنا منه نصا .

(2) كشف الغمة 333 أ ، ومحمد بن محبوب ، من مشاهير العلماء لدى الاباضية في القرن الثالث الهجري ، كان جده الرحيل بن هبيرة من الدعاة البارزين في مرحلة الكتمان في البصرة وهو الذي نفاه الحجاج مع جابر بن زيد إلى عُمان ، الدرجيني طبقات الاباضية ، ورقة 119 أ ويذكر الرقيشي ان محمد بن محبوب نسبه إلى قريش مصباح الظلام ، 28آ .

(3) كشف الغمة 333 أ ، السالمي ، التحفة ، 162/1 .

(4) ابو المؤثر ، الاحداث والصفات ، ورقة 20 .

(5) ابو المؤثر ، الاحداث والصفات ، ورقة 20 ، السالمي ، التحفة 162/1 .

(6) السالمي ، التحفة 164/1 .

وقد شملت هذه السيول بدمارها عُمان وتركزت بصورة خاصة في منطقة الباطنة[1] وسمائل وبدبد وقيقا ودما وصحار . مما ادى إلى تلف الأراضي الزراعية في هذه المناطق واختفاء المعالم التي كانت تفصل بين الأراضي المزروعة وقد تصالح أهلها فيما بينهم في تعيين أراضيهم بعد انقطاع السيول باستثناء منطقة بدبد التي اصبحت بحكم المال المجهول فألحقت ببيت مال المسلمين لهلاك أهلها مما يدل على ان هذه المنطقة كانت أكثر المناطق العمانية تضرراً بهذه السيول[2] .

إن هذه المناطق كانت تعد أغنى مناطق عُمان من الناحية التجارية والزراعية ، وخاصة مدينة صحار التي كانت سوق عُمان التجاري[3] .

اما ابرز الأحداث الخارجية فهو فتح جزيرة سقطري التي تقع في بحر العرب بين بلاد الزنج وعُمان وقد جهز الصلت بن مالك اسطولا بلغ تعداد مراكبه مائة مركب اعطى قيادته لمحمد بن عشيرة وسعيد بن شملال وقد استطاع الاسطول العماني من فتح الجزيرة وطرد الاحباش عنها .

وقد كتب الامام الصلت بن مالك عهد يوصي به الغزاة الذين وجههم إلى جزيرة سقطرى يتضمن تعاليم سامية في آداب الحرب تعكس التزام الأئمة الاباضية بنصوص الشريعة الإسلامية وخاصة فيما يتعلق بمعاملة أسرى المسيحيين من نساء ورجال»[4]

---

(1) الباطنة :«وهي سهولة واسعة خصبة يتراوح عرضها من 20-40 ميلا تنمو فيها اشجار النخيل والفاكهة ، والدباغ ، جزيرة العرب 112/2 ، وتمتد من مدنية مسقط الساحلية حتى مدينة خصب عند رأس الشيخ مسعود المواجه لمضيق هرمز إلى الشمال ، وتشرف على خليج عُمان ومن مدنها المشهورة السيب» السعدي ، مجلة رسالة الإسلام ، العدد التاسع والعاشر ، بغداد1390 ، ص 195 .

(2) السالمي ، التحفة 164/2-165 .

(3) البكري ، المسالك والممالك ، 215ب .

(4) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، القاهرة 1952 ، ص 52 .

الحرب الأهلية وتدهور الإمامة الإباضية[1]

«أولت المصادر الاباضية اهتماما ملحوظا حول مسألة عزل الصلت بن مالك عن الامامة وتكمن اهمية ذلك[2] لانها كانت قطب الرحى الذي دارت حوله الفتن والانشقاقات وبالتالي الحرب الأهلية بعمان التي ادت إلى زوال الامامة الاباضية سنة280هـ/893م[3] .

وأهم النتائج التي ترتب على هذا الحادث فقد وقف العلماء المعاصرون للحدث ومن بعدهم مواقف مختلفة ما بين مؤيد ومعارض واختلفت التفاسير والحجج بين الطرفين . فان الاختلافات النظرية بين فقهاء الاباضية ترتب عليها انقسام القوى السياسية في الداخل ، فقد قام موسى بن موسى بن ابي جابر الازكوي[4] ومؤيدوه بالمطالبة بعزل الصلت بن مالك عن الامامة وحجتهم في ذلك ان الصلت قد بلغ من العمر مرحلة كبيرة لا يستطيع فيها القيام بادارة الامامة[5] .

أما وجهة نظر الامامة فقد وردت في كتاب ارسله الصلت بن مالك إلى احد اتباعه يبين له كيف عزل عن الامامة يلقى فيه باللائمة على الشباب الاباضي الذي خرج عليه ويعزى هذا الخروج إلى انقراض الجيل الأول من أهل الدعوة ، ومما كتب اليه قوله :«واعلم يا اخي ان هذه الدولة قد كان لها رجال لهم حلوم راجحة عالمة ، وقلوب سليمة ، كانوا على أمر واحد يطأ الاخر اثر الأول . . . فلم يزالوا على ذلك حتى مضوا فانقرضوا رحمة الله عليهم . . . ثم خلفنا نحن وانتم من بعدهم . . . فقمت بهذا الأمر ما شاء الله . . . إلى ان ذهب أهل الفضل وأهل العدل ونشأ اليوم شباب وناس ظهرت رغبتهم في الدنيا وطلبوا الرياسة فيها»[6] . ومن هذا الاستعراض الموجز لوجهات النظر المختلفة تظهر حقيقة مهمة وهي تصدع قيادة الدعوة الاباضية وقلة كفاءتهم وبروز الاطماع الشخصية لدى الدعاة مما

---

(1) راجع الحركة الاباضية في المشرق ، ص 265 ، حيث اعتمدنا عليه نصا .

(2) المرجع السابق ، 266 فما بعد . لهذا السبب ألف ابو المؤثر الصلت بن خميس كتابه الموسوم الاحداث وكان معاصراً لهذه الاحداث وهنا تكمن أهمية الاعتماد عليه في بحث هذه المسألة ، وألف بعده ابو الحسن البسيوي كتابا للرد على خصوم الصلت بن مالك الموسوم (الحجة على من أبطل السؤال في الحدث الواقع بعُمان) .

(3) المسعودي ، مروج الذهب156/4 .

(4) البسيوي ، الحجة على من أبطل السؤال ، ورقة 11 .

(5) ابو المؤثر ، الاحداث والصفات ورقة 2 .

(6) السالمي ، التحفة 205-204/1 .

ادى إلى تمزق الوحدة الداخلية لعمان . فالسبب اذن اعم واشمل من الاسباب الشخصية التي ادت إلى عزل الصلت بن مالك عن الامامة كالقول بضعفه[1] وان كان الضعف هو السبب المباشر الذي استغله المناوئون للاطاحة به . يقول السالمي :«وضعف عن ادارة الامامة فمن باب الحرص والحفاظ على الدولة الاباضية طلبوا إلى الصلت اعتزال الامامة الاباضية[2] .

ويتضح من نصوص اخرى[3] ان موسى بن موسى كانت اليه مسؤولية الأمور الدينية ، ومثل هذه الشخصية بما لها من تأثير روحي ومركز قيادي في سياسة الدعوة ، فقد قام بدور مميز في احداث هذه الفترة وكان اليه امر عزل الصلت بن مالك فمن فرق القريبة من مدينة نزوى مقر الامامة الاباضية ارسل موسى بن موسى إلى الصلت بن مالك يدعوه لاعتزال الامامة فنظر في طلبهم أياماً فبقوا ينتظرون رايه «ثم عزم على الاعتزال»[4] .

«ويعزو بعض مؤرخي هذه الحقبة التدهور الذي بدأ يهدد الأمامة إلى تغيرات جديدة تمس الجانب الفكري لدى الجماعة الاباضية وخاصة قادتها الجدد ويتلخص هذا التفسير بالتأكيد على ان الجيل المؤسس اكثر خلاصا وعلما ولا يبتغي من وراء أعماله مصالح شخصية اما الاجيال التي تعقبه فهي تتدرج في اخلاصها وعلمها حتى يصل الامر إلى جيل جديدلا يستطيع المحافظة على تراث السلف فينهار الكيان السياسي للجماعة وهذا ما حدث لجيل موسى بن موسى بن علي ونرى هذه النظرة واضحة في تحليل ابي المؤثر الذي عاصرهذه الأحداث بقوله :«ولكن القدوة بأهل العلم بكتاب الله وسنة نبية ﷺ واثار السلف من اولي الامر الذين جعلهم الله للناس أئمة يفرقون بين الحق والبطل . . . يمضي على ذلك اولهم و يقفوهم على أثارهم أخرهم . . . حجتهم واضحة ودعوتهم شارحة فكلما مضى منهم قرن خلفهم من بعدهم من هو دونهم بالفقه والعلم الا ان الديانة واحدة . . . على ذلك تبايعوا وتشايعوا وتواصلوا إلى ان انتهى الأمر إلى قرن من أهل عُمان فيهم بقية من أهل العلم[5] ويظهر هذا التفسير اكثر وضوحا في تحليلات ابي قحطان خالد بن

---

(1) كشف الغمة ، 333 أ .

(2) السالمي ، التحفة 197/1-198 .

(3) مصباح الظلام ، 28 أ .

(4)السالمي ، التحفة 198/1 ، انظر الحركة الإباضية في المشرق ، 266 فما بعد .

(5) ابو المؤثر ، الاحداث والصفات ورقة 2 .

قحطان[1] التي تمثل وجهة الجماعة الموالية للصلت بن مالك فوصف الجيل الجديد بقوله :«نشأ في الدولة شباب وناس يخشعون من غير ورع ، يظهرون حب الدين ويبطنون حب الدنيا ويأكلون الدنيا بالدين ، فلما طال عمر الصلت بن مالك عليهم ملوه لما كبر وضعف[2] . ثم قال :«فلما ذهب اعلام المسلمين وفقهاؤهم وأهل الورع ومن يطلب الاخرة وبلغ الكتاب اجله ، واراد الله ان يختبر أهل عُمان كما اختبر من قبلهم . . . فلما اختبرهم قل بصرهم وزالت عقولهم ، وجاروا عن الحق ، وخالفوا سيرة المسلمين الا قليلا انقذهم الله»[3] .

وإن ابرز هؤلاء هو موسى بن موسى الذي كانت له اليد الطولى في احداث عُمان في هذه الفترة مستغلاً مركزه الديني لدى عامة الاباضية[4] ويجب ان نؤكد على حقيقة مهمة عند تفسيرنا لأحداث هذه الفترة وهي وجود عنصران يتداخلان في رسم السياسة الداخلية للامامة .

الأول : شخصية الامام الاباضي ومدى اخلاصه وكفاءته الادارية ومعالجته لمجتمع معقد التركيب من الناحية القبلية كالمجتمع العماني .

الثاني : هو شخصية المرجع الديني ودوره في اضفاء طابع الوحدة والتماسك لدى الجماعة الاباضية ان لهذين العنصرين معاً بإمكانهما تحديد السياسة العمانية فكلما قويت شخصية الامام تضاءل دور المرجع الديني كما رايناه في حياة الأئمة الذين سبقوا الصلت بن مالك ، ويبرز دور المرجع أو أئمة الدين في الفترات التي يتدهور فيها مركز الامام فيلجأ الناس إلى أئمة الدين لبحث المشاكل المصيرية كمشكلة الامامة على سبيل المثال[5] . ويتوقف نجاح المرجع الديني في حل هذه المشاكل إلى خصائص معينة كقوة الشخصية ونكران الذات والخلاص للدعوة وبعد

---

(1) ابو قحطان خالد بن قحطان ، «ذكره البسيوي الذي عاش في سنة 450هـ ، وعده من علماء القرن الثالث والرابع الهجريين» الحجة على من أبطل السؤال في الحدث الواقع بعمان ، ورقة 20 ، كما اطلع الأزكوي على مؤلفه المسمى بالسيرة المنسوبة إليه ونقل عنه بعض معلوماته وخاصة ما يتعلق بإمامة الصلت ، كشف الغمة ورقة 333 أ .

(2) السالمي ، التحفة 202/1 ، نقلا عن سيرة الشيخ ابي قحطان خالد بن قحطان .

(3) المصدر السابق 203/1 .

(4) ابو المؤثر ، الاحداث والصفات ، ورقة 7 ,8 .

(5) البسيوي ، الحجة على من أبطل السؤال ، ورقة 17 .

النظر للمواقف التي يتخذها وما يترتب عليها من نتائج ، وهنا يمكن المقارنة بين شخصية موسى بن أبي جابر الازكوي ومهارته السياسية[1] وبين شخصية موسى بن موسى القلقة التي ادت إلى نتائج وخيمة . منها اشعال اوار الحرب الأهلية وما ترتب عليها من نتائج سلبية ، ويظهر دوره واضحا في عزل الصلت بن مالك بصورة ادت إلى انقسام الدعوة ورجالها وقد عبأ اذهان الناس بخطبه التي كان يلقيها في يوم الجمعة فتخاذل الناس عن الصلت الذي اضطر إلى ترك بيت الامامة فبايع موسى بن موسى لراشد بن النظر وكان ذلك يوم الخميس من شهر ذي الحجة سنة 273 هـ ، بعد ان دامت امامة الصلت35عاماً[2] .

ومهما يكن القول في إمامة الصلت بن مالك فالخروج عليها من وجهة نظر البعض ولم يكن وفقا لتعاليم المذهب الاباضي في الامامة وهنا كان محور الخلاف بين الاطراف المتنازعة من رجال الدعوة وعلمائهم[3] . ولم يفكروا برأب الصدع مما اتاح المجال للقوى القبلية ان تظهر على المسرح السياسي بتشجيع من رجال الدعوة أنفسهم فبدأ منعطف خطير تمثل بالفوضى والفتن بين القبائل العمانية» .

إمامة راشد بن النظر اليحمدي 274/886م 277هـ/890م

«عقد موسى بن موسى الإمامة لراشد بن النظر يوم الخميس في السابع والعشرين من شهر ذي الحجة سنة 274هـ/886م[4] . وكان راشد دون شك في الفئة التي اعانت موسى بن موسى في مساعية لعزل الصلت ولذلك وقع اختيار موسى عليه لتولي الامامة . وقد تمت بيعته في منطقة (فرق) الواقعة جنوب مدينة نزوى مقر الامامة الاباضية[5] . وفيما عدا موسى بن موسى المرجع الديني فقد ساعد راشد بن النظر في الوصول إلى السلطة عدداً من الشخصيات القوية مثل فهم بن وارث بن سعيد[6] .

(1) الحركة الاباضية في المشرق ، ص 271 حيث اعتمدنا عليه نصا .

(2) كشف الغمة ، 333 أ ، 333ب .

(3) أبو المؤثر ، الاحداث والصفات ، ورقة 6, 9 .

(4) كشف الغمة ، 333 أ . ذكر السالمي ان بيعته كانت سنة 272هـ/ 886م التحفة216/1 .

(5) الاحداث والصفات ، ورقة 8 ، مصباح الظلام ، 28 . كشف الغمة 333أ التحفة216/1 .

(6) فهم بن وارث اليحمدي الكلبي ، ومن رؤساء اليحمد بعُمان ثار بعد ذلك على راشد بن النظر وأسر في واقعة الروضة وسجن في مدينة نزوى لأكثر من سنة واطلق سراحه بناء على مشورة موسى بن موسى . العوتبي ، أنساب العرب ، ورقة 162ب ، 163أ .

لم تظهر تغيرات جديدة على المستوى الاداري فبقي الولاة السابقون في عهد امامه الصلت دون ان يغير النظام الجديد احدا منهم . على ان بعض الشخصيات المتعاونة مع الثوار كالحسن بن سعيد والي الرستاق الذي كان حلقة الوصل بين الثوار وبين الصلت بن مالك قد كوفئ بتعيينه واليا على منطقة جلفار[1] . ذات الموقع البحري المهم تجاريا وعسكريا . كما عين احد قواد الصلت المسمى الحواري بن بركة مسؤولا عن الماشية لتمرده على اوامر الصلت بن مالك .

اما على الصعيد الداخلي فيبدو ان قبائل مهرة المتمردة في جنوب عُمان[2] بدأت تعكر صفو الامن مستغلة اضطراب حبل الامن في عُمان الوسطى وقد وصف ابو المؤثر هذه الظروف فقال :«وقد تكون الأحداث من قبل مهرة في طرف عُمان ، فربما يضربون الرجل ويسرقون للناس بعض الابل ، واخذ راشد منهم رجلا على ذلك ، ولا بعث اليهم سرية وانما كان باسه وشدته على الرستاق وما حولها»[3] .

وفي هذا العهد ازداد الصراع بين القبائل العمانية[4] تحت ستار عقائدي متهمة بعضها البعض الاخر بالانحراف عن مبادئ الامامة الاباضية . فجرت وقائع حربية مشهورة تركت اثارها السلبية على الدعوة الاباضية بعمان لعل من أهمها :

معركة الروضة 277هـ/ سنة 890م[5]

«كان من أهم الاسباب التي ادت إلى واقعة الروضة ان قوى المعارضة لامامة راشد بن النظر لا زالت متمسكة بامامة الصلت بن مالك الذي لا يزال حيا عند قوع هذه الحرب[6] وكان شاذان بن الصلت بن مالك ابن الامام المعزول قد كاتبه جماعة من كلب اليحمد «يسألونه الخروج على راشد»[7] فاجتمع بهم شاذان بن الصلت «فلما بلغ راشد اجتماعهم

(1) الاحداث والصفات ، ورقة 7 ، التحفة 211/1 .

(2) مصباح الظلام 26 ب ، 27أ ، تقع بلاد مهرة إلى المشرق من حضرموت حتى ظفار الدباغ ، جزيرة العرب ، 79/2 .

(3) السالمي ، التحفة 219/1 .

(4) العوتبي ، 162 ، ب ، كشف الغمة ، 333ب .

(5) انظر الحركة الاباضية في المشرق 277-284 وقد اعتمدنا على ما اورده نصا .

(6) ابو المؤثر ، الاحداث والصفات ، ورقة 20 ، السالمي التحفة ، 221/1 .

(7) السالمي 221/1 .

بعث من قبله قواد» على رأسهم عبيدالله بن سعيد فظفر بهم في «موضع يقال له الطباقة من اسفل وادي عمق»[1] الا ان شاذان استطاع الهرب وكان مصير اصحابه القتل ، واما من بقي حيا من جند شاذان فقد أخذ أسيراً وأودع سجن نزوى[2] لقد حفزت هذه المضايقات رؤساء بعض القبائل كما تخلى الفهم بن وارث عن تأييده لراشد بن النظر وانحاز إلى الحزب المعارض لراشد بن النظر . وفي منطقة الرستاق عقد اجتماع ضم وجوه قبيلة كلب اليحمد الازدية كالفهم بن وارث الكلبي «ومصعب وابو خالد ابنا سليمان الكلبيان ، وخالد بن سعوة الخروصي ، وسليمان بن اليمان وشاذان بن الصلت ومحمد بن مرجعة وغيرهم من وجوه اليحمد»[3] وقرروا ان يستعينوا بقبائل العتيك الازدية في حربهم لراشد بن النظر «وكاتبوا مسلما وأحمد بن عيسى بن سليمة العوتبيين وسالوهما ان يبايعا لهما في الباطنة من العتيك من بني عمران» فقام أحمد وعيسى بمراسلة اولاد مالك بن فهم فكاتبوا «نصر بن المنهال العتكي الهجاري من ولد عمران»[4] وكان رئيسا لقبيلة العتيك في منطقة الباطنة فاستجاب لدعوتهم «وبايعهما على نصرة شاذان بن الصلت ومن معه من اليحمد»[5] كما لبى دعوتهم «سليمان بن عبدالملك بن بلال السليمي ، فبايع من الباطنة من قومه من سليمة وفراهيد وغيرهم من سائر ولد مالك بن فهم» وبهذا يعتبر هذا التحالف بين قبائل اليحمد والعتيك وبني مالك ابن فهم (سليمة وفراهيد) أول تحالف قبلي يظهر في عُمان في الدولة الاباضية بحجة الدفاع عن الامامة ، وقد اصبح هذا التحالف اساسا لتحالف القبائل اليمانية بعُمان ، ومما يلفت النظر ان أئمة الدعوة الاباضية لم يعد لهم دور بارز في قيادة الناس كما كانوا يفعلون وانتقل الثقل السياسي إلى رؤساء القبائل المختلفة»[6] .

«وبعد الاستعدادات التي اتخذها سليمان بن عبدالملك ونصر بن المنهال التحقوا بقواتهما بشاذان بن الصلت والفهم بن الوارث ووجوه اليحمد ، والرستاق ، فاكدوا البيعة

---

(1) ابو المؤثر ، الاحداث والصفات ، ورقة 21 .

(2)العوتبي ، الانساب ، 162 ، ب ، السالمي ، التحفة231/1 .

(3)المصدر نفسه .

(4) العوتبي ، 162ب .

(5) الحركة الاباضية في المشرق ، ص 279 فما بعد فقد ا عتمدنا على ما اورده نصا .

(6) العقود الفضية في اصول الاباضية ، 255 اي نسبة هذه القوى إل المناطق التي انطلقت منها وان صح التعبير فهي حرب بين الساحل والداخل .

لهم»[1] وخرجت جميع هذه القوات طالبة مدينة نزوى مقر الامامة لخلع راشد بن النظر ، وبهذا انقسمت قوى الصراع ، إلى النزوانية والرستاقية ، وهو تعبير صحيح إلى حد ما ، ذلك لان الشقاق الذي قسم أهل عمان إلى يمانية ومضريه لم يتبلور بصورة واضحة الا في امامة عزان بن تميم الخروصي[2] .

كانت الاخبار قد وصلت إلى راشد بن النظر فيما يتعلق بتوجه المتحالفة التي قادها شاذان بن الصلت بن مالك إلى مدينة نزوى ، فجهز لذلك الجيوش واعطى قيادتها لعبدالله بن سعيد الفحجي الذي يسميه ابو المؤثر برأس الفتنة والخطيئة[3] .

والحواري بن عبدالله الحداني والحواري بن محمد فالتقى الفريقان بمنطقة تسمى الروضة الواقعة إلى الغرب من تنوف بين نزوى والجبل الأخضر ، ومعنى ذلك ان قوات شاذان بن الصلت عبرت الجبل الاخضر إلى الجهة الغربية منه حيث يذكر العوتبي انهم «اخذوا طريق الجبل يريدون عزل راشد بن النظر»[4] . والتقى الفريقان مساء إذ استطاعت قوات راشد بن النظر التي كانت متأهبة لقتال الفهم بن وارث وحلفائه من إحكام الحصار عليهم ، وقد وصف ابو المؤثر هذا الحصار فقال : ودار اصحاب راشد بفهم واصحابه شرقا وغربا واعلا واسفل»[5] وجرت بينهم مناوشات ثم تحاجزوا حتى الصباح واراد غيلان بن عمر احد قواد السرايا التابعة لوالي صحار ان يكون وسيطا بين الفهم بن وارث وحلفه وبين قواد راشد بن النظر ، الا ان الحرب نشبت بعيدا عن موقع المفاوضات فسرت على جميع الجهات ، واستطاع انصار راشد من انزال هزيمة منكرة بانصار شاذان بن الصلت والفهم بن وارث[6] . ويشير العوتبي واصفا نتائج هذه المعركة بقوله :«فاما اليحمد فانهم كانوا عارفين بالموضع فتعلقوا برؤوس الجبال»[7] . لإن هذه المنطقة كانت موطنا لسكناهم فاستطاعوا الهروب بيسر لمعرفتهم بشعاب الجبال وطرقها «اما العتيك وبنو مالك بن فهم فصبروا في المعركة حتى

---

(1) ابو المؤثر ، الاحداث والصفات ، 22 نسبة إلي الفحح وهي قبيلة معروفة بعمان انظر تحفة الاعيان /232 2 العوتبي 162 ب .

(2) انظر العوتبي 162 ب ، وتنوف اليوم من مدن عُمان الوسطى تقع على بعد مسافة قصيرة إلى الشمال من نزوى ، الدباغ ، جزيرة العرب 126/2 السعدي ، رسالة الإسلام العدد 7 ,8 ، بغداد 1970 ، ص 194 .

(3) ابو المؤثر ، الاحداث والصفات ، ورقة 22 ، السالمي التحفة232/1 .

(4) المصدر السابق ، العوتبي 163 أ .

(5) العوتبي ، 163 أ ، انظر الحركة الإباضية في المشرق ، 280 .

(6) كان اغلب الأئمة من وادي بني خروص حيث تسكن قبائل اليحمد في هذا الوادي والمناطق المجاورة بنزوى ولذلك دخل كبير في انتخابهم للامامة .

(7) العوتبي ، 163 أ ، السالمي ، التحفة 233/1 .

قتل نصر بن المنهال العتكي»[1] شيخ هذه القبيلة ، فاضطروا للهرب كما هرب اليحمد من قبلهم بعد ان قتل الكثير من وجوه هذه القبائل ، كما اسر من اليحمد الفهم بن وارث الكلبي وسليمان بن عبدالملك بن بلال السليمي وغيرهم من وجوه هذه القبائل وقد سجنوا لمدة سنة أو أكثر ثم اطلق سراحهم بعد تدخل موسى بن موسى وجماعة من وجوه العمانيين[2] .

وقد فتحت هذه المعركة الباب لحرب أهلية بين اليمانية والمضرية . وكان لابن دريد الأزدي دور بارز في اضرام نيران هذه الحرب بتحريضه للقبائل بقصائد من الشعر طويلة . وقد عكس ابن دريد تصور جيله الذي بدأ يفسر الأحداث على اساس عصبيات الدم والثأر بين القبائل وهذه الحقيقة كانت من نتاج واقعة الروضة التي اضعفت إلى حد بعيد الدعوة الاباضية بعمان وزادت العصبيات القبلية بحيث قسمت عُمان إلى يمانية ومضرية[3] . كما انها خلقت جوا من الغضب على تصرفات راشد بن النظر . جعلت موسى بن موسى يميل إلى جانب اليمانية[4] بعد ان تعاظم حلفهم المكون من اليحمد والعتيك وبني مالك بن فهم[5] ، ويذكر ابو قحطان ان راشد بن النظر سار إلى مدينة ازكي يسترضي موسى بن موسى فلم يدرك رضاه فسار على راشد مع شاذان بن الصلت بن مالك إلى منطقة فرق القريبة من نزوى ثائراً على راشد بن النظر مطالبا بعزله عن الامامة[6] . ويشير البسيوي ان هناك اجماعاً عاماً على خلعه من الامامة[7] ، ويقول الازكوي :«إن موسى بريء من راشد وفسقه وضلاله وسار عليه وعزله . . .»[8] واستطاع انصار شاذان بن الصلت وموسى بن موسى من التغلب على انصار راشد بن النظر بسهولة كبيرة بعد ان تغلبوا على أقوى انصاره وهم الحواري بن عبدالله والوليد بن مخلد ودخلوا نزوى فاستسلمت لهم بدون حرب فاخذوا راشد من دار الامامة وضربوه واودعوه السجن[9] وقد تم خلعه في شهر صفر سنة 277 هـ ، بعد ان قضى في الامامة اكثر من اربع سنين»[10] .

---

(3) العوتبي ، 194 ب .

(4) البسيوي ، ورقة 14 ، العوتبي ، 194 أ ، السالمي ، التحفة 240/1 .

(5) العوتبي ، 194 أ ، السالمي ، 234/1 .

(6) السالمي ، التحفة 240/1 نقلا عن ابي قحطان في سيرته .

(7) البسيوي ، الحجة على من ابطل السؤال ورقة 14 .

(8) كشف الغمة ، 333 ب .

(9) السالمي ، 241/1 ، انظر الحركة الإباضية في المشرق ، 280 .

(10) العوتبي ، 193 ب .

إمامة عزان بن تميم الخروصي277هـ/890م - 280هـ/893م

«بعد انتصار اليمانية وحلفائهم وقع اختيارهم على عزان بن تميم الخروصي فبويع بالامامة في شهر صفر سنة 277هـ/890م حيث بايعه موسى بن موسى ومجموعة من مشايخ الاباضية[1] .

كانت أولى الاجراءات التي اتخذها عزله لولاة الامام السابق وتبديلهم بولاة موالين لليمانية فعين عزان بن الهزبر واليا على اسطوله البحري والازهر بن محمد بن سليمان واليا على صحار ابرز المدن الساحلية بعُمان وعيّن موسى بن موسى والياً للقضاء على عُمان واستمر في عمله هذا سنة كاملة ثم عزله عن القضاء لارتيابه منه ،[2] وفي ذلك اهانة لابرز علماء الاباضية انذاك فانتقل إلى مدينة ازكى وحاول ان يجمع انصاره فيها[3] . غير ان التجارب الماضية قد كشفت لعزان بن تميم اساليب موسى بن موسى ونواياه السياسية المتقلبة «فعالجه عزان خوفا ان يفعل به مثل ما فعل بمن كان قبله»[4] ويبدو ان مجموعة كبيرة من عسكره انحازت إلى جانب موسى بن موسى في ازكى فاضطر عزان بن تميم ان يجهز جيشا من اخلاط الناس فيهم اللصوص الذين اطلقهم من السجون ليستعين بهم في حربه لموسى بن موسى واجرى لهم النفقات وعاقب أولئك الذين تخلفوا بمدينة نزوى ولم يرتأوا الاشتراك في الحرب واستطاع هذا الجيش انزال هزيمة منكرة بموسى وقتله في محلة الجنود عند مسجد الحجر في ازكى «ووضعوا على أهل ازكى يقتلون ويأسرون ويسبون وينهبون واضرموا فيها النيران فحرقوا اناس وهم احياء»[5] وكان من نتائج هذه الوقعة توسع شقة الخلاف بين النزارية واليمانية» وخروج مردان بن زياد السامي إلى هذه المنطقة ايضا يحرضون القبائل لكي تساندهم في حرب عزان بن تميم وقد استجابت لهم بنو سامة وبنو عوف بن عامر واجتمعوا بتوام ثم اتجهوا إلى جبال الحدان حيث تسكن قبيلة الحدان الازدية[6] وكان الحواري بن عبدالله السلوتي الحداني قد دعا قبيلته اليمانية للوقوف إلى

---

(1) الحركة الاباضية في المشرق 285-287 حيث اعتمدنا على ما اورده نصا .

(2) كشف الغمة 333 ب .

(3) السالمي ، التحفة /246 نقلا عن ابي قحطان في سيرته .

(4) السالمي ، التحفة 246/1 ,247 .

(5) كشف الغمة ، 333 ب ، السالمي التحفة247/1 .

(6) انظر ابن الكلبي ، جمهرة النسب ، ص 216 ، فيما يتعلق بنسب هذه القبيلة .

جانب النزارية للخروج على عزان بن تميم الخروصي[1] فبايعه المضرية وبعض اليمانية كإمام لعمان ليضفوا على خروجهم الشرعية التي تكسبهم تأييد العامة[2] ونلاحظ هنا ان مركز الامامة فقد شرعيته وهيبته امام طموحات رؤساء القبائل واصبحت ستاراً يخفي وراءه الطامعون مآربهم الشخصية والقبلية ويعلق الازكوي على ذلك ساخراً بقوله :«وصار أمر الامامة معهم لعباً ولهواً وبغياً وهوى لم يقتفوا كتاب الله ولا اثار السلف الصالح من ابائهم وأجدادهم ، حتى أنهم عقدوا في عام واحد ستة عشر بيعة لم يفوا بواحدة»[3] .

وقعة القاع 278هـ/891م[4]

«توجهت القبائل المتحالفة التي تكونت من المضرية والحدان وبني الحارث من أهل الباطنة برئاسة الحواري بن عبدالله الحداني الذي انتخبوه اماما لهم ، إلى ولاية صحار ثاني اكبر ولايات عُمان بعد نزوى ودخلوا صحار في الثالث والعشرين من شوال سنة 278هـ/ 891م ، واستولوا عليها ودعوا إلى امامة الحواري بن عبدالله الحداني على منبرها ، فلما بلغ خبرهم عزان بن تميم أُرسل اليهم قوات كبيرة جلبها من اليمانية التي اندحرت في واقعة الروضة[5] بالاضافة إلى قبيلة بني هناءة التي كانت تثير المتاعب للامامة الإباضية[6] ،نراها هنا تدافع عن امامة عزان بن تميم وقد ألجأتها العصبية القبلية للوقوف إلى جانب القبائل الازدية[7] ، الموالية لعزان بن تميم وقد تألفت هذه القبائل من اليحمد والعتيك وسائر ولد مالك بن فهم وترأس اليمانية الأهيف بن الحمام الهنائي يعاونه سليمان بن عبدالملك السليمي على بني سليمة من اولاد مالك بن فهم وشاذان بن الصلت على اليحمد والصلت بن منهال العتكي الهجاري على العتيك والتقى الطرفان «بالخيام من ظهر

---

(1) العوتبي ، 194 ب ، كشف الغمة ، 334 أ ، السالمي التحفة1/215-216 .

(2) ابو المؤثر ، الاحداث والصفات ورقة 14 .

(3) العوتبي ، 194 ب .

(4) الحركة الاباضية في المشرق ، ص 287 فما بعد فقد اعتمدنا عليه نصاً .

(5) العوتبي ، 194ب ، كشف الغمة ، 334 أ .

(6) فيما يتعلق بنسب القبائل الازدية انظر ابن الكلبي ، جمهرة النسب ، 202-212 ، العوتبي 194 ب .

عوتب بموضع يسمى القاع»[1] وعلى رأس المضرية الحواري بن عبدالله الحداني والفضل بن الحواري اللذين قتلا في المعركة[2] وانهزمت النزارية هزيمة منكرة» .

إن الامامة الاباضية الثانية بسطت سيطرتها على عُمان في حوالي سنة 177هـ /794م حيث نعمت البلاد بحالة من الاستقرار والهدوء النسبي خلال عهود بعض الأئمة مثل الوارث بن كعب الخروصي[3] وقد تمكن هؤلاء الأئمة من رد هجمات القراصنة على الساحل وافشلوا كذلك محاولات الخلافة العباسية لاعادة سيطرتها على الاقليم .

إلا إن العصبيات القبلية جعلت الاقليم يتردى في حالةمن الفوضى والارتباك فقد استطاعت اليمانية كما لاحظنا أن تلحق هزيمة كبيرة بالنزارية في موقعة القاع[4] سنة 278هـ/ سنة 891 وقد طلبت النزارية المساعدة من محمد بن بور والي البحرين للخلافة العباسية يقول الازكوي أن محمد بن القاسم وبشير بن المنذر قدما على ابن بور :

«وشكيا اليه ما اصابهما من الفرقة الحميرية وسألاه الخروج معهما إلى عُمان وأطمعاه في أشياء كثيرة فاجابهما إلى ذلك»[5] .

على ان والي البحرين لم يتخذ قرارا سريعا في هذا الشأن وطلب من شيوخ النزارية الاتصال بالخليفة العباسي المعتضد (279/792-289 /902) والحصول على موافقته لارسال حملة عسكرية إلى عُمان . وقد وافق الخليفة المعتضد على تجهيز حملة وأمر والي البحرين بالاستعداد حيث بدأ باستنفار القبائل المضرية من اقاليم عديدة حتى ان اعدادا كبيرة من طي وصلت من الشام إلى البحرين .

ويشير الازكوي في كشف الغمة إلى ردود الفعل في عُمان تجاه هذه الحملة فيقول[6] :

«ثم اتصل خبره (محمد بن بور) بعمان فاضطربت ووقع بين أهله الحلف والعصبية وتفرقت اراؤهم وتشتت قلوبهم فمنهم من خرج من عُمان بأهله وماله ومنهم من اسلم نفسه من قلةاحتياله» .

---

(1) المصدر السابق ، السالمي التحفة252/1 .

(2) العوتبي ، 194 ب ، السالمي ، المصدر السابق .

(3) العوتبي 195أ ، كشف الغمة 334 ب ، السالمي التحفة 254/1 .

(4) د . فاروق عمر ، ملامح من تاريخ الحركة الاباضية ، المؤرخ العربي ، العدد الثاني 1975 ، ص فما بعد .

(5) الازكوي ، ورقة 330 أ .

(6) المصدر السابق ، ورقة 334 أ .

وفي رواية اخرى يشير الازكوي إلى ان بعض شيوخ اليمانية نزحوا إلى هرمز بحرا بعيالهم واموالهم .

ومع ذلك فقد صمدت القبائل اليمانية وحلفائها امام الجيش العباسي ومن حالفه من النزارية ووقعت معارك شديدة في جلفار انتصر فيها العباسيون وحلفاؤهم حيث انفتح امامهم الطريق نحو نزوى مقر الاباضية وفي نزوى يقول الازكوي :

« . . . وتخاذلت الناس عن عزان بن تميم فخرج من نزوى إلى سمر الشان» .

ولكن القوات المتحالفة تعقبت الامام الاباضي عزان بن تميم بعد ان فتحت نزوى وفي 25 صفر سنة 280 هـ ، وقعت معركة في واحة سمر الشأن القريبة من نزوى دارت فيها الدائرة على الاباضية وقتل امامهم عزان والكثير من الانصار الاباضية وارسلت رؤوسهم إلى بغداد .

ولم يتخاذل الاباضية فقد برز بينهم الاهيف بن حمام الهنائي احد الانصار البارزين للامام السابق ويقول الأزكوي ان الاهيف كتب :

«إلى مشايخ عُمان وقبائلها من كل مكان يدعوهم إلى محاربة محمد بن بور واخراجه من عُمان ويحثهم على ذلك فاجابوه واقبلوا اليه» .

وقد تمكن الاهيف الهنائي من استعادة نزوى وتعقب محمد بن بور إلى ساحل عُمان حيث اشتبك معه في معركة طاحنة في دما على بحر عُمان انتصرت فيها الاباضية .

ولكن المضرية انقذوا محمد بن بور من المأزق الذي وقع فيه يقول الازكوي :

«إذ طلع عليهم ركب من أهل قدمة وغيرهم من المضرية على كل جمل رجلان من قبل ابي عبيدة بن محمد السامي مدركا لمحمد بن بور» .

واستطاعت قوات العباسيين وحلفائهم من هزيمة أهل عُمان واستعادة نزوى حيث اتخذت بعض الإجراءات الشديدة ضد الاباضية منها مصادرة كتب الاباضية وحرقها وتخريب بعض الاراضي الزراعية التابعة للقبائل الموالية للاباضية وذلك بدفن الانهار التي تجرى فيها . كما وانه نقل المقر الاداري لاقليم عُمان من نزوى إلى بهلا التي غدت مقرا للوالي الجديد أحمد بن هلال الذي يدين بالطاعة للعباسيين .

ورغم ان الامامة الاباضية التي دامت اكثر من قرن من الزمان قد زالت ككيان سياسي من الاقليم ولكن نفوذ الخلافة العباسية لم يشمل عُمان بكاملها بل انحصر في المنطقة الساحلية وشمالي عُمان . وقد ظلت القبائل اليمانية وخاصة في اواسط عُمان تدين بالولاء للعقيدة الاباضية ولا تتعاون مع الولاة الذين يعينهم العباسيون .

إن الاستنتاج الأول الذي يستنتجه الباحث في تاريخ الامامة الاباضية خلال هذه الفترة هو ان انهيار الامامة ككيان سياسي يعود إلى الانشقاق الذي وقع بين الشيعة الاباضية انفسهم وهذا بدوره مهد السبيل لتحرك اعداء الاباضية في داخل الاقليم وخارجه . وقد انتهزت الخلافة العباسية دون شك هذه الفرصة المواتية فضربت ضربة قوية أنهت سلطة الاباضية على عُمان واعادته إلى حضيرةالخلافة ونفوذها . ولكن لماذا انشق انصار العقيدة الاباضية على انفسهم؟ ان الاجابة على هذا السؤال ليس بالامر الهين الا ان الذي يتبادر إلى الذهن هو الضعف الذي دبَ في تنظيم الحركة الاباضية . فبعد ان وصلت الحركة الخارجية الاباضية إلى السلطة دبَ الوهن في جانب الرواد العقائديين الذين حملوا عبء الدعوة السرية ثم بناء الدولة الاباضية وتأسيسها وفي هذا المجال يقول السالمي عن الامام الصلت بن مالك[1] : « . . . إن هذه الدولة قد كان لها رجال لهم حلوم راجحة عالمة وقلوب سليمة كانوا على أمر واحد يطأ الاخر اثر الأول . . . فلم يزالوا على ذلك حتى مضوا فانقرضوا رحمة الله عليهم . . . ثم خلفنا نحن وانتم من بعدهم . . . إلى ان ذهب أهل الفضل وأهل العدل ونشأ اليوم شباب وناس ظهرت رغبتهم في الدنيا وطلبوا الرياسة فيها» .

ومن الطبيعي ان تؤدى هذه الظاهرة-ظاهرة ضعف التنظيم في الحركة الاباضية- إلى اتساع الهوة بين الامام الاباضية وبين شيخ الفقهاء الاباضية ، فقد كان الفقيه الاباضي يسند الامام ويبايعه وحينئذ تصبح رئاسته مشروعة ، اما الان فلم تعد عملية انتخاب الامام عملية «ديمقراطية» بعد ان اعتمدت على القوة والعصبية القبلية . فلم يبق لمشايخ الدعوة الاباضية الدينيين الاهمية التي كانت لهم بل ان بيعتهم صارت تأتي بعد اختيار الامام من قبل التحالف القبلي ومكملة لها!! . . . ويصف الازكوي علماء الاباضية في هذه الفترة فيقول :

«ووقعت الفتنة بينهم في عُمان وكبرت المحنة واختلفوا في دينهم وتفرق رايهم» .

---

(1) السالمي ، تحفه الاعيان ، ج2 ، ص 204 فما بعد . . . وفي مكان آخر يضيف السالمي عن أهل عُمان في تلك الفترة قائلا «قل بصرهم وزالت عقولهم وجاروا عن الحق وخالفوا سيرة المسلمين الا قليلا انقذهم الله» ج2 ، ص 203 .

هذا ومن جهة اخرى فإن تاريخ الحركة الخارجية عامة وفي الاقاليم المختلفة وليس في عُمان فحسب يثبت المرة تلو الاخرى اثر العصبيات القبليّة في سياسة زعمائها الذين برهنوا ان انتماءاتهم القبلية كانت اقوى من الشعارات العقائدية التي رفعوها وهكذا كانت حركاتهم تجمع النقيضين : الحماس الديني والتعصب القبلي!! . . . وفي هذه الفترة بالذات ظهرت تكتلات قبلية جديدة تجمعت حول شخصيات قبلية ظهر اثرها على المسرح السياسي على حساب سلطة الامام الضيقة ولذلك نشاهد المؤرخ الازكوي يكثر من استعمال الاصطلاحات التي تدل على ضعف نفوذ الامام الاباضي مثل :

«وتخاذلت الناس عن عزان بن تميم» أو «فتخاذلت الرعية عن الصلت وضعف عن الامامة» .

وكانت نتيجة ذلك كله حرب أهلية مدمرة كلفت عُمان كيانها السياسي وعقيدتها الاباضية . واخيرا وليس آخراً فان سقوط الامامة جاء بسبب تدهور الاحوال الاقتصادية فيها بعد ان هاجر العديد من أهل عُمان بأموالهم وذراريهم إلى مراكز قريبة تتمتع بالاستقرار وقد اشرنا سابقا إلى هرمز كما هاجر اخرون إلى البصرة واماكن اخرى . وقد ردمت بعض الانهار وقطعت الاشجار كأعمال انتقامية قامت بها بعض القبائل ضد قبائل اخرى . أو قامت بها القوات العباسية لاضعاف مقاومة القبائل الاباضية .

ولا يخفى ان الهجرة لا تنحصر اثارها السلبية على الجانب الاقتصادي فحسب بل تتعاده إلى الجانب العسكري والسياسي حيث عانت الامامة الاباضية من قلة الاتباع والانصار وخاصة بعد هجرة العديد من اليمانيين عن عُمان وهذا بدوره اضعف نفوذها وسيطرتها .

كل هذه العوامل مجتمعة لعبت دورها في سقوط الامامة الاباضية الثانية في عُمان . ولابد لنا ان نؤكد على ضعف التنظيم للاباضية في هذه الفترة بعمان مما ادى إلى انشقاق الاباضية على بعضهم وبالتالي إلى تخاذل الناس عنهم .

وهكذا اضاع أهل عُمان ذلك الدور المبرز الذي كان من الممكن ان يلعبوه على الساحة العربية الإسلامية خاصة وان الخلافة العباسية كانت تشكو آنئذ الضعف والتحكم العسكري التركي .

الامامة الاباضية الثالثة بعمان (408هـ/1016م- 893هـ/1487م):

بعد سقوط الامامة الاباضية الثانية استمر حملة العلم من الفقهاء والدعاة الاباضية في نشاطهم العقيدي والسياسي بعمان وحين جاءت الفرصة المناسبة تجمعوا حول قبائل اليحمد التي بدت وكأنها الأمل الوحيد لديهم لاستعادة الامامة من جديد .

وقد انتخب الفقهاء وحملة العلم الامام (الخليل بن شاذان الخروصي) اماما جديدا لإباضية عُمان سنة 408هـ / 1016م ، واستطاع ان يوحّد معظم قبائل عُمان تحت راية الامامة وترك مهمة تقوية الدولة إلى خلفه الامام رشيد بن سعيد الحميري الذي نجح في طرد البويهيين من عُمان[1] .

ورغم ما حققته الامامة الاباضية الثالثة من نجاح سياسي مؤقت فإنها لم تستطع ان تعيد «العصر الذهبي» للاباضية ولم تنجح في توسيع نفوذها باتجاه الساحل العماني ، واستمرت السلطة الوحيدة في عُمان حتى سنة 883هـ/ سنة 1487م حيث اقتسمت النفوذ معها كل من النبهانيه والجبور .

إن الفترة بين بدايات القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وحتى بدايات القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي تعتبر فترة غامضة في تاريخ عُمان حيث تعاقب على الحكم في عُمان الداخل عدد من الأئمة الاباضية كما توالت الثورات ضدهم بسبب الصراع بين التكتلات القبلية التي تؤيد هذا الامام أو ذاك وقد ادت هذه الحالة المتدهورة في عُمان إلى تشجيع الاطماع الخارجية للتغلغل أو ايجاد مناطق نفوذ في اجزاء من اقليم عُمان . فبالاضافة إلى اطماع البويهيين التوسعية المنبعثة من اقليم فارس على الساحل الشرقي للخليج العربي نلحظ نشاطا متزايدا خلال هذه الفترة ذاتها للدولة الفاطمية التي نجحت في توسيع نفوذها في مصر إلى اجزاءمن بلاد الشام ثم ما لبثت ان ارسلت الدعاة لنشر المذهب الإسماعيلي وكسب امراء الكيانات السياسية في ارجاء عديدة من العالم الإسلامي[2] .

وتشير (السجلات المستنصرية) إلى ان الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ومن بعده ابنه المستعلي بالله قد بذلا جهوداً مكثفة عن طريق الامارة الصليحية باليمن لنشر الدعوة الإسماعيلية وكسب امراء الخليج قدر الامكان .

---

(1) كبير ، المصدر السابق ، ص 46 .

(2) السجلات المستنصرية ، تقديم وتحقيق عبدالمنعم ماجد ، القاهرة ، 1954 .

وقد تركزت هذه الجهود بصورة خاصة ومنذ سنة 455هـ/ 1063م ، على اقليمي البحرين وعُمان بقصد ضمهما إلى دائرة النفوذ الفاطمي ضد الخلافة العباسية وتشير السجلات المستنصرية إلى عدد من الدعاة الإسماعيلية ومناطق نشاطاتهم في الخليج العربي .

لقد دفعت عدة اسباب الخلافة الفاطمية إلى مد نفوذها لمنطقة الخليج ومحاولة توسيع هذا النفوذ[1] وفيما عدا السبب السياسي آنف الذكر وهو العداء العباسي- الفاطمي فلابد ان نضيف ايضا أهمية منطقة الخليج الاستراتيجية بالنسبة لنشر الدعوة الإسماعيلية في المشرق الإسلامي وجنوبي شرقي آسيا ثم أهمية الخليج الاقتصادية على طريق التجارة العالمية بين الشرق والغرب حيث اشتهرت في هذه الفترة مجموعة خاصة بهذه التجارة في البحر الأحمر ثم البحر العربي وتعرف باسم (الكارمية) . ومن الطبيعي ان الدعاة الفاطميين كانوا ينشرون دعوتهم في هذه المناطق بصفتهم تجارا واصحاب مصالح لأن ذلك يكون لهم صلات وثيقة مع سكان البلاد المحليين ولهذا نلاحظ ان اغلب هؤلاء الدعاة كانوا من التجار الاثرياء وذوي المصالح المهمة .

إن الدعاية الفاطمية لم تحقق نجاحاً ملموساً من الناحية السياسية رغم ان المذهب الإسماعيلي ربما انتشر بين عدد من القبائل أو سكان المدن منذ عهد القرامطة وكذلك بسبب الدعاية الفاطمية ، الا ان سقوط البحرين واجزاء اخرى من الخليج بيد السلاجقة منذ سنة 447هـ / 1055م ، أعاق الجهود الفاطمية خاصة بعد ان بقي السلاجقة مدة ثمانين سنة يحكمون عُمان عن طريق ولاة يرسلونهم من بغداد[2] كما وان جهود الجبور الذين سيطروا فيما بعد على البحرين في نشر المذهب المالكي (السني) اضعف لدرجة كبيرة المذهب الإسماعيلي في منطقة الخليج .

والمعروف انه منذ سنة 660 /1261م ، سيطرت مملكة هرمز على عُمان دون مقاومة تذكر على ان نفوذها بقي في عُمان الساحل واستمرت الاباضية تتمتع بنفوذ مهم في الداخل .

---

(1) د . عبدالنعم ماجد ، سياسة الفاطميين في الخليج العربي ، المؤرخ العربي ، 1986 ، ص 406 فما بعد .

(2) انظر المقدمة Bathurst The Ya'rubi .

ولابد من الاشارة إلى ان علماء الرستاق المتشددين تمتعوا بنفوذ كبير في عهد الامامة الثالثة وأصدروا سنة 443هـ/ 1052م ، منشوراً اعلنوا فيه خطأ عملية عزل الامام الصلت بن مالك وبذلك سدّوا الطريق امام أي أمل للوفاق وابعدوا علماء نزوة المعتدلين .

إن هذا الموقف المتشدد اضعف الامامة الاباضية من الداخل ، كما انشق عنها اباضية حضرموت وانكر فقهاء الجوف حصر الامامة في اليحمد بحيث بدت وكأنها شبه وراثية وبادروا إلى انتخاب امام لأهل الجوف!! .

ثم أن قبيلة اليحمد نفسها عانت من انقسامات قبلية أدت إلى ضعفها مما مهد السبيل لظهور نفوذ القبائل النبهانية الذين اقتسموا السلطة على عُمان مع الامامة الاباضية التي لم تعترف بهم ونعتتهم (بالملوك) والجبابرة .

بلغ التذمر ذروته في عُمان بسبب سوء سيرة الحكام النبهانية وكذلك سطوة مملكة هرمز على عُمان الساحل ، وقد انتهز الأئمة الاباضية هذه الفرصة من أجل استعادة نفوذهم وتوسيعه في عُمان . إلا أن الصراع النبهاني الاباضي اشتد وتعقد مما ادى إلى استنجاد الامام الاباضي عمر بن الخطاب الخروصي بأمير الجبور اجود بن زامل الذي لم يتردد في ارسال جيش سنة 893هـ/1487م ، لنجدة الاباضية رغم اختلافة واياهم في المذهب حيث كان على المذهب السني ، وقد نجح قائد الجيش سيف بن زامل في طرد النبهانية وتثبيت سلطة الاباضية في عُمان الداخل على ان عُمان بقيت تعاني من الفرقة والانقسام وظلت الحرب سجالا بين الإباضية والنبهانية مما سهل على استمرار نفوذ الجبور في عُمان باسم حماية الامامة الاباضية من اعتداءات النبهانية وكذلك خطر مملكة هرمز عليها وكان الاباضية مقابل ذلك يؤدون رسوم الحماية للجبور على شكل مواد عينيه من الحاصلات الزراعية العمانية[1] . وبقي نفوذ الجبور مستمراً حتى الاحتلال البرتغالي سنة 913هـ/ سنة 1507م ، ولكن اليعاربة هم الذين انقذوا عُمان من البرتغاليين سنة 1034هـ/ سنة1624م .

بعد ذلك كله يمكننا القول بأن الإمامة الاباضية في عُمان نجحت إلى حد ما في ان تكون نقطة تجمع لأهل عُمان معبرة بذلك عن تراثهم العريق وشخصيتهم المميزة وميلهم

---

(1) الازكوي ، كشف الغمة (الجزء المحقق)ص 75 ، الفتح المبين (المخطوط) ورقة 94-96، السالمي ، تحفة الاعيان ، ط ، ص 84 ، فما بعد ، المؤلف المجهول تاريخ أهل عمان ، محقق ، ص 80 ,106 عن اسماء الأئمة الاباضية راجع ، زامباور ، معجم الانساب ، ط ،ص ، 14 .

للاستقلال ، الا أن سلطتها لم تشمل كل عُمان ولم تستطع ايجاد عرف أو نظام ثابت لحكم عُمان حكما مركزيا بسبب ظروف داخلية وعوامل ضغط خارجية فقد عارضتها قوى قبلية عديدة واقتسمت معها النفوذ كما جابهتها قوى سيطرت على أجزاء اخرى من عُمان خلال الفترة موضوعة البحث .

الفصل الثالث

الخليج في العصور الاسلامية :

(3) العراق

«العراق شاطئ البحر وسمي العراق عراقاً لأنه على شاطئ دجلة والفرات مدا حتى يتصل بالبحر على طوله».
ياقوت، معجم البلدان (مادة عراق)

«العراق شاطئ الماء أو شاطئ البحر خاصة... وسمي العراق عراقا لانه على عراق دجلة والفرات أي شاطئهما»
الزبيدي، تاج العروس، ط7 ص 9.



فتح العراق وانتشار الإسلام فيه

بعد ان انتصر ابو بكر الصديق في حروب الردة وجه جيوش المسلمين لنشر الإسلام خارج حدود الجزيرة العربية فكانت هذه البادرة من الخليفة الراشدي الأول من اهم الاحداث التي وقعت في العصر الراشدي وكان من نتائجها انتشار الاسلام في بقاع العالم شرقا وغربا .

وتاريخ العراق القديم يشير إلى كونه مهد الحضارات وموطن الثقافات فقد استوطنه السومريون قبل 3000 سنة ق . م . ثم هاجر اليه الا كديون والاموريون من الجزيرة العربية ، ثم استولى عليه الفرس حين توالت حكمه اسر فارسية كان اخرها الساسانيون الذين عاصروا ظهور الإسلام في الجزيرة العربية .

وكان العرب في العراق نوعين : الأول : الحضر الذين استقروا واسسوا امارات ودول صغيرة مثل دولة الحيرة والثاني : القبائل البدوية المتجولة بين النهرين وفي الجزيرة الفراتية في اعالي دجلة والفرات ومنها : بنو شيبان في جنوبي العراق وبنو بكر وتميم في الفرات الاوسط وبنو اياد وبنو تغلب في الجزيرة الفراتية .

ولم يكن بين عرب العراق وبين موطنهم الاصلي في الجزيرة العربية فاصل يحول دون اللقاء ولذلك استمرت الروابط قوية ومتصلة رغم خضوع العراق للسيطرة الساسانية .

دوافع الفتح

رغم ان المسلمين كانوا اضعف تجهيزاً من حيث الاسلحة من الساسانيين كما وانهم يحاربون خارج جزيرتهم فقد حققوا في فترة قصيرة انتصارات كبيرة في الجبهة الشرقية في العرق وبلاد فارس ويرجع الفضل في ذلك إلى الاثر الذي تركه الدين الإسلامي في نفوس المسلمين[1] .

فقد كان العرب قبل الإسلام قبائل مفككة يقاتل بعضها بعضا دون هدف أو غاية بعيدة المدى ولذلك ارهقوا واستضعفوا ، فلما جاء الإسلام نظمهم تحت سلطة مركزية واحدة ووجه طاقاتهم نحو غاية فلم تعد الحرب من أجل الحرب بل الجهاد لاعلاء كلمة الله

---

(1) حول فتح العراق راجع صالح العلي ، (المد العربي في صدر الاسلام ، ص16 فما بعد) ، شكري فيصل ، حركة الفتح الإسلامي ، ص59-106 .
كذلك F. Donner, Early Arab Conguests, PP. 53 .

ونشرالإسلام ، وهذه كما نلاحظ غاية سامية تهدف مصلحة المجموع لا مصلحة فرد معين . يضاف إلى ذلك الثواب للمجاهد الذي اكد عليه الإسلام :

«ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون» .

ثم ان المسلمين وثقوا من نصر الله ذلك لأنهم اعتقدوا بأن الإسلام مؤيد من عند الله وهذا دون شك في شأنه ان يزيد الثقة في قلوب المقاتلة المسلمين ويقوى معنويات المجاهدين .

وإذا كان الجيش الفارسي الساساني اكثر تنظيماً وتجهيزا فان جيش المسلمين كان اكثر تحملا للمشاق واحتمال التعب وشظف العيش والصبر على العدو ، كما وانهم اكثر مرونة في الحركة والتنقل من جهة إلى اخرى اثناء المعركة مما يباغت العدو ويربكه .

ومما يسرّ امر الفتح الإسلامي للعراق هو أن جبهة الدولة الساسانية من جهة الجزيرة العربية كانت مكشوفة . فالفرس لم تكن تتوقع خطرا يهددها من جهة الجزيرة العربية فلم تعد العدة للدفاع عنها . ذلك ان الحروب التي نشبت بين الفرس والروم والتي دامت قرونا قد جعلت الفرس يتوقعون الخطر الرئيسي من جهة الشمال ولذلك اعدوا دفاعاتهم على هذا الاساس فكانت قلاعهم وجيوشهم تحتشد في الجبهة الشمالية المقابلة للروم .

أما من ناحية الصحراء فلم يضعوا قوات ساسانية لان امارة المناذرة العربية كانت تقوم بواجب الحماية والدفاع ضد هجمات البدو قبل الإسلام ولم يدرك الفرس ان خطرا جديدا سيهددهم في هذه الجبهة بعد ظهور الإسلام .

لقد فوجئ الفرس بالهجوم الإسلامي المركز على جبهتهم المكشوفة على طول الحدود العراقية ولا شك فإن هذه الحدود طويلة ولم يستطع الفرس ان يغطوا هذه الجبهة رغم حشدهم قوات كثيفة ولكن هذه القوات كانت غير مرتبة بالعمق ، فلما اشتبك المسلمون معها ودحروها في موقعة القادسية تقدموا دون عائق نحو العاصمة الفارسية المدائن (طيسفون) وسيطرو اعليها دون مقاومة كبيرة فلما سقطت العاصمة الساسانية اختل النظام ومع ان الفرس تمكنوا من تحشيد ما تبقى من جيوشهم في جلولاء ونهاوند الا ان اندحارهم مرة اخرى جعل الباب مفتوحا امام المسلمين لفتح كل الامبراطورية الساسانية الفارسية[1] .

---

(1) صالح العلي ، المرجع السابق- النجار ، الخلفاء الراشدون ، ص73 فما بعد 115 فما بعد .

مبادرة المثنى بن حارثة الشيباني

يعد المثنى بن حارثة الشيباني أول من بدأ بمهاجمة الفرس على حدود العراق فلقد كانت علاقة قبيلة بني شيبان طيبة مع المناذرة العربية فلما زالت هذه الامارة اصبح بنو شيبان وجها لوجه امام الفرس وقد اشتبك الطرفان في عدة معاركة اهمها معركة ذي قار التي انتصر فيها بنو شيبان ولهذه الموقعة اهميتها لانها أول حرب تنتصر فيها قبيلة عربية بدوية على قوة فارسية منظمة مما قوى من معنوياتهم وشجعتهم على الاستمرار ، كما شجع قبائل اخرى على الاحتكاك بالفرس لجس النبض . وقد قال الرسول ﷺ عن ذي قار «هذا يوم انتصف فيه العرب من العجم وبي نصروا» على أن هذه المناوشات كانت مجرد غزوات لاتستهدف الفتح المنظم أو الاستقرار أو اسقاط الدولة الساسانية ثم انها لم تكن لها نتائج ملموسة .

لقد بلغ الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه خبر المثنى بن حارثة الشيباني فاهتم بالأمر ، كما وان المثنى الشيباني طلب من ابي بكر الصديق ان يستعمله على قومه وان يعينه على قتال الاعاجم من أهل فارس فكتب له ابو بكر بذلك عهدا . وفي أيام الردة ثبت المثنى على طاعة دولة المدينة واعان جيوش الإسلام في مطاردة المرتدين في منطقة الخليج . وبعد الانتهاء من حروب الردة كتب ابو بكر إلى المثنى بن حارثة يأمره بالمسير إلى العراق ودخولها من اعلاها وجعل هدفه كهدف خالد بن الوليد احتلال الحيرة وتمضي الرواية التاريخية فتقول إن ابا بكر امر القائدين :

«فإذا اجتمعتما بالحيرة وقد فضضتما مسالح الفرس وامنتما ان يؤتى المسلمون من خلفهم فليكن احدكم ردءاً للمسلمين ولصاحبه بالحيرة وليقتحم الاخر على عدو الله وعدوكم من أهل فارس ومستقر عزهم المدائن» .

خالد بن الوليد يتولى القيادة

تولى قيادة الجيوش الإسلامية خالد بن الوليد واشتبك بالفرس قرب الابلة فهاجمهم وهو يخاطب قائدهم «لقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة» ودارت الدائرة على الفرس فانهزموا . وتقدم خالد بن الوليد حيث التحم مع قوات فارسية جديدة قرب الكاظمة وكان قائد الفرس هرمز الذي ضرب العرب به المثل فقالوا «اخبث من هرمز واكفر من هرمز» . وقد وجد المسلمون جنود الفرس مقيدين بالسلاسل كيلا يهربوا من ساحة القتال . ولذلك عرفت هذه المعركة بمعركة ذات السلاسل وكان النصر للمسلمين .

وتقدم خالد بن الوليد في الطريق إلى الحيرة فجابهه جيش فارسي جديد قرب المذار بقيادة قارن بن قريانس والتقى الجمعان وقتل قارن وما يقرب من ثلاثين الفا من الفرس سوى من غرق ، ومنعت المياه المسلمين من طلبهم ولولا المياه لاتي على اخرهم .

وتقدم المسلمون وتتابعت المعارك حتى وصلوا إلى الحيرة وحاصروها ثم نشب القتال الذي انتهى باستسلام اهل الحيرة وموافقتهم على دفع الجزية . وكان لسقوط الحيرة بيد المسلمين اهمية كبيرة ذلك لان رؤوساء القرى القريبة جاؤوا يتتابعون إلى خالد بن الوليد ويطلبون الصلح كما فعل أهل الحيرة .

ثم طلب ابو بكر الصديق (رضي) من خالد بن الوليد ان يسرع لنجدة عياض بن غنم في دومة الجندل فسار خالد مسرعا وبعث إلى عياض رسالة موجزة قال فيها :«من خالد إلى عياض : اياك اريد» واستطاع ان ينجده ويفك الحصار عنه وسقطت دومة الجندل بيد خالد كما سقطت عين التمر وقرى اخرى على الطريق .

لقد اتم خالد بن الوليد المرحلة الأولى من مراحل تحرير العراق من ايدي الفرس وتوج بفتح الحيرة والانبار وكانت اخباره تصل ابا بكر الصديق فكان يقول «عجزت النساء ان يلدن مثلك يا خالد» الا ان ظروف الحرب الإسلامية الرومية في بلاد الشام جعلت الخليفة ابا بكر الصديق رضي الله عنه يستنجد مرة اخرى بخالد بن الوليد ليذهب مددا إلى ابي عبيدة بن الجراح في الشام فترك خالد بن الوليد الجبهة العراقية في ربيع عام 634م ، واستخلف على العراق المثنى بن حارثة الشيباني .

المرحلة الثانية من فتح العراق

تبدأ المرحلة الثانية من فتح العراق مع خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي اهتم اهتماما كبيرا بالجبهة العراقية فقد امر برفع راية الجهاد في مسجد المدينة وخطب عمر (رضي) بالمسلمين فقال :«إن الله وعد محمدا ﷺ ان يفتح على ايديه بلاد فارس والله لا يخلف وعده فسارعوا إلى جهاد اعدائكم وما لم يورثكم الله اليوم يورثكم اياه غدا . وانكم لن تغنموا حتى تغيروا ولن تستشهدوا حتى تقاتلوا» .

وحاول الخليفة ان يسيطر على كافة التحركات العسكرية في الجبهة العراقية وينظمها كما حاول ان يشارك العديد من القبائل التي لم تكن قد شاركت بعد في الفتوحات الإسلامية وهكذا بدت العمليات العسكرية في عهد عمر بن الخطاب اكثر تنظيما باعتبارها خطط لفتح منظم مستقرثابت اكثر من كونها حرب مناوشات أو غزوات .

استنجد المثنى بن حارثة الشيباني بالخليفة الجديد عمر بن الخطاب ﷺ وشرح له الوضع العسكري في جبهة العراق فاستجاب الخليفة واختار ابا عبيدة الثقفي قائدا للجيش الإسلامي الذي اسرع بالتوجه إلى العراق .

وكان الفرس قد نظموا قواتهم وارسلوا تعزيزات جديدة بقيادة بهمن جاذوية . وتقدر الجيوش الفارسية 80 الف مقاتل وعشرون فيلا . والمعروف ان المنطقة الواقعة على الضفة الغربية من الفرات هي ارض مستوية تصلح لمناورات الخيّالة والحركة السريعة ثم انها تتصل بصحراء بلاد العرب اما الضفة الشرقية فهي ارض مليئة بالعقبات والقنوات والترع واشجار النخيل مما يجعل المناورات صعبة .

وبعث بهمن جاذويه إلى ابي عبيدة الثقفي يقول :«اما ان تعبروا الينا أو نعبر اليكم» فقال ابو عبيدة «والله لا عبرن اليهم» فنهاه المثنى بن حارثة الذي كان اعلم منه بالقتال والبلاد فأصر على ذلك وقال «لا يكونوا اجرأ على الموت منا»و عبر الجسر إلى الطرف الشرقي واستعمل الفرس الفيلة في القتل فكانت مفاجأة لأول مرة في قتال العرب فجفلت خيولهم واثرت على سير المعركة ، وقتل ابو عبيدة الثقفي واولاده الثلاثة وعدد كبير من المسلمين مما جعل المثنى يأمر بالانسحاب إلى الجانب الغربي ولكن احد المقاتلة ذهب وقطع الجسر وهو المنفذ الوحيد إلى الجانب الآخر وقال :

«إيها الناس موتوا على مامات امراؤكم أو تظفروا . الجنة بين ايديكم والنار من ورائكم» فلم ينفع كلامه لولا ان تدارك المثنى الامر وحمى الانسحاب بمهارة القائد وشجاعته . ومع ذلك فقد غرق وقتل عدد كبير من المسلمين . وقد اعتبر المؤرخون المسلمون هذه الواقعة نكبة على المسلمين .

غير ان موقعة الجسر لم تكن حاسمة ولم تؤد إلى القضاء على هجمات المسلمين في جبهة العراق .

وقد استدرك الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ الموقف فاعلن النفيرالعام فانضم المسلمون ملبين نداء الجهاد كما كان المثنى يرسل وفوده إلى عرب العراق يحثهم على الانضمام إليه ويحرضهم على تخليص العراق من ايدي الفرس .

فلما اجتمع مع المثنى العدد الكافي من المقاتلة اتجه متوغلا داخل العراق فالتقى بالفرس في البويب (قرب الكوفة الحالية) ولم يعبر نهر الفرات حسب أوامر عمر بن الخطاب ﷺ

وكانت حربا ضروسا انتهت بمقتل القائد المرزبان على يد رجل من بني تغلب الذي هتف قائلا :أنا الغلام التغلبي أنا قتلت المرزبان» .

فانهزم الفرس مذعورين بعد مقتل قائدهم . ويعرف ذلك اليوم بيوم (الاعشار) لان العديد من صناديد العرب قتل كل منهم عشرة من الفرس . على ان المثنى بن حارثة الشيباني لم يعش طويلا بعد هذا الانتصار فقد مات بعد بضعة اشهر من ذلك متأثرا بالجراح التي اصابت جسده .

معركة القادسية

رغم ان المثنى بن حارثة الشيباني طلب المدد من الخليفة عمر بن الخطاب (رضي) بعد انتصار البويب فان المدد تأخر بعض الوقت ، لان الدولة الإسلامية كانت قد وجهت اهتمامها إلى ما يجرى على الحدود الشمالية (الجبهة السورية) ، وقد استفاد الفرس من ذلك فحشدوا قوات كبيرة على جبهة العراق كما وأن اوضاع الدولة الفارسية الداخلية كانت قد تحسنت بعد ان هدأت الاضطرابات والتف الامراء والقادة حول الملك الفارسي الجديد (يزد جرد) .

اختارت القوات الإسلامية موقعا يسمى (ذي قار) وراء الفرات وعسكرت فيه بانتظار المدد من المدينة وبعث عمر بن الخطاب ﷺ الرسل إلى القبائل يطلب اليها الانخراط في الحملة الموجهة إلى العراق . ولما اكتملت العدة والعدد اخذ الخليفة يفكر فيمن يولى القيادة ، وقد اقترح بعض المسلمين أن يتولاها عمر بن الخطاب ﷺ نفسه وكاد عمر ﷺ ان يقبل لولا ان كبار الصحابة الحوا عليه ان يرسل رجلا غيره يثق به ، فعين عمر ﷺ سعد بن ابي وقاص قائدا عاما للجيش الإسلامي الجديد المتوجه نحو العراق .

كان سعد بن أبي وقاص من كبار الصحابة ومن اخوال النبي ﷺ فقال له عمر ﷺ :

«لا يغرنك من الله ان قيل خال رسول ﷺ وصاحب رسول الله ، فان الله لايمحو السيء بالسيء لكنه يمحو السيء بالحسن .

وليس بين الله وبين احد نسب الا طاعته فالناس سواء . الله ربهم وهم عباده . فانظر الامر الذي رأيت رسول الله يلزمه فالزمه» .

وخرج سعد بن ابي وقاص بجيش يزيد على اربعة الاف مقاتل وقد اعطاه الخليفة عمر ﷺ سندا قويا حين شيعه من المدينة مشيا عل الاقدام مسافة غير قصيرة مما يدل على

اهتمام عمر ﷺ بهذه الحملة وباهمية هذا الجهاد . على ان جيش سعد بن ابي وقاص كان يتزايد في الطريق بانضمام المتطوعة اليه من سائر القبائل . وقد توقف في منتصف الطريق بين الحجاز والعراق لكي يجمع اكبر عدد من هؤلاء المتطوعة وينظمهم . ولذلك تجنب سعد بن ابي وقاص غلطة التسرع التي ارتكبها سلفه ابي عبيدة الثقفي ، وقد بلغ عدد الجيش الإسلامي الذي وصل حدود العراق حوالي 12 الف من المقاتلة . وقصد سعد بن ابي وقاص القادسية واتخذها معسكرا لجيشه وهي منطقة قريبه من الحيرة في ارض مستوية لا تعيق حركة الجيش ولم يعبر المسلمون النهر .

اما الجيش الساساني فكان بقيادة رستم الذي كانت لديه اوامر مشددة من الملك يزدجرد بالسرعة في مجابهة المسلمين لعدم تمكينهم من التمركز في الأرض وكان جيشه معززاً بحوالي ثلاثين فيلا ويبلغ مقداره اكثر من عشرين الف جندي .

وفي اليوم الأول للقتال عبر الفرس النهر وكان سعد بن ابي وقاص مريضا الا انه ظل يشرف بنفسه على المعركة . وقد برز شجعان المسلمين حيث خرج عاصم بن عمرو التميمي وبارز فرسان العجم وهزمهم . وحين تقدمت فيلة الفرس ونفرت خيول العرب كاد جيش المسلمين ان يتزعزع لولا ان تقدم عاصم بن عمرو التميمي ورجاله وهجموا على الفيلة وقطعوا حزمها وولت الادبار . واقتتل الفريقان في هذا اليوم ولم ينتصر احد .

وفي اليوم الثاني وصلت طلائع الامدادات من بلاد الشام بقيادة هاشم بن عتبة بن ابي وقاص وعلى مقدمة الجيش القعقاع بن عمرو التميمي وقد قوى وصول المدد من عزيمة المسلمين بينما استشعر الفرس الخوف وفي هذا اليوم تبارز القعقاع مع بهمن جاذوية وقتله . واقتتل الفريقان حتى المساء وانتهى اليوم الثاني والنصر معلق .

وفي اليوم الثالث لم تفد محاولة الفرس زج الفيلة في ميدان المعركة وعند الغروب توقف القتال قليلاً ولكن المسلمين عاودوا القتال طوال الليل وانقطعت الاخبار عن سير المعركة ولكن ما ان اصبح الصباح حتى هجم المسلمون هجمة شديدة كان صوت القعقاع يدوي قائلا :«اصبوروا ساعة فإن النصر مع الصبر» .

وقاد القعقاع مجموعة من الفرسان نحو خيمة رستم قائد الفرس فلما وصلها لم يجده إذ كان مختبئا تحت البغال ، فلما ظهر تبعه احد الفرسان المسلمين وقتله ثم صاح «قتلت رستم ورب الكعبة» ، وحين سمع الجند الفارسي بقتل القائد كادت الفوضى ان تعم ، ولكنهم استطاعوا ان ينسحبوا من ارض المعركة بصورة منظمة بعد ان فقدوا قائدهم واكثر من عشرة الاف قتيلا . اما خسارة المسلمين في معركة القادسية فتقدر بحوالي ثمانية الاف قتيل .

كان من أهم نتائج القادسية انتهاء النفود الساساني في العراق وانفتاح الطريق امام الجيش الإسلامي للتوغل في عمق الأراض الفارسية للقضاء نهائيا على الدولة الساسانية ونشر العقيدة الإسلامية في بلاد فارس نفسها .

ثم ان لمعركة القادسية اثر معنوي كبير على المسلمين حيث بانت لهم مدى المعنوية العالية التي يتمتعون بها والقوة العسكرية التي يمتلكونها ، كما وان هذه المعركة ضمت إلى جيوش المسلمين عناصر جديدة من سكان العراق والجزيرة كانت لا تزال غير مشاركة بالفتوحات .

وفي الوقت نفسه اضعفت هذه المعركة من معنويات العجم وادت إلى تفكك النظام السائد وزعزعت ثقة السكان بالدولة الساسانية . والواقع ان المسلمين عندما قدموا العراق لم يلقوا مقاومة من اهل البلد الذين اعتبروهم اخوانهم وابدوا لهم الكثير من التشجيع والترحيب والمعونة . وعامل اخر لابد من ذكره والاشارة إلى دوره في تحقيق النصر وهو الحكومة الإسلامية في المدينة وعلى راسها الخليفة القدير عمر بن الخطاب ﷺ الذي دبر فأحسن التدبير وجاءته البشرى بالنصر المبين وهو متلهف لسماع اخبار العراق فحمد الله على ذلك .

وتشير تفاصيل الروايات التاريخية إلى ان مئات الامثلة الحية الرائعة للرجال والنساء الذين اظهروا درجات عالية من البطولة والتضحية والايمان في معركة القادسية . لابد ان نشير إلي مثال واحد هو الخنساء الشاعرة المشهورة التي حضرت القادسية مع اولادها الاربعة الذين استشهدوا جميعا فلما علمت بمقتلهم قالت :«الحمد لله الذي شرفني بقتلهم» .

ولا ننسى ابو عبيدة الثقفي الذي استشهد مع اولاده الثلاثة وهب ومالك وجبر في معركة الجسر ولهذا كان من شعارات الحرب في يوم القادسيه «يالثارات ابي عبيدة واصحاب الجسر» .

سقوط المدائن العاصمة

بعد انتصار القادسية اصبح الطريق مفتوحا امام المسلمين نحو العاصمة الساسانية المدائن وقد تقدم المسلمون لفتحها ، وكانت الجيوش الفارسية قد تمكنت من الانسحاب اليها بصورة منتظمة دون ان يتعقبها المسلمون .

لم يلق المسلمون في تقدمهم نحو المدائن مقاومة وقد حاصروا القسم الغربي منها ثم احتلوه دون مشقه وعسكروا فيه مدة من الزمن دون ان يعبروا نهر دجلة إلى الجانب الشرقي حيث المدائن الشرقية (طاق كسرى) وهي اعظم مدينة في الدولة الساسانية .

ولما علم يزدجر الثالث بسقوط المدائن الغربية بعث كنوزه وأهله إلى بلاد فارس الداخلية واخذ يستعد للهزيمة . اما سعد بن ابي وقاص فقد امر الجند الإسلامي بالعبور على ظهور الخيل . وارسل مقدمة الجيش 600 فارس بقيادة عاصم بن عمرو التميمي الذين اشتبكوا في عرض النهر مع الفرس ودحروهم واحتلوا الضفة الشرقية لدجلة لكي يحموا بقية الجيش الإسلامي الذي بدأ بالعبور وتطويق العاصمة من كافة جوانبها ولكن الفرس افلحوا بالانسحاب من المدينة قبل تطويقها من قبل المسلمين . وفتح العرب المدائن دون مقاومة كبيرة وظفروا بغنائم عظيمة وحين دخل سعد بن ابي وقاص ايوان كسرى وصل فيه قرأ الآية الكريمة :«كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فكهين كذلك اورثناها قوما اخرين» .

وكان قصر كسرى في المدائن من مفاخر العجم واهم ما فيه الايوان وهو قاعته الكبرى وارتفاعه 40 مترا وعرضه 28 مترا وطوله خمسين مترا وفي سقفه قبة زرقاء تتلألأ فيها النجوم اما ارضه فمفروشة ببساط ثمين يمثل بستانا مزينا بالاحجار الكريمة ، ولذلك كانت غنائم المسلمين كثيرة وزعت على المقاتلة وارسل خمسها إلى المدينة .

انسحب الفرس إلى جلولاء وكان هدفهم فتح اكثر من جبهة مع القوات الإسلامية لغرض تشتيتها وضربها بسهوله ، على ان القوة الفارسية الرئيسية كانت في جلولاء وهي منطقة حصينة من الناحية الاستراتيجية وقد تنبه سعد بن ابي وقاص إلى خطورة تواجد الفرس قرب المدائن وتهديدها للقوات الإسلامية لذلك امر بالهجوم عليها قبل ان تعيد تنظيم صفوفها واشتبك معها في معركة قوية هي معركة جلولاء اندحرت فيها القوات الساسانية .

معركة نهاوند

انسحب الفرس بعد جلولاء إلى نهاوند وتقع على طرف جبال زاجروس والهضبة الايرانية وبدأو ينظمون صفوفهم ويتجمعون من اجل خوض المعركة النهائية الحاسمة التي تقرر مصيرهم مع المسلمين .

كما وان القيادة الساسانية اخذت تسحب قواتها المتناثرة على الحدود باتجاه الروم في أذربيجان وفي خوزستان والاقاليم الاخرى .

تولى قيادة الجيش الإسلامي النعمان بن مقرن ، حيث ان سعد بن ابي وقاص اشتغل بالامور الادارية بعد فتح المدائن ، وتقدمت جيوش المسلمين حتى التقت بالجيوش الفارسية في نهاوند .

وتشير مصادرنا التاريخية إلى عنف معركة نهاوند فالفرس كانوا يدافعون عن مواقع محصنة استعدوا فيها وكانوا يعلمون ان معركتهم هذه معركة مصيرية يتوقف عليها مصير دولتهم ومستقبلها . والمسلمون يدركون ان النصر في هذه المعركة سيفتح لهم الطريق نحو الهضبة الايرانية ويجعلهم يسيطرون على الطرق المؤدية إلى الاقاليم الفارسية .

كانت النتيجة انتصار المسلمين ولكنهم خسروا قائدهم النعمان وعددا كبيرا من الشهداء ، الا ان النصر كان حاسما حيث انحلت الدولة الساسانية وتشتت قواتها المسلحة وفقدت الحكومة السيطرة على الاقاليم الفارسية الواحدة تلو الاخرى .

لقد اوقف عمر بن الخطاب تقدم الجيش الإسلامي وامره الا يتعدى الحدود الجبلية وابقى المسلمون حامية قوية في حلوان شمالي شرقي خانقين . وادرك عمر بن الخطاب كذلك اهمية هذه المعركة وينسب اليه القول«وددت لو ان بيني وبين فارس سدا» ، وبعد استقرار الفتح الإسلامي للعراق بدأت جحافل جديدة من العرب المسلمين تهاجر إلى هذا الاقليم وخاصة إلى الكوفة والبصرة للاشتراك في الجهاد في بلاد فارس .

تفاقم حركات المعارضة ضد الامويين في العراق

لابد من الاشارة باديء ذي بدء إلى ان منطقة الخليج كانت منطقة مضطربة في اواخر عصر الراشدين ثم في العصر الاموي بكامله . فقد اشتعلت الحركات المناهضة للامويين في كل اقاليم الخليج العربي . ففي العراق حركات موالية للعلويين واخرى موالية للخوارج وثالثة اقليمية عراقية ورابعة زبيرية وفي البحرين حركات خارجية . وفي عمان بدأت الدعوة الاباضية بالنمو ، وفي الاحواز انتشرت حركات الخوارج وحركات قبلية اخرى .

لقد هددت هذه الاضطرابات الدولة الاموية مما جعلها تنظر إلى منطقة الخليج على انها منطقة غير مستقرة ومعادية للسلطة المركزية ودفعها إلى اتخاذ جملة اجراءات رادعة-

سنشير إليها في اماكنها على ان من جملة هذه الاجراءات جعل السلطة في المنطقة مركزية وحصرها بيد والي العراق أو والي البصرة الذي يعين ولاة أو امراء على اقاليم الخليج يكونوا تحت اشرافه وكذلك اختيار ولاة اشداء ومخلصين لا يتورعون عن استخدام اية وسيلة لتنفيذ هدف السلطة .

على ان الخلافة الاموية وهي تتصارع مع المعارضين مضت تؤدي رسالتها في ميدان الفتوحات الإسلامية ونجحت في تحقيق اعظم النتائج . وعدت منطقة الخليج ولا سيما البصرة والكوفة قاعدتين رئيستين للفتوحات في المشرق . ولا شك ان الامويين استهدفوا ضمن ما استهدفوه من ذلك تحقيق الاستقرار واشغال القبائل العربية المسلمة بالفتوحات بدل الاستماع إلى اراء الفرق المعارضة للدولة . كما قطعت الخلافة الاموية شوطا مهما في تطوير ادارة الدولة ونظمها وتعريبها .

من تراث الماضي القريب

قتل الخليفة عثمان بن عفان سنة 36هـ/ 656م ، بعد ان هاجمته جماعات من اهل مصر والعراق فكان مقتله بتلك الصورة مبعث فتن واضطرابات واجهها خليفته في الحكم علي بن ابي طالب .

ثم تطورت الحالة إلى الحركة التي قادها طلحة والزبير وعائشة ام المؤمنين ﷺ واتجه الثلاثي إلى البصرة لحشد المتذمرين والمطالبين بدم عثمان ويسير اليهم الخليفة علي بن ابي طالب ﷺ وحين فشلت المفاوضات في حسم الموقف وقعت الحرب بين الطرفين وانتصر علي بين ابي طالب في (موقعة الجمل) بعد ان كبد المتمردين خسائر وقتل طلحة والزبير اما عائشة فقد اعيدت إلى مقرها في مكة ، وهكذا شهدت منطقة الخليج أول حرب بين جيشين مسلمين!!

ويبدو أن هناك فئات في الطرفين المتحاربين كانت لهما مصلحة في نشوب القتال اما لطموحات شخصية أو لتخليص انفسهم من امور ارتكبوها ، فطلحة والزبير والعديد من اتباعهما بايعوا علياً ثم نقضوا بيعته . هذا ومن جهة اخرى فإن الصلح لم يكن من مصلحة فئة في جيش علي كانت تدرك ان الصلح سيكون على رقابهم فعليهم «إن ينقذوا انفسهم بانشاب القتال» لانهم شاركوا بطريقة أو باخرى في قتل عثمان .

ولكن الامر لم ينته فقد دعا معاوية بن ابي سفيان عليا بن ابي طالب لتسليم قتلة عثمان وكان الصدام بين الطرفين حتميا وقد وقع فعلا في (صفين) وكاد علي ان ينتصر لولا خدعة عمرو بن العاص برفع المصاحف فوق الرماح والمطالبة بالتحكيم ، فتوقفت الحرب وبدأت المفاوضات في مؤتمر اذرح الذي كانت نتيجته وبالا على الخليفة حيث رفض قسم من جنده اسناده والقتال معه وظهر العصيان عليه في الكوفة والبصرة .

لقد طلبت فئة من اتباع علي بن ابي طالب منه ان يقر بخطئة في تعامله مع معاوية وقبوله بالتحكيم وخرجوا من جيش علي وتجمعوا في حروراء حاملين السلاح فلم يجد الخليفة بدا من الإصطدام بهم في موقعة (النهروان) مما ادى إلى ازدياد المعارضة وتخاذل الناس عنه فاضطر إلى ارجاء القتال مع معاوية ولم تحسم الامور حتى اغتيل علي بن ابي طالب سنة 40 هـ/ 661م ، وبذلك مهدت الظروف لمعاوية اعتلاء السلطة .

لقد كان العراق مركز الخلافة في عهد علي بن ابي طالب ﷺ وكان أكثر الاقاليم ثروة في صدر الإسلام بدليل ان الجباية المتأتية منه كانت من أكثر الجبايات ، ثم ان تراث العراق الحضاري وكونه مركزا لامبراطوريات قديمة لها نظمها الادارية والسياسية . . . ذلك كله جعل العراق يتمتع بمركز متميز في الدولة الإسلامية .

وفي العصر الراشدي استوطنت العديد من القبائل العربية في العراق وغدا والي العراق يضطلع بسؤوليات كبيرة لكثرة الاقاليم التابعة للعراق اداريا ولكونه قاعدة عسكرية للفتوحات الشرقية والمضطلع بمهمة تأمين استقرار الخليج سياسيا وتجاريا .

وبدا ان العراق يسير نحو الاستقرار ولكن النار التي كانت تحت الرماد ما لبثت ان تأججت خاصة بعد ان قرر معاوية أن يعين ابنه يزيد خليفة من بعده فجوبه بمعارضة تمثلت في قول عبدالرحمن بن ابي بكر اليه :

«ما لخيار اردتها لأمة محمد ولكنكم تريدون ان تجعلوها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل» .

ويمكننا تقسيم حركات العراق ضد الامويين إلى الاقسام التالية:

حركة الخوارج وكانت في اصلها احتجاجا على قبول علي (رضي) للتحكيم ولما قتل علي وجهت معارضتها ضد الأمويين ونشطت في العراق (السواد) اضافة إلى اليمامة

(1) ابن الاثير الكامل ، ج6 ، ص 143 .

والبحرين والاحواز وكان خطرهم واضحا في هيمنتهم على معظم الاقاليم المحيطة بالخليج العربي وهددوا تجارة البصرة وقطعوا خطوط مواصلاتهم مع الاحواز والمشرق الإسلامي بصفة عامة وهكذا بدا الخوارج خطرا حقيقيا يهدد واردات الدولة الاموية واستقرارها .

ويعتبر فروة بن نوفل من أوائل الذين تزعموا الحركة الخارجية بالعراق في العصر الاموي واعقبه حيان بن ظبيان السلمي وحوثرة الاسدي وكلهم بالكوفة[1] .

اما البصرة فقد عين معاوية عليها زياد بن ابيه فتعقب الخوارج واضطرهم إلى النزوح عن المدينة إلى الاحواز والحجاز وقد وسع معاوية من سلطة زياد بان ولاه على البحرين وعُمان كذلك وبذلك جعل سلطة الدولة في الخليج مركزية ليضرب المتمردين ويقر الامن والاستقرار[2] .

وحين غدت العراق جزءا من دولة ابن الزبير ارسل المصعب بن الزبير والي العراق المهلب بن ابي صفرة لحرب الخوارج[3] في الشمال فانتهز ذلك الخوارج فاعاد الازارقه شتاتهم كما سيطر نجدة على ساحل الخليج وامتد نفوذه إلى اليمن والحجاز .

وبعد ان عادت العراق إلى عبدالملك بن مروان وتولى الحجاج الثقفي مهمة الحكم فيها اقر المهلب بن ابي صفرة ليستمر في حرب الخوارج وأمده بجيش من اهل البصرة والكوفة[4] واجبرهم على الانسحاب إلى الاحواز بقيادة شبيب بن يزيد الشيباني . وبهذا استطاع المهلب والحجاج اضعاف الحركة الخارجية التي هددت ربوع الخليج وكونت لها دولة شملت اقاليم الخليج مدة تزيد على عشر سنوات!!

ولابد ان نشير هنا إلى ان العصرالاموي شهد انبثاق الدعوة الخارجية الاباضية من البصرة بالعراق تلك المدينة التي كانت مركزا ثقافيا وفكريا حيويا اصطرعت فيه الاراء والمذاهب وسنتكلم عن الدعوة الاباضية وارتباطها بالبصرة فيما بعد .

اما الحركة الموالية للعلويين بالعراق فقد كانت اقوى حركات المعارضة للامويين فبعد مقتل الامام علي ومهادنة ابنه الحسن لمعاوية ظلت الشيعة العلوية بالعراق موالية لقضيتها

---

(1) الطبري ، ج6 ، ص 99 ، طبعة مصر ، نايف معروف ، الخوارج ، ص 117-121 .

(2) ابن الاثير الكامل ، ج3 ، ص 228- نايف معروف ، الخوارج ، ص 123 فما بعد .

(3) المبرد ، الكامل ، ج2 ، ص 119 .

(4) العقد الفريد ، ج3 ، ص 11 .

وارائها في الخلافة تتحين الفرصة للتحرك وقد واتتهم الفرصة الأولى بعد حوالي عشر سنوات من تسلم الامويين الخلافة حين تحرك حجر بن عدي الكندي سنة 51هـ ،سنة 671 ، وقد عبرت حركته عن سخط اتباع العلويين من «اغتصاب» الامويين للخلافة .

ثم تحرك الحسين بن علي (رضي) بعد موت معاوية سنة 61هـ ، 680 ولكن حركته فشلت حيث كان ينقصها التنظيم . ويظهر أثر فاجعة كربلاء على أهل الكوفة حين ندموا بعد فوات الاوان ، فتحرك التوابون بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي ولكن الجيش الاموي بالعراق قتل غالبيتهم في معركة عين الوردة سنة 64هـ سنة 683م[1] .

على ان الحركة الجديدة التي رفعت نفس شعار التوابين والتي تزعمها المختار الثقفي كانت تختلف عن سائر الحركات الشيعية العلوية التي قبلها[2] . فقد استند المختار على الموالي كما استغله الموالي لمصلحتهم الذاتية . ويبدو المختار رجلا طموحا يبحث عن السلطة . ويقول المختار مفسرا حركته :

«رأيت عبدالملك بن مروان قد غلب على الشام وعبدالله بن الزبير قد غلب على الحجاز ومصعب بن الزبير على البصرة ونجدة الحروري على العروض (البحرين) وعبد الله بن خازم على خراسان ولست بدون واحد منهم ولكن ما كنت لاقدر على ما اردت الا بالدعاء إلى الطلب بثأر الحسين»[3] .

وقد استاء العرب من سياسة المختار وساندوا مصعب بن الزبير الذي قضى على المختار وسيطر على الكوفة ومهما يكن من امر فإن حركة المختار كانت متنفسا للشيعة العلوية حققت بعض أهدافها بالقضاء على قتلة الحسين مثل عبيد الله بن زياد وعمر بن سعد وغيرهما .

ولم يقم الانصار العلويين قائمة بالعراق بعد حركة المختار حتى تحرك زيد بن علي زين العابدين بالكوفة سنة 121هـ/ 738م ، وانتصر والي الامويين يوسف بن عمر عليه .

لقد نشطت حركات العلويين في هذه الفترة بالعراق دون اقاليم الخليج الاخرى ورغم ان هذه الحركات لم تهدد الخلافة الاموية بالسقوط الا انها ساعدت على ضعضعتها وبث عدم الاستقرار بالعراق مما اثر على دوره عسكريا واقتصاديا .

---

(1) النجار ، الدولة الاموية ، ص77 فما بعد .

(2) فاروق عمر ، المختار الثقفي (ضمن كتاب التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين) بغداد 1985 ، هند ابو الشعر ، حركة المختار بن ابي عبيد الثقفي ، عمان ، 1983 ص 201 .

(3) الدينوري الاخبار الطوال ،ص 298 .

أما الزبيريون بزعامة عبد الله بن الزبير فقد استغلوا مقتل الحسين (رضي) وثاروا بمكة واعلن عبد الله نفسه خليفة على المسلمين . وادى موت يزيد وانقسام الامويين بعد معاوية الثاني إلى استمرار ثورة الزبيريين[1] وقد مد ابن الزبير ، نفوذه إلى العراق ، ذلك ان البصرة تمردت بقبائلها بعد موت يزيد وطردت واليها الاموي عبيدالله بن زياد وكونت لنفسها شبه جمهورية على طرف الخليج الشمالي ثم اتصلت بابن الزبير وارتبطت به فأرسل هذا بدوره اخيه المصعب واليا على العراق بعد ان وحّد البصرة والكوفة في منطقة السواد فعادت قبائل العراق تتمتع باستقلالها الذي تعتز به .

ولكن النفوذ الزبيري في العراق لم يدم اكثر من تسع سنوات (64هـ-73هـ) -692 683م ، حين اعاد عبد الملك بن مروان سيطرته على العراق بعد ان عمل على اجتذاب انصار الامويين بالعراق ومناهم بالاماني وقوى معنوياتهم ، فثارت البصرة ضد مصعب غير انه اخمد حركتها ثم التقى الجمعان في موقعة مسكن شمالي موقع بغداد وانتصر الامويون وعاد العراق إلى نفوذهم وعين الخليفة اخاه بشر واليا على العراق .

وقد شهدت الساحة العراقية حركات اخرى لم تكن موالية لفرقة من الفرق أو لحزب معين ولذلك اطلق عليها البعض جوازاً «الثورات العراقية أو الاقليمية أو القبلية» لعل اهمها حركة عبدالرحمن بن الاشعث ويزيد بن المهلب . لقد واجه الحجاج الثقفي حركة عبدالرحمن بن الاشعث الذي أيدته القبائل اليمانية والقراء وبعض الموالي . ولكن الحجاج انتصر على ابن الاشعث في معركة دير الجماجم قرب الكوفة بفضل جند الشام الذين ارسلهم عبدالملك بن مروان .

لقد حاولت السلطة الاموية جاهدة حفظ الاستقرار في العراق الذي كان يغلي بالاضطرابات واعتمدت في ذلك بالدرجة الأولى على جند الشام الذين كونوا حامية عسكرية مستقرة في واسط بين الكوفة والبصرة . غير أن الخلافة الاموية ادركت بعد وقت أن ضبط قبائل العراق والخليج عامة عن طريق جند الشام أو سياسة القوة أو عن طريق اشغالهم بفتوحات المشرق لم يكن علاجا كافيا أو جذريا لتحقيق التماسك والامن ، لذلك اتجهت الخلافة في عهد عبدالملك وواليه الحجاج الثقفي في العراق والخليج إلى اتباع اجراءات اخرى من اجل وحدة الدولة وتماسكها ولعل من جملة هذه الاجراءات هي الاهتمام بعاملين اساسيين أولهما عامل الدين وثانيها عامل التعريب فقد اهتم عبدالملك

(1) البلاذري ، انساب ، 5 ، ص 246 ، ابن سعد ، طبقات ، 51 ، ص 85 .

بن مروان بالمظاهر الدينية وبتطبيق الشريعة الإسلامية وهو الذي امر بتشكيل القرآن وهي خطوة مهمة لاقرار قراءة واحدة ومنع ما قد يحدث من التباس . كما اهتم باصلاح وبناء المساجد ومنها الأقصى بالقدس . وكانت اللغة حتى ذلك الوقت مظهرا للتفكك وعدم الانسجام ذلك لأن الدولة الإسلامية ولغتها اللغة العربية لغة القرآن ولكن الدواوين كان تكتب بلغات اجنبية متعددة حسب الاقاليم وهكذا فان تعريب الدواوين والسكة لم يكن تعصبا من عبدالملك كما يحلو للبعض تسميّه بل لأن العربية لغة الدين والقرآن وكان عبدالملك يرى الدين أساساً من أسس توحيد الدولة ، وأن العربية وسيلة تخدم الدين في تحقيق هذه الوحدة .

وقد اقترن عصر الامويين بالفتوحات العظيمة شرقا وغربا والذي يهمنا في هذا الصدد ان شمالي الخليج العربي حيث البصرة والكوفة كان القاعدة التي تنطلق منها جحافل المسلمين شرقا لتوسيع دار الإسلام ونشر العقيدة . وقد اشتركت قبائل عديدة من عُمان والبحرين واليمن اضافة إلى قبائل العراق والجند الشامي في هذه الفتوحات . وكان والي العراق في العصر الاموي وهو المسؤول عن اقاليم الخليج الاخرى ينسق عمليات الفتح والقبائل التي تشترك فيها وقد هاجرت قبائل عديدة من اهل البحرين وعمان واليمن إلى العراق للانضمام للجهاد .

العراق مركز الخلافة العباسية سنة 132هـ/ 750م

لعب العراق وبخاصة الكوفة دور حلقة الوصل بين الحميمه حيث الامام إبراهيم العباسي وبين مرو عاصمة خراسان حيث الدعاة والنقباء العباسيين[1] فحين تولى الوليد الثاني حكم الخلافة الأموية بدأت الدولة بالضعف ولم يستطع الخليفة مروان الثاني رغم قوته وحنكته السياسية وعبقريته العسكرية أن ينقذ الخلافة الاموية . فقد جاء متأخراً وواجه ثورات الخوارج وتمرد المدن السورية ومؤامرات الأمراء الأمويين الذين اعتبروا سلطته غير شرعية . كل ذلك فسح المجال للدعوات السرية بالعمل الفعال . لقد كانت المنظمة السرية الهاشمية بقيادة ابي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية من أنشط الاحزاب المعارضة السرية ، وقد أوصى أبو هاشم قبيل وفاته إلى محمد بن علي العباسي لصلة الصداقة والقرابة والتلمذة بينهما ولتقارب آرائهما ولضعف الروابط بين ابي هاشم وأقربائه من العلويين وتباعد آرائهما السياسية . وهكذا تحولت المنظمة السرية إلى عباسية صرفة .

(1) راجع فاروق عمر ، طبيعة الدعوة العباسية ، بيروت 1971 ، (الفصل الأول) .

وقد وجه الامام فعالياته إلى خراسان ولعل الدوافع التي دفعته على اختيار خراسان لكونها موطن العرب المقاتلة الذين عركتهم الحروب الطويلة مع الترك والذين عبروا مراراً عن تذمرهم من سياسة الامويين ، ولكونهم كذلك لم ينقسموا بعد إلى فرق واشياع متنافرة كل واحدة تتبع هوى معينا وتقاتل بعضها البعض كما هو الحال في العراق والجزيرة وبلاد الشام . كما وإن سياسة الكبت والقوة الاموية لم تمارس بعد في خراسان لعدم حدوث ثورة عارمة ضد الامويين كما حدث في العراق مثلا ، ولذلك فالعرب من أهل خراسان كانوا ما يزالون على تماسكهم وصلابتهم . وقد انتشر الدعاة في قرى مرو حيث استقرت القبائل العربية وفي كل مدينة كان فيها حامية عربية . لقد ادرك الدعاة بان العرب وحدهم مصدر السلطة والقوة الضاربة في خراسان . ومن أجل الانتصار على الأمويين كان يتحتم على الدعاة كسب العرب إلى الدعوة .

وليس هنا مجال التطويل في حوادث الدعوة وتطوراتها على أننا نقول بان الوضع المتدهور في خراسان بسبب التصادم بين نصر بن سيار وجديع بن علي الكرماني شيخ قبائل الأزد ساعد الدعاة العباسيين على تركيز جهودهم خلال سنة 128هـ/ سنة 129هـ لجذب الانصار ، فأستطاعوا كسب شيخ الازد وأتباعه إلى صفوف الدعوة . وهذا الكسب رجح كفة الثوار العباسيين فكانت نهاية نصر والأمويين في خراسان . أمر إبراهيم الامام بتعيين قحطبة بن شبيب الطائي قائدا عاما لأهل خراسان المتوجهين إلى العراق عبر فارس وقد وقف أهل جرجان الفرس مع الأمويين ، على ان الجيش الخراساني استطاع احتلال جرجان وقتل الكثير من الفرس الذين قاوموا الخراسانية . إن معركة جرجان دليل اخر على ان الدعوة العباسية لم تكن ثورة الفرس على الأمويين ذلك ان الفرس من أهل جرجان وقفوا إلى جانب الأمويين ضد انصار العباسيين من أهل خراسان .

وفي الوقت الذي لم تثر الدعوة العباسية الكثير من المدن الايرانية فقد هبت القبائل العربية في العراق لمساعدة الجيش العباسي الذي وصل إلى العراق بقيادة قحطبة الطائي وأهدته إلى أقصر الطرق للوصول إلى الكوفة . فقد كان من السهولة على شيوخ هذه القبائل أن يغيروا ولاءهم من الدولة الأموية المدبرة إلى الدولة العباسية المقبلة . وكان أبو سلمة سليمان بن حفص الخلال وزير ال محمد ورئيس دعاة الكوفة على استعداد لاستقبال الشيعة الخراسانية وحين سمع مروان بوصول الخراسانية إلى العراق كتب إلى عامله على العراق يزيد بن عمر بن هبيرة يأنبه على تقاعسه .

ومهما يكن من أمر فإن قحطبة الطائي لم يمهل يزيد بن هبيرة حيث تقابل الجيشان في 27 آب سنة 749م/ سنة 132هـ ، على شواطئ الفرات قرب الفلوجة وكانت المعركة

سجالا بين الطرفين انسحب في نهايتها الجيش الأموي نحو واسط . على أن قحطبة الطائي قتل في المعركة وغرق في الفرات . ومن نتائج هذه المعركة اعلان الكوفة ولاءها للجيش العباسي حيث خلع محمد القسري مروان ودعا إلى ال محمد . ثم دخل ابو سلمة الخلال المسجد محاطا بقادة أهل خراسان حميد الطائي ومقاتل العكي وخازم التميمي ، وخطب في الناس وزاد في اعطياتهم وأعلمهم بقرب وصول الإمام ، ولكنه لم يعلن عن اسم الامام أو هويته . وفي هذا الوقت عانت الدعوة العباسية من نكسة قاسية الا وهي مقتل إبراهيم الامام زعيم الدعوة الذي اوصلها بحزمه إلى تلك الدرجة من النجاح ، حيث اعتقله مروان وقتله في دمشق . وقد هرب أقرباء إبراهيم الامام وإخوته أبو العباس وأبو جعفر ويحيى إلى الكوفة ووصلوها في نهاية اب أو بداية ايلول من سنة 749م . وقد تأخرت بيعة ابي العباس في الكوفة اكثر من شهر بسبب انحراف ابي سلمة الخلال إلى العلويين ، حيث بويع لأبي العباس أول خليفة عباسي في ربيع الأول 132هـ . تشرين الأول749م .

كان أول عمل جابه الخليفة الجديد هو تنظيم المعركة ضد الخليفة الأموي مروان الذي تخندق بين دجلة والزاب الكبير . عين ابو العباس عمه عبدالله بن علي قيادة الجيش ، وكان الجيشان متقاربي العدد ولكنهما لم يكونا بنفس الانسجام والقوة المعنوية . فقد كان الجيش الاموي تعوزه القوة المعنوية وتفتته العصبية القبلية وانهكته الحروب الكثيرة ضد الخوارج والثوار . واستمرت المعركة عشرة أيام خسر مروان في نهايتها وانسحب باتجاه الموصل التي اغلقت ابوابها بوجهه فاضطر إلى التقهقر إلى الشام . وقد حاول مروان ان يستنجد بالقبائل الشامية وخاصة القيسية ولكنها لم تستجب له ، وانقسمت دمشق على نفسها بين مؤيد ومعارض فتركها يتبعه الخراسانية حتى قتل في بوصير احدى قرى صعيد مصر في تموز750م ، ذي الحجة 132هـ ، قائلا قولته المشهورة :

«انفرجت عني قيس انفراج الرأس ما تبقى منهم احد ، وذلك اننا وضعنا الامر في غير موضعه» .

اما في العراق فقد فتحت الموصل ابوابها للجيش الخراساني مستقبله اياه بالتهليل وأرسل ابو العباس اخاه أبا جعفر لحصار واسط حيث تحصن ابن هبيرة . واستطاع ابو جعفر ان يغرى القبائل اليمانية المعتصمة داخل واسط قائلا لهم «السلطان سلطانكم والدولة دولتكم» فانشقت والتحقت به ولذلك ثمن موقفها هذا قائلا :«يحق لنا ان نعرف لهم حق نصرهم لنا . . .» . مما اضطر ابن هبيرة ان يستسلم ويطلب الامان . على ان ابا جعفر قتله

بعد ان اعطاه الامان لاسباب سياسية . اما في البصرة فقد اعتصم مسلم بن قتيبة الباهلي ولم يسلم الامارة للوالي العباسي سفيان المهلبي ولكن اعتصامه هذا لم يدم طويلا حيث ترك البصرة إلى الحجاز لما علم بمقتل ابن هبيرة . وبهذا استطاع انصار العباسيين ان يقضوا على فلول الامويين في العراق .

الدولة الجديدة ومحاولات الاستقرار

يعد الخليفة ابو جعفر المنصور باني الدولة الجديدة ومؤسسها يقول عنه ابن طباطبا :«إن المنصور هو الذي أصّل الدولة وضبط المملكة ورتب القواعد واقام الناموس واخترع اشياء . . .» ويقول عنه يزيد بن هبيرة «ما رأيت رجلا في حرب أو سلم أمكر وانكر ولا اشد تيقظا من المنصور . . .» ويمكننا ان نصنف الاخطار التي واجهت الدولة على عهد المنصور ووقفت في طريق استقرارها إلى :

ابو مسلم الخراساني وأعوانه

لقد اصاب صاحب كتاب الفخري كبد الحقيقة حين صور العلاقة بين الخليفة وابي مسلم فقال :«وكأن المخترع للدولة (أي أبي مسلم) يكون عنده من الدالة والتبسط ما تأنف منه نفوس الملوك (أي المنصور) فكلما زاد تبسطه زادت الانفه عندهم حتى يوقعوا فيه» . فقد اصبح ابو مسلم اقوى شخصية سياسية في خراسان وكان تعيين الخليفة له واليا على خراسان بمثابة اعتراف بأمر واقع فعلا . واستطاع ابو مسلم خلال فترة قصيرة ان يتخلص من منافسيه ، فقتل شيبان بن سلمة الحروري وعلي بن جديع الكرماني شيخ الازد . وفي الوقت الذي زار فيه ابو جعفر خراسان حين كان لا يزال اميرا ، قتل ابو مسلم نقيب النقباء سليمان بن كثير الخزاعي دون أخذ موافقة ابي جعفر . كما أنه تخلص من ثوار عديدين اخرين ، وهكذا توطدت سلطته في خراسان بعد القضاء على الطامحين في نيل ولاية خراسان . ولقد كان رأي ابي جعفر في أبي مسلم يتمثل في قوله لاخيه الخليفة «لست خليفة ولا أمرك بشيء ان تركت ابا مسلم ولم تقتله» .

لقد اقترح ابو جعفر على اخيه الخليفة عدة مرات المبادرة بقتل ابي مسلم ، إلا أن الخليفة يعدل عن الخطة في اللحظة الاخيرة وكان اخرها حين زار أبو مسلم ، البلاط العباسي في العراق سنة 136هـ 754م . ودخل ابو مسلم العراق في 1000 مقاتل ومعه الأموال والخزائن الكثيرة وطلب امارة الحج ولكن الخليفة اعتذر له بحجة انه كان قد عين

اخاه ابا جعفر اميرا للحج . وفي طريق الذهاب والعودة زادت شقة الخلاف بين ابي جعفر وابي مسلم خاصة بعد وصول نبأ وفاة الخليفة أبي العباس حيث تأخر أبو مسلم عن البيعة لأبي جعفر . كما تؤكد روايات اخرى انه حرض عيسى بن موسى على الثورة ضد أبي جعفر ووعد بمساعدته . لكن المنصور امهل أبا مسلم ولم يهمله حتى تم القضاء على ثورة عبدالله بن علي في الشام ، ثم دعاه فقبل الدعوة بعد تردد طويل . وكان اللقاء في المدائن حيث قتله عثمان بن نهيك اثناء اجتماع الخليفة به . ولم يكن قتل أبي مسلم سوى نزاع على السلطة والنفوذ ، فخليفة مثل المنصور لا يمكن ان يحتمل واليا ذا نفوذ واسع مثل أبي مسلم .

حركة عبدالله بن علي العباسي

تمرد عبدالله بن علي والي الشام ضد المنصور مدعيا أنه أحق بالخلافة وأن أبا العباس كان قد وعده بالخلافة من بعده . فارسل المنصور ابا مسلم مع عدد من قواد العرب من أهل خراسان لحرب عبدالله . والواقع إن إرسال أبي مسلم إلى الشام كان كسباً للخليفة ذلك لأنه استطاع ان يثنيه عن السفر إلى خراسان مقر ولايته ومصدر قوته . ثم أن ايهما ربح المعركة أبي مسلم أم عبدالله فهو كسب للخليفة لأنه تخلص من أحد أعدائه . وكانت نتيجة المعركة انتصار الجيش العباسي على عبدالله الذي كان عليه ان يدرك عدم جدوى الاعتماد على أهل الشام في نزاعه مع الخليفة ، ذلك لأن أهل الشام لا يمكن ان يخلصوا لشخص عباسي مثله . وقد هرب عبدالله واختفى عند اخيه سليمان بن علي حتى اعطاه الخليفة الأمان الذي كتبه له عبدالله بن المقفع وحين جاء عبدالله إلى البلاط سجنه المنصور ثم مات في ظروف غامضة سنة 147هـ/765م .

حركات المعارضة

انشق الجناح الراوندي عن الدعوة العباسية بعد تأسيس الدولة التي اعلنت الإسلام عقيدة لها . وثار الراونديه في اطراف متعددة من خراسان فالهوا المنصور وألهوا أبا مسلم . ورغم ان الراوندية انقسمت إلى فرق صغيرة الا أن غالبيتها اعتقدت بأن الامام اله أو نبي وإن أرواح الائمة تتناسخ من واحد لآخر . ولم يكن المنصور شديدا على الراوندية انصار الدعوة بالأمس فسمح لبعضهم بالمجيء إلى الهاشمية في العراق . ولكنهم فاجأوه بثورة عارمة كسروا فيها ابواب السجن فقتلهم بعد ان كادوا ان يجهزوا عليه لولا تواجد معن بن زائدة الشيباني في تلك اللحظة .

اما بالنسبة للعلويين فالظاهر ان الفكرة الشائعة بين الناس في تلك الفترة المبكرة ان خليفة رسول الله ﷺ لا يتحتم ان يكون بالضرورة فردا معينا بذاته او فرعا هاشميا بعينه ، بل كان من حق كل هاشمي علوياً او عباسياً او من ابناء جعفر بن ابي طالب ان يعمل باسم أهل البيت ويطالب بالخلافة . ولذلك انقسمت شيعة الهاشميين إلى كتل إلتفّ بعضهم حول محمد بن الحنفية ثم نقلوا ولاءهم الى ابنه ابي هاشم ثم الى محمد بن علي العباسي ، ومنهم اتبع عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر الطيار الطالبي ومنهم من ناصر زيد بن علي (زين العابدين) ودعوا الى قتال الامويين ومنهم من شايع الامام جعفر الصادق المعروف بمسالمته وعدم تحبيذه للثورة ، الا ان العباسيين حين تسلموا السلطة نظروا الى العلويين نظرة شك واعتبروهم مصدر خطر على الدولة الجديدة . اما العلويون فنظروا الى العباسيين كمغتصبين للسلطة وهكذا اصبح النزاع بين الهاشميين أنفسهم .

ولم يكن العلويون متفقين على زعامة واحدة تنظم كفاحهم . ثم أن كثرة الزعامات العلوية يعني بالتالي ان ولاء الشيعة العلوية في تلك الفترة لم يكن باتجاه واحد واضح متبلور . بل ان احداث القرنين الأول والثاني للهجرة تشير بان هؤلاء الاتباع كانوا يغيرون ولاءهم من فرع لآخر بكل سهولة وحسب الظروف . وقد برز من بين العلويين في هذه الفترة عبدالله المحض وولديه محمد النفس الزكية وابراهيم ، وقد اشاع عبدالله المحض ان ابنه محمد هو (المهدي المنتظر) وكان هذا الادعاء خطوة مهمة في تصاعد الثورة العلوية لانها جذبت إلى محمد اعدادا متزايدة من الاتباع من بينهم المتطرفين اتباع المغيرة البجلي وبيان النهدي . وكذلك انضم اليه المتذمرون والضعفاء الذين ربما لم يكن لديهم اي ولاء للعلويين أو تفهم للقضية العلوية ولكنهم أملوا بأن المهدي الجديد سينقذهم من الظلم ويوفر لهم حياة افضل .

ساد عهد الخليفة ابي العباس حالة من الموادعة بين العباسيين والعلويين ولكن هذه الحالة لم تدم طويلا لان هذه السياسة لا توافق المنصور الذي ركز جهوده على الحركة العلوية لادراكه بان هذه الحركة اصبحت رمزا للمعارضة ضد العباسيين .

لقد نجح الخليفة بما اتخذه من اجراءات ان يجبر محمد النفس الزكية على الظهور واعلان الثورة في رجب 145هـ/ ايلول 762م ، في المدينة وتعتبر ثورة المدينة هذه وثورة ابراهيم في البصرة ذروة الكفاح العلوي ضد العباسيين ولعل أطرف ما في هذا النزاع الرسائل المتبادلة بين المنصور ومحمد النفس الزكية التي عكست آراء زعميين متنافسين

حول مشكلة الخلافة واظهرت بوضوح ادعاءات كليهما . وكانت ذات اهمية دعائية لكلا الطرفين . كما وان هذه الرسائل ابرزت ما يتصف به محمد من صفات الفروسية والبعد عن دهاء السياسة وانفعاليته الملتهبة التي تعكسها خطبة في اتباعه كل ذلك كان له الاثر الفعال في فشل الثورة . اما الخليفة فقد كان يتكلم بلغة الواقعي الواثق من نفسه ، كما وان نبرته كانت اكثر دقة واتزانا واستعمل اسلوبا تهكميا حتى لكأنه ظهر مستهويا هذه الفرصة التي سنحت له ليجادل بها العلويين في الحسب والنسب والأولوية بالأمر والوفاء بالعهد .

استطاع عيسى بن موسى ولي عهد المنصور ان ينتصر على محمد النفس الزكية الذي قتل في المعركة ، ثم تحرك الى البصرة لمواجهة ابراهيم بن عبدالله المحض الذي اعلن ثورته هناك ، وتعتبر البصرة محلا مناسبا للاعداد للثورة فهي ذات مركز اقتصادي جيد ثم ان مركزها الاستراتيجي مناسب اما سياسيا فقد وصفت بانها عثمانية وهذا لا يعني بالضرورة انها ميالة للامويين ولا انها ضد العلويين . والمعروف ان البصرة في تلك الفترة كانت قاعدة عسكرية مما جعلها تضم عناصر بدوية من المقاتلة العرب وعناصر من اجناس متنوعة اخرى ، وقد زاد هذا التمازج من فعاليتها الفكرية والدينية . والواقع ان البصرة كانت منذ العصر الاموي تختلف عن الكوفة ففي الوقت الذي تتركز الشيعة العلوية في الكوفة كانت البصرة ذات السلوك السياسي الاكثر تلونا تناهض ذلك بتحريض من بني تميم كل سلطة مركزية وهذا ربما يفسر كون البصرة ملجأ لاعداء النظام القائم . وعلى هذا فيمكننا القول بان مؤازرة البصرة لإبراهيم لم يكن بسبب تشيع اهل البصرة للعلويين بل بسبب معارضتها للعباسيين .

ثار ابرهيم في رمضان 145هـ/ تشرين 762م . اي بعد حوالي شهرين من ثورة اخيه محمد وساعدته قبائل عبدالقيس والازد وافخاذ من قبائل مختلفة اخرى دفعتها المصلحة الشخصية أو الظروف السياسية . كما وان إبراهيم استمد عضدا كبيرا من الطبقات الفقيرة والمستضعفة في البصرة وقرى السواد . إن «الضعفاء» من عرب وغير عرب كانوا يعانون من الفاقة اقتصاديا ولذلك كانوا يندفعون في تأييد اية حركة ضد السلطان القائم فقد سكن البصرة عدا الارستقراطية العربية المتنفذة والغنية عناصر مختلفة مثل الاساورة والبخارية ثم النبط وهم من سكان العراق القدماء من الاراميين ثم الزط من الهنود والزنج وهم رقيق الارض ثم السيابجة وهم من جنوبي شرق اسيا وخاصة سومطرة وقد دخل الكثيرمن ابناء هذه الاجناس الإسلام واصبحوا موالي لقبائل مختلفة ، كما ايد الحركة بصورة مباشرة وغير مباشرة الكثير من الفقهاء والمحدثين المعتزلة والزيدية .

تعد حركة ابراهيم اخطر حركات جابهت الخليفة ابا جعفر حيث سيطر ابراهيم على البصرة ومد نفوذه إلى الاقاليم المجاورة كالاحواز وفارس وكرمان وكسكر وواسط . وفي الكوفة كان له اتباع من اسد وعجل يبثون الدعاية له ويحضرون على الثورة باسمه . ومهما يكن من أمر فإن تردد ابراهيم في الانقضاض على الكوفة حيث الخليفة ، اعطى الفرصة لهذا الاخير ليجمع قواته ويعمل بسرعة ، وفي باخمرى تقابل عيسى بن موسى وابراهيم واندحر ابراهيم في نهاية المعركة وقتل بسهم طائش في 25 ذي القعدة سنة 145هـ ، 765م . وعرض رأسه في الكوفة .

إن الاجراءات المرنة التي اتبعها والي البصرة العباسي تجاه البصريين المشتركين في حركة ابراهيم تدل دلالة واضحة على اقتناع الخليفة بانهم ليسوا موالين للعلويين . وبعد ان قضى الخليفة على الحركات العلوية الخطرة اتخذ لقب (المنصور) حيث ثبت سلطة بني العباس واعتبر بحق مؤسس الدولة العباسية .

لقد كان هدف المنصور من بناء بغداد سنة 145هـ/ 762م ، جعله مركزا عسكريا واداريا ولكن الاستقرار النسبي والرفاه الاقتصادي وما نتج عنه من ترف مادي على عهدي المهدي والرشيد ادى إلى تغيرات مهمة وقد حل محل طبقة المحاربين طبقة متنفذه جديدة من اصحاب الأراضي والموظفين والتجار والكتاب ، كما اوجد الرفاه الاقتصادي طبقة من المثقفين الذي يمتلكون الوقت والذوق وحبا لاستطلاع والرغبة في التتبع فكانت الحركة العلمية التي ابتدأت بالترجمة وكان كذلك جماعات الشكاك والمجان والزنادقة والشعوبيين .

لقد جاء المهدي بعد المنصور فتنفس الناس الصعداء بعد قوة المنصور وحزمه وشدته وقد «افتتح عهده بالنظر في المظالم والكف عن القتل وأمن الخائف وانصف المظلوم وبسط يده في العطاء» ، الا انه لم يكن يمتاز بكفاءة الاداري ولا بدهاء السياسي ولم تهدأ الحركات المعارضة في عهده وعهد ابنيه الهادي والرشيد .

الحرب الاهلية 195-198 هـ/ 812-814م.

إن القرار السياسي الذي اتخذه الرشيد بتقسيمه الدولة بين ابنائه الثلاثة ينم عن قصرنظر في السياسة ، ولعل هذا الموقف يجعله مسؤولا بصورة غير مباشرة عن الحرب الأهلية بين الأمين والمأمون . لقد علق احدهم على قرار الرشيد حول ولاية العهد بقوله «لقد القى بأسهم بينهم وعاقبة ما صنع في ذلك مخوفة على الرعيه» . وقد لعب الرجال الذين كانوا

مع الأمين والمأمون دوراً في تعميق الخلاف لمصالح شخصية وسياسية . فكان حول الأمين الفضل بين الربيع وعلي بن عيسى بن ماهان والسندي بن شاهك وبكر بن المعتر . وكان حول المأمون الفضل بين سهل والحسن بن سهل وطاهر بن الحسين . وكان دور الفضل بن سهل كبيرا في اعطاء الثقة للمأمون بعدم الاستسلام لمطالب الأمين بالتنازل عن بعض الاقاليم الواقعة تحت نفوذه أولا ثم بالتنازل عن ولاية العهد ثانياً . وقد تبودلت الرسائل بينهما دون جدوى فكانت الحرب بين سنة 195هـ . 812م -198هـ/814م . وكانت قوة الأمين تتركز في العراق والشام ، اما قوة المأمون فانحصرت في خراسان وبعض الاقاليم الايرانية . وقد حاول بعض المؤرخين ان يفسروا الحرب تفسيرا عنصريا أي أنها نزاعاً بين الفرس والعرب ، انتهى بانتصار الفرس واختلال التوازن مرة ثانية بين العنصرين ، معتمدين على أقوال الفضل بن سهل مثل قوله للمأمون «أنت بين اخوا لك وشيقتك» الا أن المتمعن في الحرب يرى بانها استمرار للكفاح الاجتماعي الذي ميز الفترة السابقة وازداد تعقيدا بدخول نزاعات اقليمية (عراقية - شامية- خراسانية) وليست عنصرية وقد حاول الأمين ان يعتمد على أهل الشام كذلك الا انه فشل في مسعاه وكان عليه ان يستفيد من تجربة عبدالله بن علي العباسي التي سبقته ، فقد تخوف أهل الشام وادركوا انهم اوقعوا انفسهم في ورطة ليس لهم فيها مصلحة فقال احدهم يخطب في اخوانه :«انكم بعدتم عن بلادكم وخرجتم عن اقاليمكم ترجون الكثرة بعد القلة والعز بعد المذلة . . . النفير النفير قبل ان ينقطع السبيل» .

وبعد مقتل الأمين بويع للمأمون بالخلافة سنة 198هـ/ 814م . وقد حاول المأمون ان يستقر في مرو عاصمة خراسان معتمداً على العون والمساندة من الاقاليم الشرقية ولكنه واجه تحديا عنيفا من العراق المركز التقليدي للخلافة وخاصة من أهل بغداد .

فقد ظل المأمون في مرو حوالي خمس سنوات ، وكان الفضل بن سهل يحسن له البقاء في مرو متظاهراً بعدم الاستقرار في العراق ، ولعله كان يرمي من وراء ذلك نقل مركز الدولة إلى مرو ولا شك فإن الفضل هذا كان فارسيا مجوسيا لم يدخل الإسلام الا قبل وقت قصير ولذلك كان يحبذ التقاليد والثقافة الفارسية ويحاول ادخالها في مراسيم الدولة والبلاط العباسي . وتشير بعض المصادر إلى انه كان يحمل على كرسي مجنح حين يذهب لمقابلة الخليفة ويقول الجهشياري «وانما ذهب ذو الرياستين في ذلك مذهب الأكاسرة» . كما وان الفضل بن سهل عين اخاه الحسن بن سهل والياً على العراق مكان طاهر بن الحسين ليكون بالأمكان احكام السيطرة على الوضع في العراق والاطمئنان إلى عدم وصول اخباره

إلى اذن الخليفة . واستطاع الفضل بن سهل كذلك ان يفرق بين المأمون وقائده هرثمة بن اعين الذي اصر على مقابلته ليعرفه اسباب الاضطرابات في العراق والجزيرة ويطلب اليه الرجوع إلى بغداد . وحين قابل هرثمة الخليفة عاتبه قائلا :«قدمت هذا المجوسي (يقصد الفضل) على اوليائك وانصارك» . ولكن الخليفة امر بسجنه ثم دس اليه الفضل بن سهل من قتله .

إن بقاء المأمون في مرو أثار الكثير من الامتعاظ بين العرب فعدا هرثمة بن اعين ونصر بن شبث ، الذي سنأتي على ذكره ، بعد قليل ، اظهر نعيم بن خازم بن خزيمة التميمي وعبدالله بن مالك الخزاعي ويحيى بن عامر معارضتهم لسياسته الخراسانية . ويظهر أن المأمون فقد الثقة بالقبائل العربية وامكانية الاستناد عليها حيث اجاب على سؤال لماذا لا ينظر إلى عرب الشام كنظرته إلى عجم أهل خراسان فقال :

«والله ما أنزلت قيسا عن ظهور الخيل الا وأنا أرى انه لم يبق في بيت مالي درهم واحد واما اليمن فوالله ما أحببتها ولا أحبتني قط ، واما قضاعة فسادتها تنتظر السفياني وخروجه فتكون من اشياعه ، واما ربيعة فساخطة على الله منذ بعث نبيه من مضر ولم يخرج اثنان الا خرج احدهما شاريا . . .» .

اما أهل بغداد فقد عارضوا سياسته هذه وتحدوه حين دعوا صالحاً بن المنصور ليبايعوه بالخلافة ولكنه رفض فبايعوا ابراهيم بن المهدي مما دعى المأمون بعد اطلاعه على ما يجري في العراق إلى العودة إلى بغداد سنة 204هـ-819م . والتخلص اثناء سفرته من مرو إلى بغداد التي استغرقت حوالي سنتين من علي الرضا والفضل بن سهل .

تعد حركة نصر بن شبث العقيلي في الجزيرة من ردود الفعل القبلية الاقليمية تجاه سياسة المأمون الخراسانية . فقد كانت ثورته ذات نزعة بدوية تعكس تذمر القبائل السورية والجزرية على مقتل الأمين وانتقال السلطة إلى اقصى الشرق (خراسان) ولم تكن هذه الثورة مرتبطة بحزب أو عقيدة معينة فقد اشير اليه ان يبايع لغير العباسيين :

«أيها الأمير قد دثرت بني العباس وقتلت رجالهم . . فلو بايعت خليفة كان اقوى لما أنت فيه . قال من أي الناس؟ قال ترسل الي بعض آل علي بن ابي طالب عليه السلام فتبايعه قال : اولي بني السوداوات ان كان يقول من وليته منهم ، انه خلقني وانه يرزقني قال : فبعض بني امية فقال هؤلاء المدبرين؟ إن المدبر لا يقبل ابداً» .

ولذلك فالبرغم من ولاء نصر بن شبث العقيلي للعباسيين فانه اعتبر مقتل الأمين وبقاء المأمون في مرو وتقريبه للفضل بن سهل تفضيل للعجم على العرب ولا شك فان نصر هذا يبالغ في وجهة نظره .

اما البيعة لعلي بن موسى (الرضا) فقد اختلف المؤرخون في دوافعها والظاهر ان المأمون كان يميل إلى توثيق علاقته بالعلويين يظهر ذلك من اجراءاته واقواله ولكن هذا الميل لم يصل درجة تحويل الخلافة من العباسيين إلى العلويين فالمأمون حصل على الخلافة بعد كفاح ولا يمكن ان يعطيها هدية سائغة للعلويين أولا ثم ان المأمون كان معتزليا ولا يصح ان يؤيد الشيعة حول مسألة الخلافة .

ولذلك فإنني ارى بأن حركة المأمون ببيعته للرضا كانت مناورة لكشف بعض الشخصيات العلوية واظهار عزوفها عن الخوض في غمار السياسة .

ومهما يكن من امر فقد اتهم الفضل بن سهل بتحسينه امر البيعة للعلويين حتى ان نعيم بن خازم التميمي وهو من زعماء العرب الخراسانية قال للفضل :«انك انما تريد ان تزيل الملك عن بني العباس إلى ولد علي ثم تحتال عليهم فتصير الملك كسرويا ولولا انك اردت ذلك لما عدلت عن لبسة علي وولده وهي البياض إلى الخضرة وهي لباس كسرى والمجوس» .

وفي عهد المأمون ثار الزط كذلك وهم من الهنود الذين عاثوا فسادا في جنوبي العراق على سواحل الخليج وقطعوا الطرق وسلبوا القرى وهددوا الأمن والاستقرار خاصة وان عددهم بلغ بضعة عشر الفا واستمرت حركتهم حتى عهد المعتصم حيث قضي عليها .

اما بالنسبة لسياسة المأمون الاعتزالية فالمعروف ان السنوات الأولى من الخلافة العباسية شهدت تناقضات واضحة في السياسة المذهبية رغم اعلان الخلفاء «السير على كتاب الله وسنة نبيه» .

فبعد تجارب عديدة مع آراء مذهبية مختلفة قرر العباسيون تبني عقيدة أهل الحديث المعروفين فيما بعدبأهل السنة والجماعة ولكن الخليفة المأمون قرر اتخاذ الاعتزال مذهبا رسميا للدولة ولكن المعتزلة الذين نادوا بحرية الرأي والارادة وافضلية العقل تعسفوا حين وصلوا إلى كرسي الحكم واضطهدوا مخالفيهم في الرأي فكانت «المحنة» التي قاسى منها أحمد بن حنبل واتباعه الأمرين وكانت لها ردود فعل مشابهة على عهد المتوكل فيما بعد .

نهاية القوة وبدايات الضعف

لقد ادت اجراءات المهدي حول ولاية العهد ثم اخطاء الرشيد وما وقع في اعقابها من حرب أهلية إلى ازدياد نفوذ القادة العسكريين والمتنفذين في البلاط في أمر البيعة وولاية العهد . وقد امتنع بعض القادة عن البيعة للمعتصم وحاولوا البيعة للعباس بن المأمون ولكن المعتصم بطبيعته العسكرية المجبولة على الشجاعة بادر إلى السيطرة على زمام الأمور مستندا على الموالين له وعلى شرعية خلافته بعد اخيه المأمون .

إن أهم ظاهرة في عـهـد المعـتـصـم (218هـ - 833م ، 227هـ - 842م) هي كـثـرة استخدام «الأتراك» وتزايد عددهم في الجيش والبلاط ، رغم ان الأتراك وجدوا في البلاط قبل عهد المعتصم بكثير حيث نجدهم منذ زمن الخليفة المنصور بل يذهب بعض المستشرقين إلى أكثر من ذلك فيدعون بأن الأتراك في بلاد ماوراء النهر وتركستان ساعدوا العباسيين في القضاء على الأمويين وتأسيس الدولة الجديدة ولاشك إن هذه النظرة الاخيرة مبالغ بها ومهما يكن من امر فحين جاء المعتصم رأى السبيل ممهداً امامه وبصفته رجل عسكري فقد كان «اعرف الناس بهم حين جمعهم واصطنعهم» على حد قول الجاحظ الذي يصف هؤلاء الأتراك بأنهم «بدو العجم» فأصبح الأتراك رجال العباسيين وجندهم لفضائلهم على سائر الجيوش . والظاهر ان نفوذ الاتراك بدأ بالقوة في عهد المعتصم نفسه . ويظهر ذلك من رواية الطبري التي يشكو فيها المعتصم من عدم اخلاص الترك وتناقص ولائهم فيقول له احد صحابته « . . . استعمل أمير المؤمنين فروعا لم تنجب إذ لا اصول لها» ومع ذلك فان النتائج السيئة لاستخدام الترك لم تظهر على عهد المعتصم .

ولكن اصطناع الخليفة للاتراك ادى إلى سخط أهل بغداد وجند بغداد عليه . فقد ضاقت المدينة بمن جاء اليها من الاتراك البدو والجفاة الذين لم يعرفوا ان يتصرفوا تجاه البغداديين ، كما شعر الجند من الفرق الاخرى وخاصة الحربية (وهم من أهل خراسان) بالحسد تجاه الاتراك المقربين إلى الخليفة والمتمتعين بامتيازات كثيرة . إن خوف المعتصم من الفتنة وعدم اطمئنانه إلى ولاء العرب والفرس من الجند القدماء جعله يقرر البحث عن موضع جديد ليؤسس فيه معسكراً ينتقل اليه .

وبعد بحث تعرف على موضع دير على دجلة شمالي بغداد فبنى مدينة (سر من رأى) هناك سنة 220هـ- 835م ، ولم يؤكد كما فعل المنصور على التحصينات والأسوار بل اكد على المظاهر الحضارية وهذه دون شك دلالة على الاستقرار بما في ذلك من اهتمام بالتجارة

والزراعة حتى ان المعتصم نفسه اهتم بأمر الزراعة في سامراء وشجع رجال الدولة على شق الترع والمساهمة في الحملة الزراعية .

اما ردود الفعل الفارسية تجاه سياسة المعتصم فكانت حركة التمرد التي قادها بابك الخرمي والمازيار والافشين . وتتصف هذه الحركات كلها بصفة واحدة لدى المؤرخين المسلمين وهي انها خرمية تعتقد بالحلول والتناسخ والرجعة والاباحة المزدكية أي اباحة النساء على الرضا منهن وابطال الدين الإسلامي وسلطانه السياسي .

والظاهر أن أغلبية اتباع بابك من الفلاحين المتذمرين من ارباب الضياع واصحاب الأموال وقد بدأت في اذربيجان ثم انتشرت في اقاليم ايران الشمالية مثل طبرستان وجرجان وأرمينية . ونجح بابك كذلك في كسب امراء طبرستان واذربيجان وانضم اليه امراء بعض القبائل الكردية .

كما وان بابك اتصل بالبيزنطيين وامدوه بالمساعدة ضد اعدائهم العباسيين وقد استمرت حركة بابك اكثر من عشرين سنة (201هـ- 222هـ) حتى اسر وصلب في سامراء وتخلص المعتصم من انصار بابك الخرمي حيث تمكن من القبض على المازيار وصلبه سنة 224هـ ، كما سجن الافشين ومنع عنه الطعام حتى مات سنة 226هـ .

فترة من الهدوء النسبي

توفي المعتصم سنة 227هـ- 841م ، فخلفه ولي عهده الواثق الذي تميزت فترته بازدياد نفوذ القادة العسكريين الاتراك مثل اشناس الذي لقب (بالسلطان) ووصيف وايتاخ وبغا الكبير .

كما بقي المعتزلة أصحاب النفوذ والسلطان وخاصة أحمد بن ابي دؤاد الذي كان احد اثنين لايصدر الخليفة «الا على رأيهما ولا يعاب عليهما رأيهما فيما رأيا وقلدهما الامر ففوض اليهما ملكه» أما الثاني فهو الوزير محمد بن عبدالملك الزيات .

وقد حذا الواثق حذو ابيه وعمه في سياسة الاعتزال وتشدد في القول بخلق القرآن وقد ادى ذلك إلى تمرد جماعة من أهل بغداد ضده سنة 231هـ يعرفون بأهل الحديث بزعامة أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي ولكن السلطة استطاعت ان تجهض الحركة ، والقى القبض على زعيمها الذي اتهم بنشر آراء مخالفة لعقيدة الدولة وحوكم محكامة رسمية

حضرها قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد ، وحكم عليه بالموت حيث قتله الخليفة وصلبه في بغداد . ولكن سياسة اسكات المخالفين في الرأي والعقيدة كانت ذات مردودات سلبية ذلك انها اذكت المعارضة وشدت من عزم القوى المضادة فكان من السهل على المتوكل ان ينهي سلطة المعتزلة السياسية فيما بعد .

لم يكن جعفر المتوكل من المقربين إلى الواثق في عهده بل ان الذي يستعرض سيرته على عهد الواثق لابد وان يتذكر حياة الرشيد في عهد الهادي فقد كان الواثق يسيء معاملة اخيه المتوكل ويود ان يعين ابنه خليفة من بعده رغم انه كما ذكرناه سابقا لم يقم بهذا العمل فعلا .

ولم يكن حصول المتوكل على الخلافة وليد خطة مدبرة بل نتيجة الظروف الحسنة التي اعقبت موت الواثق الذي لم يعهد لاحد من بعده فقد اضطرب قادة الجيش وعقدوا اجتماعا لاختيار الخليفة الجديد وقد اقترح ابن الزيات ان يكون محمد بن الواثق خليفة ولكن وصيف رفض الاقتراح باعتبار ان محمدا صغيراً ولا تجوز الصلاة وراءه . ثم نظر المجتمعون في اسماء مقترحة اخرى حتى تقرر تعيين المتوكل حيث لعب القادة العسكريين وعلى رأسهم وصيف وايتاخ دورا بارزا في ذلك وأيدهم أحمد بن ابي دؤاد بإسراعه بمبايعة المتوكل الأمر الذي جعل ابن الزيات يعترف بالأمر الواقع .

إن أهمية مجيء المتوكل للخلافة تكمن في ان القادة العسكريين استطاعوا ربما لأول مرة في التاريخ العباسي ان يجعلوا كلمتهم هي النافذة في أمر سياسي الا وهو اختيار الخليفة .

وعلى ذلك فقد جاء المتوكل إلى الحكم (232- 247هـ) بترشيح ومساندة القادة الاتراك في الجيش ، وكنتيجة للمنافسة الحادة بين القادة الترك وبين (البيروقراطية) المدنية التي يرأسها الوزير ابن الزيات وقد سقط ابن الزيات بعد حوالي الشهر من تسلم الخليفة الجديد الحكم وبدأت فترة الاضطراب السياسي ، ادرك الخليفة المتوكل خلالها خطر تدخل الاتراك في السياسة وحاول ان ينهج نهجا جديدا ويربط نفسه بتكتلات جديدة لينقذ نفسه والخلافة من الازمة .

ولسياسة الخليفة المتوكل أوجه مختلفة على ان اهم المظاهر الدينية- السياسية ميزت عهده هي الازمة السياسية المستمرة التي انتهت بقتله ثم موقفه المعادي للمعتزلة والمؤيد لأهل السنة والجماعة الذي يعتبر منعطفا جديدا خالف به سياسة اسلافه منذ عهد المأمون ثم عداؤه للعلويين وتشدده تجاه أهل الذمة .

تعتبر الازمة بين الخليفة والقادة العسكريين سببا رئيسيا في اغتيال المتوكل . لقد بدأت الازمة بسقوط ايتاخ وظهور البيروقراطية المدينة على الصعيد السياسي تحت زعامة الوزير عبدالله بن يحيى والفتح بن خاقان . ثم تطورت الاحداث التي صعدت الازمة حتى انفجرت حين بدأ المتوكل يتخذ اجراءات متتالية لاستئصال الترك واستبعادهم فصادر ضياع وصيف . وانتهز القادة الاتراك الفجوة الكبيرة بين الخليفة وابنه المنتصر فتحالفوا مع المنتصر ووضعوا نهاية مؤلمة للخليفة .

العباسيون الأوائل والخليج

إن اهمية الخليج والسواحل المحيطة به زادت بعد انتقال مركز الخلافة في العصر العباسي من الشام إلى العراق . والواقع إن هذا الانتقال لم يكن عفويا أو اعتباطياً ذلك لأن كل البوادر كانت تشير إلى انتقال الاهمية التجارية من البحر الابيض المتوسط إلى الخليج العربي والطرق البحرية والبرية الواصلة اليه والمتفرعة منه .

هذا من جهة ومن جهة اخرى فإن العصر شهد ازدهاراً زراعيا في بلاد السواد والاقاليم الشرقية في الوقت الذي اضمحلت الاقاليم الغربية زراعيا . إن هذه الظاهرة كانت هي الأخرى دافعاً للعباسيين إلى الاهتمام بالخليج العربي لتأمين طرق التجارة الدولية وضمان سيطرة الدولة القوية ببسط نفوذها على مناطق الخليج ، وضربت الخلافة بيد قوية الاضطرابات السياسية التي وقعت في السواد ،كما اشرنا إلى ذلك من قبل حين حللنا الوضع السياسي للخلافة العباسية . ولابد ان نعيد إلى الاذهان هنا بأن اخطر حركتين واجهتهما الخلافة العباسية في هذه الفترة المبكرة هما حركتا ابراهيم بن عبدالله الحسني بالبصرة وحركة الزنج في البصرة وما حولها على عهد المنصور .

اما ابراهيم الحسني فقد اشرنا إلى انه استولى على البصرة في رمضان 145هـ ورفع البياض شعاراً له وايده العديد من فقهاء البصرة وعلمائها وبعض المعتزلة والزيدية وامتد نفوذه إلى واسط ثم الأحواز ورغم كثرة اتباعه فان ابراهيم الحسني لم ينجح في قيادتهم واستطاع حميد بن قحطبة الطائي وعيسى بن موسى العباسي أن يقتلاه في معركة حامية في موقع باخمرا في السنة نفسها .

اما الزط وهم عناصر هندية هاجرت الى مناطق الخليج واستقرت فيها فقد اثاروا في اواخر عهد المعتصم سنة 219هـ/ سنة 835م ، ثورة عارمة في منطقة كسكر في منطقة البطيحة قرب واسط حتى أن أحد أنهر المنطقة سمي نهر الزط نسبة اليهم . إن ثورتهم هذه لم تقتصر على البطيحة بل امتدت إلى الاحواز وكرمان وفارس فهاجموا القرى وسلبوا الغلات وقطعوا طريق التجارة عبر البصرة- واسط- بغداد . وبهذا هددوا اقتصاديا الخلافة العباسية وأمن طرق الخليج التجارية .

ويبدو أن امرهم غدا أكثر خطورة حين نظموا انفسهم تحت قيادة محمد بن عثمان والقائد سملق وهزموا الجيش العباسي بقيادة أحمد بن سعيد ولم يلبث المعتصم ان وجه اليهم جيشا جديدا بقيادة عجيف بن عنبسة العربي الذي شتت شملهم واسر اعدادا كبيرة منهم في منطقة البطيحة . وقد نقلت الخلافة الزط إلى الحدود الشمالية مع البيزنطيين وأسكنتهم هناك .

أما اقليم الاحواز فلقد تعرضت لنفس الاضطرابات التي تعرض لها السواد . فقد اشرنا إلى ان حركة العلويين بقيادة ابراهيم الحسني وحركة الزط شملت الاحواز اضافة إلى البطيحة ، والمعروف ان الاحواز في صدر الإسلام كانت إدارياً تابعة لولاية البصرة غير ان الاحواز قسمت بدورها إلى ست مناطق تولى كلا منها عامل وليس هناك ما يدل على تغير وضع الاحواز الاداري في العصر العباسي الأول .

اما اقليم البحرين في هذه الفترة المبكرة من العصر العباسي فيبدو اكثر استقراراً من العصر الأموي حيث كانت البحرين مسرحا نشطاً لحركات الخوارج . ولاشك ان البحرين كمركز تجاري أخذت بالاضمحلال التدريجي بعد انشاء البصرة التي اخذت مكانها كما وأن البصرة اصبحت كذلك بديلة البحرين كقاعدة للفتوحات الإسلامية في بلاد فارس .

إن قلة الاضطرابات السياسية في أوائل العصرالعباسي لا يعني موالاة القبائل العربية في البحرين لسلطة الخلافة العباسية ، حيث يبدو ان قبائل عبدالقيس ظلت بعيدة عن أي سلطان يفرض عليها . ولكن يلاحظ ان العباسيين تقربوا من الازد في البحرين واعتمدوا عليهم في تأمين الساحل ولاريب فإن عدم الاتفاق بين عبدالقيس والازد في البحرين لم يكن وليد الساعة بل له جذور قديمة تعود إلى العصر الأموي .

اتفق المنتصر مع القادة الاتراك على قتل ابيه المتوكل ثم اجبر اخويه المعتز والمؤيد على التنازل عن الخلافة بناء على رغبة الاتراك كذلك[1] . ولكن المنتصر نفسه لم يستطع ان يحتفظ بالخلافة اكثر من ستة اشهر ، فقد جرده القادة من كل شيء ؛ فأخذ يعلن سخطه وتبرمه ويهددهم بالقتل . يقول المسعودي : إن طبيبه الطيفوري سممه بناءا على طلب الاتراك الذين عزموا على التخلص منه قبل ان يتخلص منهم[2] . وقد برز في اعقاب اغتيال الخليفة ثلاثة قادة عسكريين اتراك هم : بغا الكبير وبغا الصغير وأوتامش ومدني واحد هو أحمد بن الخصيب الذي كان وزير المنتصر ، وكان متعاونا مع القادة العسكريين ومنفذا لرغباتهم حيث دبر امر الاجتماع بعد مقتل المنتصر . وبهذا بدأت فترة الفوضى العسكرية 247-334هـ/ 861-941م . اجمع القادة الثلاثة على أن لا يولوا احدا من أولاد المتوكل لئلا ينتقم منهم ، وقرروا أن يولوا أحد أبناء المعتصم[3] . ثم حدث الشقاق والتردد بعد أن ذكر اسم أحمد بن المعتصم الذي كان يرى أنه أحق الناس بالخلافة قبل المتوكل وإن الاتراك حرموه منه . ولكن بغا الكبير اصر على هذا الاختيار قائلا : «نجيء بمن نهابه ونفرقه فنبقى معه ، وأن جئنا بمن يخافنا حسد بعضنا بعضا وقتلنا أنفسنا» . وهكذا بويع المستعين بالله بالخلافة سنة 248هـ/ 862م ، الذي عين أوتامش وزيراً له . وبذلك تقلد منصب الوزارة قائد عسكري بعد أن كان بيد المدنيين .

لقد كان القائد بغا الكبير محقا حين أراد أن يتولى خليفة قوي ، حفاظاً على مصلحة الاتراك وتجنبا لتفكك وحدتهم ، ولكن المستعين كان ضعيف الشخصية واقعا تحت تأثير امه ، وقدم أوتامش وشاهك الخادم على سائر الناس[4] . وقد أدى ذلك إلى انشقاق وتصدع في جبهة الاتراك حيث اصبح وصيف وبغا ضد أوتامش ، وانتهت المشادة بقتل أوتامش بموافقة المستعين كما نهبت داره .

ولكن المستعين لم يسترجع سلطته بل حل قائد تركي جديد هو باغر محل أوتامش . على أن باغر كان ذا سجل سابق في التامر ضد الخلافة ، حيث كان من رؤوس المؤامرة ضد المتوكل . ولكن كتلة وصيف وبغا كانت الأقوى هذه المرة أيضا ، وبذلك تخلصت من باغر وقتلته .

---

(1) الطبري ، تاريخ ج11 ، ص76 ، الطبعة الحسينية .

(2) المسعودي ، مروج الذهب ، ج 4 ، ص 134 .

(3) الطبري ، تاريخ ، ج11 ، ص 82 ، الطبعة الحسينية .

(4) الطبري ، تاريخ ، ج11 ، ص 86 ، الطبعة الحسينية .

وقد استغل أهل بغداد هذه الاوضاع وهاجوا مطالبين باحترام الخليفة وعقدوا الاجتماعات نادوا فيها بالنفير[1] . ولكن الاتراك أخمدوا تحركهم وفضوا اجتماعهم . والواقع فقد رغب أهل بغداد من وراء هذه الانتفاضة أن تعود مدينتهم داراً للخلافة بعد أن نقلها المعتصم إلى سامراء . على أن الخليفة المستعين بعد أن يئس من اعادة سلطته هرب إلى بغداد سنة 251هـ/ 865م ، ومعه أنصاره من الترك وعلى رأسهم بغا . وقد حاول قادة الاتراك اعادته إلى سامراء لأن وجوده في العاصمة ضروري لكي يكسب حكم الشرعية ؛ إلا انه رفض وعندئذ بايعوا إبن عمه المعتز بالله . وقد صارت بغداد وتوابعها إلى جانب المستعين وسامراء مع المعتز ، وبقيت الحرب دائرة بين الطرفين ولكن المستعين لم يصمد للأزمة ؛ بسبب تخلي أمير العراق محمد بن عبدالله بن طاهر عنه على أثر نزاع نشب بين ابن طاهر وبين بغا ، وكذلك للحصار الشديد الذي ضربه جند سامراء على بغداد حيث منعوا الميرة عنها . فاضطر أن يخلع نفسه سنة 252هـ/ 866م ، ويرحل إلى واسط حيث قتل بعدئذ بتدبير من قادة سامراء وأحمد بن طولون الذي وعدوه بولاية واسط [2] . لابد لنا هنا أن نقيم وقفة المستعين والجهود التي بذلها في سبيل الوقوف ضد القادة الاتراك ، فقد حصن اسوار بغداد وحفر الخنادق حولها ، وفتحت السدود باتجاه سامراء لمنع وصول الجند إلى بغداد ؛ كما اصدر أوامره بحصار سامراء اقتصاديا ، ونظم المدافعين عن المدينة من أهل بغداد وبعض الخراسانية والعيارين . ولكن الخلاف بين بغا وابن طاهر واحساس ابن طاهر بقوة كتلة المعتز دفعه إلى اجبار الخليفة على قبول شروط الصلح واقناعه بالتنازل طائعا مكرها[3] وبذلك اصبح المعتز خليفة .

وتتلخص محاولات المعتز في التخلص من طغيان القادة العسكريين الاتراك بدعمه لفرق المغاربة والفرغانيين ؛ حيث كانت الحساسيات مستعرة بينهم حول السلطة والامتيازات . كما وأن المعتز نجح في التخلص من بغا الذي اغتيل وأحرقت جثته وصودرت أمواله بأمر الخليفة . كما وأن الخليفة منح القاتل مبلغا كبيرا من المال[4] . ولكن محاولات المعتز باءت بالفشل حين اصطدمت بالأزمة المالية ، فالخليفة كان دون شك بحاجة إلى المال

---

(1) الطبري ، تاريخ ، ج11 ، ص 82 .
(2) المقريزي ، الخطط ، ج1 ، ص 319- الخطيب ، تاريخ بغداد ، ج ، ص 84-85
(3)الطبري ، تاريخ ، ج11 ، ص 137 ، الطبعة الحسينية .
(4) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج11 ، ص 14 .

لكسب الجند والاتباع بينما كانت الخزينة خاوية وعلى وشك الافلاس وكان الانهيار المالي نتيجة طبيعية لسوء الادارة وانشغال القادة العسكريين بتثبيت مراكزهم السياسية واستمرار الفرق العسكرية في التنازع والخلاف ، فقلت المحاصيل وتدهورت الزراعة والتجارة فقلت واردات الدولة وقد ثار الجند مطالبين بارزاقهم لأربعة اشهر فأرسل الخليفة وصيفا لتهدئتهم فنشبت مشادة انتهت بقتله ولكن مشكلة الأرزاق استعصت فوحدت بين الاتراك والفرق الاخرى من المغاربة والفرغانية الذين اصبحوا كتلة واحدة ضد الخليفة ، وعندئذ استنجد الخليفة بأمه (ام المعتز) ولكنها لم تنجده رغم كثرة ما عندها من مال .

وكانت نهاية المعتز مؤلمة تدل على طيغان الجند وقادتهم وسوء ادبهم وسلوكهم حيث سحب من رجله وضرب بالدبابيس فتمزقت ثيابه واوقف في الشمس فكان يرفع رجلا ويضع اخرى لشدة الحر ثم تنازل عن الخلافة بعد ان ضربوه ولطموه وقد مات في السجن[1] كما استطاع الاتراك قتل الوزير أحمد بن اسرائيل وقتل زعيمي فرقة المغاربة : محمد بن راشد ونصر بن سيعد[2] .

ولم يقبل المهتدي بالله ان يتسلم منصب الخلافة الا بعد ان يتنازل عنها المعتز علنا[3] . وكنت هذه بداية طيبة من الخليفة الجديد تدل على احترام هيبة الخلافة وشرعية السلطة كما وان المهتدي اراد ان تكون بيعته موافقة للتقليد السائد دون ان يكون للقادة الاتراك فضل في تنصيبه وهذا يعكس بطبيعة الحال خطط الخليفة لجعل الخلافة قوة فعالة غير واقعة تحت نفوذ القوة العسكرية .

فلقد ادرك المهتدي بان ضعف مؤسسة الخلافة يكمن في وجود حفنة من القادة العسكريين الطموحين الذين يمثلون كتلا عسكرية متنازعة وان السبيل لانقاذ الخلافة هو التخلص منهم والحد من نفوذهم السياسي .

وقد برزت في الأونة الاخيرة ظاهرة جديدة في الجيش حيث حقد الجند وضباطه الصغار على القادة الكبار حين ادرك هؤلاء بان القادة ذوي المراتب انما يستغلونهم للحصول على امتيازات وأموال ومناصب لهم دون ان يصيب منها الجندي العادي أو الضباط الصغير شيئا وقد ثار الجند في سامراء ورفعوا شكواهم للخليفة ، وثار الجند في بغداد متذمرين من

---

(1)الطبري ، تاريخ ، ج11 ، ص 160 ، فما بعد .

(2)الطبري ، تاريخ ، ج11 ، ص 150-161 .

(3) المسعودي ، مروج الذهب ، ج4 ، ص 178 .

واليها الذي امتنع عن دفع اعطياتهم وهكذا أعطى الجند فرصة طيبة للخليفة لكي يضرب ضربته ويتخلص من القادة ويستعيد مكانته ، خاصة وأن هؤلاء الجند تعهدوا بحماية الخليفة وقتل كل من يعترض على اجراءاته[1] .

لم يستغل المهتدي الجند ولم ينجح في استقطابهم تحت زعامته ، بل رأى من الأصوب ضرب القادة الاتراك بعضهم ببعض واتباع سياسة التحريض والاغراء فاتصل بالقائد بايكباك وأغراه بالامتيازات ان هو قتل موسى بن بغا ومفلحاً وغيرهم ، ولكن بايكباك ادرك نوايا الخليفة واخبر جماعته بالأمر ، وعندئذ تحول النزاع إلى معارضة علنية ابرز سماتها الطعن بالخليفة واجراءاته وسياسته ، وقد استطاع الخليفة قتل بايكباك وتخلص من خطره كما تقرب من رجال الدين ليضفي على خلافته صبغة دينية قوية ، وليكونوا له سنداً في محنته تجاه القادة العسكريين فلا ينكر أن لرجال الدين تأثيرا كبيراً على العامة ، ومن المحتمل ان يستثيروا العامة ويحضوهم لنصرة الخليفة واهتم المهتدي بتقوية فرقة (الأبناء) وجمع حوله فرق المغاربة والفراغنه وبعض الجند الاتراك المتذمرين[2] .

كما قابل المهتدي شغب الاتراك بكل جرأة حيث استدعى موسى بن بغا واصحابه وعنّفه وأنذره قائلا : «والله لئن سقط من شعري شعرة ليهلكن بدلها منكم أو ليذهبن بها اكثركم أما دين؟ أما حياءً؟ أما تستحيون كم هذا الاقدام على الخلفاء والجرأة على الله عز وجل وأنتم لا تبصرون»[3] .

ولكن الاتراك استمروا في جشعهم ومؤامراتهم مما اضطر الخليفة إلى اعلان النفير العام مبيحاً دماء الاتراك وأموالهم رافعاً شعار :«يا معشر الناس انصروا خليفتكم» . ولكن العامة خافت الجند فتخاذلت عن القتال كما انسحب الجند الاتراك من جانبه وانضموا إلى اصحابهم مما ادى إلى اندحار المهتدي حيث اعلنوا خلعه قبل موته ومبايعة أحمد بن المتوكل الذي لقب المعتمد على الله سنة 256هـ/ 870م .

---

(1)الطبري ، تاريخ ، ج11 ، ص 194 .

(2) المسعودي ، مروج الذهب ، ج4 ، ص 120 ، يقول اليعقوبي عن المهتدي :

«وجلس للمظالم ووقع بخطه وقرّب الفقهاء وكان يقول : يابني هاشم دعوني حتى أسلك مسلك عمر بن عبدالعزيز ، فأكون عليكم مثله في بني أمية ، وتقلل في اللباس والفرش» .

انظر : مشاكلة الناس لزمانهم ، ص 64 .

(3) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج11 ، ص 21- قارن ، الطبري ، تاريخ ، ج11 ، ص 194 .

يعتبر اجراء المهتدي من اكثر الاجراءات السياسية والعسكرية جدية في سبيل استعادة هيبة الخلافة ومركزها فقد كان إدارياً حازما ابتعد عن مجالس الغناء والشراب والجواري ، كما وأبعد السباع وكلاب الصيد عن البلاط[1] مما يدل على محاولته الاصلاح والانشغال بأمور الحكم المتدهورة . وبدأ يسمع الظلامات ويصرف أمور الدواوين بنفسه ، ولكن الزمرة العسكرية لم تمهله كما وأن الأحوال بصورة عامة لم تساعده حيث وقعت احداث وتطورات اشغلته ولم تكن في حسبانه فقد فضح بايكباك خطته مما ادى إلى توحيد الاتراك لجهودهم ضده كما وان الاضطرابات في العراق (السواد) حيث وقعت ثورة الزنج ، وفي الجزيرة حيث حركات الخوارج ، وثورات القبائل في الشام وامتناعها عن دفع الضريبة كل ذلك منع الخليفة من تحقيق مأربه في انهاء سيطرة العسكريين الاتراك .

على ان صمود المهتدي بوجه الجيش كان له نتائجه الايجابية حيث بدأت أول حركة منظمة تدعو إلى اعادة سلطان الخليفة العباسي ، ومؤازرة هذه الحركة كما رأينا بين صفوف الجند التركي نفسه ، وبتحريض ومؤازرة الخليفة الذي يقف ولأول مرة منذ عهد المتوكل بقوة ، امام القادة العسكريين .

كما استطاع الأمير العباسي ابو أحمد الموفق فيما بعد ان يسيطر على قيادة الجيش فعادت القيادة مرة اخرى للعباسيين ، واعاد الاتراك-موالي ومصطنعين للخلافة كما كانوا في عهد المأمون والمعتصم والواثق .

ثم إن مركز الخلافة انتقل إلى بغداد وتعاقب على الحكم خلفاء يحكمون ويديرون مؤسسات الدولة ويموتون موتا طبيعيا بعيدا عن الاضطهاد والتآمر حيث اعقبت التسع سنوات الحرجة فترة انتعشت فيها الخلافة حوالي اربعين سنة حكم فيها ثلاثة خلفاء فقد كان من ابرز رجالها الموفق أخو الخليفة المعتمد ثم المعتضد .

ولكن الضعف ما لبث ان عاد إلى الخلافة بعد سنة 295/ سنة 908 ، وعاد زمام الامور للقادة العسكريين . وقد حاول الراضي ان ينقذ الخلافة ويتخلص من الأزمة المالية والادارية فابتدع منصب أمير الأمراء واختار له محمدا بن رائق . ولكن النظام الجديد لم ينجح بل زاد النزاع بين القادة العسكريين للاستئثار بالنفوذ حتى سقطت بغداد في ايدي البويهيين سنة 334هـ سنة 946م .

---

(1)الطبري ، تاريخ ، ج11 ، ص 171 .

ب) فترة التسلط البويهي 334 /946- 447 / 1055

البويهيون سلالة ديلمية نشأت أصلا في اقليم الديلم جنوبي بحر قزوين . وقد ظهر آل بوية علي وحسن وأحمد في البداية كجنود مقاتلين في جيوش أمراء الديلم وطبرستان حتى استطاع أكبرهم علي بن بوية أن يكون حاكما على مقاطعة الكرج في اقليم الجبال ثم سيطر على فارس . كما استطاع الحسن بن بوية أن يسيطر على الري . اما أحمد بن بويه الإبن الاصغر فإن الظروف السياسية جعلته يحقق نجاحا اكبر من اخويه ، حيث استغل ظروف الفوضى السياسية والادارية في بغداد فثبت نفوذه في الاحواز ومن هناك زحف نحو بغداد واحتلها ، وقد اعترف الخليفة العباسي المستكفي بالأمر الواقع ومنح أحمد بن بويه لقب (معز الدولة)(1) .

استمرت سيطرة البويهيين على مقدرّات الخلافة العباسية أكثر من قرن من الزمان كانت العلاقة خلالها بين الخليفة العباسي والأمير البويهي في معظم الأحيان على أسوأ ما تكون واجه البويهيون صعوبات في ادارتهم للعراق حيث كانت منطقة البطيحة في ثورة دائمة بقيادة عمران بن شاهين ضد الوجود البويهي . كما كانت قبائل السواد العربية شرقي دجلة وغربي الفرات لا تعترف في احيان كثيرة بسلطة البويهيين وواجهوا مشاكل في الاحواز والجزيرة الفراتية وعُمان وكانت علاقتهم بين مد وجزر مع قرامطة البحرين وبلاد الشام .

ج) فترة السيطرة السلجوقية 447 /1055- 5590/1193م

ولم يختلف الامر كثيرا في العراق حين حل السلاجقة محل البويهيين في السيطرة على شؤون الخلافة العباسية بدعوة من الخليفة القائم . على ان عصر السلاجقة العظام طغرلبك وألب ارسلان وملكشاه شهد استقرارا للمؤسسات واحياءاً للجهاد ضد البيزنطيين وانعاشا لحركة انشاء المدارس للرد على الباطنية . وقد لعب الوزير نظام الملك دوراً في هذا الشأن .

أما العلاقة بين السلطان السلجوقي والخليفة العباسي فلم تكن لتختلف عن عصر التسلط البويهي الا في بعض المظاهر الشكلية والمراسم الرمزية .

لقد حاول بعض خلفاء هذه الفترة مثل المسترشد بالله والمقتفي لأمر الله ان يعيدوا للخلافة سلطتها فاصطدموا بالسلاطين السلاجقة وعملوا على اصلاح الوضع الاقتصادي الا ان محاولاتهم لم يكتب لها النجاح .

---

(1) د . عبدالعزيز الدوري ، العصور العباسية المتأخرة ، ص 239- فاروق عمر ، الخلافة العباسية في عصورنا المتأخرة ، ص 15 .

وقد استطاع الخليفة الناصر لدين الله العباسي انهاء السيطرة السلجوقية سنة 590هـ/ 1194 م ونجح في توسيع نفوذ الخلافة العباسية وجمع حوله العديد من امراء الأطراف عن طريق التنظيم الذي ابتدعه (الفتوة) ولكن الخلفاء اللذين جاءوا بعده كانوا ضعفاء ومعزولين تسيطر عليهم حفنه من الحاشية في البلاط . ولذلك كانوا دون مستوى الاحداث التي من حولها حيث الهجوم الصليبي على فلسطين وبلاد الشام عموماً والهجوم المغولي على المشرق الإسلامي . بل ان بغداد نفسها سقطت بيد هولاكو المغولي سنة656هـ/ 1258م[1] .

حركات وانتفاضات العراق

شهد السواد (العراق الجنوبي) خلال العصور العباسية المتأخرة حركات خطرة . ففي النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلاد انفجرت حركة الزنج في السواد والبطيحة وامتدت إلى الاحواز . وكذلك قامت الحركة القرمطية وثارت القبائل العربية على طرفي الرافدين وتمرد عمران بن شاهين وابنه في البطيحة . وسنتطرق فيما يلي إلى هذه الحركات :

فحركة الزنج سنة 869/255م ، قام بها الرقيق[2] المستخدمون في استطلاح الأراضي وجعلها صالحة للزراعة عن طريق كسح السباخ والأملاح المجتمعة في بطائح العراق الجنوبي[3] وانضم اليهم العبيد من القرى والمدن المجاورة[4] .

---

(1) محمد صالح القزاز ، الحياة السياسية في العراق ، ص 82 بعد ، فاروق عمر ، الخلافة العباسية ، ص 119 .

(2) عبدالعزيز الدوري ، دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، ص 76 ، بغداد ، 1945 .

. Noeldeke,Sketches From Eastern History, London 1892

(3) أحمد علبي ، ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد ، ص 107-108

(4) عن حركة الزنج انظر: T. Noeldeke, Orientat Oische Skizzen, erlin 1892.

English trns.Sketches..., London Edinburgh 1982. PP 146 E 75.

A. Popovic, Ali b. Muhammad ed La Revolte des esclaves a Basra, paris 1965. (anunplished French doctoral thesis).

G. Rotter, Die Stellung des Negres in der Islamische- Arabischen Gesellschaft bis Zum xvi Jahrhundert , Vonn 1967 (German doctoral thesis).

فاروق عمر ، حركة الزنج ، مجلة افاق عربية ، 1976 .

وكان عدد هؤلاء العبيد ليس قليلاً ، ويعملون على شكل جماعات دون أجور يومية ؛ بينما لا يتعدى قوت يومهم قليلاً من الطحين والتمر والسويق . وقد أدرك علي بن محمد الذي لم يكن عبداً أسود سوء أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية ، للذلك حين خاطبهم مناهم بالأموال والدور والعبيد وأن يرفع من مكانتهم .

وقد حاول بعض المؤرخين المحدثين أن يصبغ الحركة صبغة «تقدمية» وأن يعطيها برنامجا ثوريا منظماً ، ولكن التناقض واضح في برنامج الحركة وفي الشعارات التي رفعها قائدها . فلم تكن الحركة ثورة ضد العبودية والرق عامة ؛ بل إنها كانت لفائدة مجموعة من العبيد الزنج الذين كما ذكرنا كان قد مناهم بالتحرر وتملك الرقيق .

كان لابد لصاحب الزنج من ان تتبرقع بثوب ديني مهدوي يُيسر طريقه بين الجماعات المتذمرة . فقد أدعى هذا الرجل المغامر الطموح ؛ العلم بالغيب وصفات النبوة ، وحيث اعلن أنه مرسل من الله لانقاذ العبيد البائسين والمحرومين والبلوغ بهم إلى اعلى المراتب . ثم إنه ادعى الانتساب إلى علي بن ابي طالب حيث قال : إنه ينتسب إلى أحمد بن علي بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب»[1] . وقد دحض المؤرخون هذا النسب ولذلك يذكرونه دائما بأنه :«دعي آل أبي طالب»[2] ، ونسبوه إلى قبيلة عبد القيس ؛ وقال آخرون : إنه فارسي الأصل .

ويعلل علبي سبب انتحاله العلوية إلى أن العصر كان مؤاتيا للعلويين حيث قامت بعض الدويلات العلوية المستقلة ؛ منها : الصفارية في خراسان والزيدية في طبرستان[3] ، ولكن الذي يلاحظ بأن صاحب الزنج لم يدع إلى خلاف علوية ولا تبنى آراء شيعية ، بل على العكس فقد دعى إلى آراء أقرب ما تكون إلى آراء الخوارج . ولذلك يمكن القول بأن انتحاله العلوية كان يهدف إلى كسب عطف العامة من الناس إليه ؛ حيث كانت القضية العلوية تستقطب المعارضة للحكم القائم ، ولكنه لم يبشر بالآراء الشيعية التي تؤكد على الوراثة ولا تخلو من التعقيد الذي ينفر منه هؤلاء الزنوج ، بل اعتبر الخلافة مؤسسة يتقلدها أفضل المسلمين بغض النظر عن عنصره وهو رأي الخوارج ، ولا شك فإن بساطة هذا المبدأ وخلوه

---

(1) الطبري : تاريخ ، جـ7 ، ص 543 .

(2) الطبري : تاريخ ، جـ3 ، ص 229 .

(3) ابن الطقطقي : الفخري ، ص 183 .

ويعتبره الملطي من الشيعة الزيدية ، وهذا لا يعني إقرار الملطي بأن صاحب الزنج علوي ، بل من أتباع الزيدية . (التنبيه والرد على أهل الأهواء ، ص38 .

من التعقيدات التي لا تناسب الزنج ؛ خاصة وأن المامهم بالعربية لم يكن الماما جيدا ثم إن البصرة نفسها لم تكن معروفة بميولها العلوية ، كل ذلك دعاه إلى هذا الموقف ، ولعل قسوته تجاه أعدائه ووضعه السيف في رقابهم واسترقاق نسائهم ؛ هو الذي جعل بعض المؤرخين يصنفونه في صنف الازارقة من الخوارج .

ورفع علي بن محمد ، شعارا له الآية «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا . . .» وقد أول صاحب الزنج هذه الاية تأويلا سياسيا حيث قال :«إن المؤمنين (أصحابه) وقد أشتروا أنفسهم فلم يعودوا بعد عرضة للرق والعبودية .

رغم التناقض الواضح في اراء صاحب الزنج ؛ فقد انضم الالاف من العبيد حيث استهوتهم دعوته وكثر اتباعه ، وانضم اليه عدا الزنج عبيد القرى والمدن والجنود السود في جيش الخلافة ، وحتى الأعراب والخارجون على الدولة .

لقد استطاع صاحب الزنج بين سنتي 255-261هـ ، أن يسيطر على البصرة وحواليها بعد تشتيته جيوش الخلافة العباسية . ثم امتد نفوذه إلى الاحواز وعبادان وواسط . وكانت سياسته العنف والارهاب ، ولذلك فقد ضرب المدن التي احتلها وقتل الكثير من أهلها ، ولعل ما حل بالبصرة على يده خير مثل لذلك ، وقد ارخ الشاعر ابن الرومي ما حل البصرة من دمار في شعره .

ويشير المسعودي إلى كثرة القتول :«أفنى من الناس من لايدركه العدد ولا يقع في الاحصاء . . .» ، وقد حاول المهتدي ان يصد خطرهم الذي بات يهدد بغداد حاضرة الدولة ؛ ثم تولى المعتمد الخلافة ، فأرسل القائد التركي موسى بن بغا دون ان يحقق انتصارا يذكر ، وعندئذ تسلم القيادة أبو أحمد الموفق ؛ وصمم على اعادة هيبة الخلافة في المشرق والمغرب ، وقد استطاع ان يدحر جيش يعقوب بن الليث الصفار الذي سيطر على خراسان وجرجان والري وفارس ، وأراد أن يضم العراق ، ولكن الموفق هزمه فانسحب مندحراً إلى الشرق .

ولعل نجاح الموفق يكمن في استعماله القوة والدبلوماسية معاً ، مما أدى إلى انضمام بعض قواد صاحب الزنج الذين يقعون في يد الموفق . وقد استطاع الموفق ان يحتل مدينة الزنج الأولى (المنيعة) على مقربة من واسط بعد ان هزم جيش علي بن محمد وحرر أسرى العرب المسلمين واسيراتهم ، وقبل ان يتقدم نحو مدينة الزنج الثانية (المنصورة) ، أمنّ خطوط مواصلاته وتأكد من سلامة سفنه وامكانية وصول المؤن إلى جيشه داخل الاهوار

والمستنقعات وأحراشها ، وعندئذ لم يجد الموفق صعوبة في اقتحام المنصورة رغم أن صاحب الزنج بنى حولها خمسة أسوار وأمام كل سور خندق زيادة في التحصين .

ثم اتجه الموفق إلى تحرير الاحواز من صنائع علي بن محمد وقد نجح في ذلك ، ثم ركز جهوده لاقتحام عاصمة الزنج (المختارة) ، وبعد أن أرسل الموفق رسالة إلى صاحب الزنج يدعوه فيها إلى التوبة وبسط له الأمان دون جدوى ، قرر الموفق الهجوم على المدينة حيث دارت معركة عنيفة استسلم خلالها بعض قواد الزنج مع اتباعهم ، مما أضعف مركز علي بن محمد ؛ حتى انتهت باحتلال المختارة وتدميرها ومقتل صاحب الزنج .

على أننا يجب أن نشير إلى أن الموفق أبدى صبراً ومطاولة قبل أن يتمكن من القضاء على حركة الزنج ؛ مما اضطر إلى المكوث طويلا ازاء المختاره وبناء معسكر دائم له ولجيشه تحول إلى المدينة التي سماها (الموفقية) ، وكان عليه أن يؤمن خطوط موصلاته ليكفل وصول المؤن اليه ، وأن يدرب جيشه على حرب العصابات في وسط صعب تكثر فيه المستنقعات والاحراش المائية ، وشدد الحصار على المختاره وحواليها ليمنع وصول الاغذية إلى الزنج .

وقد واجه الموفق مشاكل عديدة اعاقته في حربه مع الزنج ؛ ولكنها لم تثنه عن هدفه ، ومن هذه المشاكل محاولة الخليفة الهرب إلى أحمد بن طولون في مصر ، ومحاولة يعقوب بن الليث الصفار الهجوم على العراق وخطر القرامطة . كما وأن الموفق كان قد أصيب بسهم أثناء احدى الحملات ضد الزنج أقعده عن العمل مدة من الزمن . كل ذلك مد في عمر الحركة وأعاق جيش الخلافة عن العمل للقضاء عليها وقد لعبت عدة عوامل دورها في فشل الحركة ونجاح الخلافة العباسية في القضاء عليها منها :

1- تدابير الموفق وطريقة معالجته للحركة باستعمال القوة والدبلوماسية والاغراء ؛ مما جعل بعض اصحاب علي بن محمد ينضمون اليه ، وقد ساعده هؤلاء كثيرا في التعرف الى مسالك الزنج وتحصيناتهم وأماكن مؤنهم .

2- اعلان الجهاد وتطوع الكثير من الأقاليم المختلفة لمساعدة جيش الحضرة ؛ حيث ساعده مثلا : جيش عامل الاحواز وجيش لؤلؤ قائد الشام الذي انفصل عن أحمد بن طولون .

3- فشل المحاولة للاتفاق بين الزنج والقرامطة . ويشير المستشرق نولدكه إلى انعدام امكانية الاتفاق فيقول : إن مذهب القرامطة مذهب إسماعيلي متطرف ؛ بينما لم يظهر علي بن محمد أية مبادئ شيعية ، بل تظاهر بالدعوة إلى المذهب الخارجي .

4- رفض يعقوب بن الليث الصفار العرض الذي تقدم به صاحب الزنج للتفاهم والاتفاق على حرب جيش الخلافة ، بل ان الصفاريين كانوا يعتبرون الزنج مارقين .

وبعد القضاء على الحركة أصدر الموفق منشوراً يعلن انتهاء الاضطراب والفوضى في جنوبي العراق ، ويدعو سكان هذه المناطق للرجوع إلى مدنهم وقراهم . وهكذا استطاعت الخلافة العباسية وهي تمر بأضعف ادوارها أن تقضي على حركة عنيفة ؛ مما يدل على الامكانيات الكبيرة التي لا زالت كامنة في مؤسسة الخلافة ، والتي يمكن ان تُستغل إذا وجد الخليفة المناسب القدير .

اما حركة القرامطة فتنسب إلى قرمط الذي كان لقبا لحمدان بن الأشعث

زعيم قرامطة العراق الجنوبي . ومعناها في أصلها النبطي «أحمر العينين»[1] ، وترتبط الحركة القرمطية بالحركة الإسماعيلية في تنظيمها وعقيدتها ؛ بل يعتبرها بعض المؤرخين جزءا من الحركة الإسماعيلية العامة . فقد استطاع إسماعيل بن جعفر الصادق أن يجمع حوله الاتباع ، وحين توفي انقسم اتباعه إلى جماعتين : الأولى قالت بغيبته وأنه لم يمت هو قائم . والثانية نقلت الامامة من بعده إلى ابنه محمد ، وهذه هي المباركية نسبة إلى المبارك مولى إسماعيل . وقد انبثق القرامطة من هذه الفرقة المباركية[2] .

---

(1) M. J. De Goeie, Memoire sur Les Carmathes Bahrain.
et Les Fa timides, Leiden 1892.

حول مناقشة المصادر عن القرامطة ؛ انظر ، عارف تامر ، ص 9-14 .

عبدالعزيز الدوري ، دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، 131 .

de Sacy, Expose de la Religion des Druzes, 2 vols, paris 1838.

Gasanova, a Doctrine Secrete des Fatimides D. Egypte, Caire 1910.

Lewis The Origins of Ismailism, Gambridge 1940, P. 41.

Ivanov, The Rise of the Fatimids, Calcatta, 1942.

(2) النوبختي ، فرق الشيعة ، ص 68 فما بعد . مصطفى غالب ، تاريخ الدعوة الإسماعيلية ، ص11 فما بعد ، طبعة دمشق .

وقد استطاع عبدالله بن ميمون القداح بأحد رؤوس الدعاة الإسماعيلية حيث كان ابوه من تلاميذ أبي الخطاب مؤسس الحركة الإسماعيلية الملتفة حول إسماعيل بن جعفر الصادق أن يكسب إليه حمدان بن الاشعث من أهالي قرى الكوفه ؛ فأخذ حمدان «قرمط» يدعو الناس إلى الحركة وكان أكثر من أجابه الفلاحين في منطقة السواد ، ولذلك كانت الدولة لاتستطيع ان تقسو على حركة القرامطة خوفا من هرب أو اباده الفلاحين الذين تعتمد عليهم الزراعة وبعض الصناعات اليدوية(31) . ويرى الغزالي(2) : إن المبادئ الباطنية وجدت لها أرضا خصبة بين العوام والجهلة من الناس الذين لايفهمون الشريعة والمحرومين من الفلاحين والعمال . كما انضمت إلى الحركة القرمطية بعض قبائل العراق (السواد) وبادية الشام(3) . ورفع القرامطه شعارات انقاذ جماهير الناس من وضعهم السيء ووضع ثروة أسيادهم بيدهم .

وقرر حمدان اعطاء الفرد حسب حاجته من المال . وقد تظاهرت الحركة بالتشيع للعلويين باعتبار المعارضة العلوية حركة معارضة للنظام العباسي الذي يمثل الخلافة العباسية ، ولكن غاية القرامطة النهائية كانت الخروج على النظام السائد واحلال نظام جديد بدله .

وقد شملت الحركة القرمطية اجزاءا عديدة من الدولة ، فعدا جنوبي العراق وبادية الشام ، انتشرت الحركة في اليمن سنة266هـ/ 879م ، على يد ابن حوشب ، وفي جنوبي فارس والبحرين على يد ابي سعيد الجنابي .

حين بدأت الحركة القرمطية في العراق في عهد المعتمد ؛ لم تستطع الدولة مجابهة فعالياتها بسبب انشاغلها بحركة الزنج وتمرد يعقوب الصفار وأحمد بن طولون . وقد بدأ القرامطة بحمل السلاح ابتداءا من سنة 276هـ/ 889م ، حيث كانت اخبار تحركاتهم المسلحة وصداماتهم الارهابية تصل إلى مسمع السلطة ولكن حمدان وصهره عبدان حاولا الانفصال عن الاسماعيلية فقتلا ، وبرز زعيم جديد يدعى (زكورية) الذي ابدى ولاءا كبيرا للاسماعيلية . وثار القرامطة عدة مرات في عهد المعتضد والمكتفي والمقتدر في العراق والشام والبحرين . وقد هاجموا القرى وقوافل الحجاج والمساجد كما هاجموا الكعبة ونهبوا الحجر الأسود سنة 277هـ/ 890م أو سنة 317هـ في روايات أخرى ، ونقلوه إلى عُمان . كما هددوا بغداد عدة مرات لدرجة ان الوزير علي بن عيسى نصح الخليفة العباسي باللجوء

---

(1) الطبري ، تاريخ ، ج11 ، ص 370 (المطبعة الحسينية) .

(2) الغزالي ، فضائح الباطنية ، ص 53 .

(3) De Sacy, P. 170.

إلى خراسان إلى حين درء الخطر عن العاصمة . وقد نجح من القرامطة أبو سعيد الجنابي الذي استطاع أن يُؤسس دولة طبق فيها مبادئ القرامطة بالبحرين[1] .

وقد ادرك الخليفة العباسي المعتضد بالله امتداد خطرهم الذي بدأ يشمل سواحل الخليج العربي ، كما أنهم هددوا اقليم الحجاز وقطعوا طرق مواصلاته مع العراق والبحرين .

وقد ارسل الخليفة قائدا من قواده وعينه واليا على البحرين ، هو العباس الغنوي ، وكانت مهمته حرب القرامطة ليس إلا وفي نفس الوقت حصّن الخليفة البصرة وعزز امكاناتها العسكرية . وقد اصطدم الجيش العباسي بالقرامطة وخسر المعركة وقتل وأسر العديد من افراده . ولكن الجنابي لم يقتل قائد الجيش بل اطلقه ومعه رسالة يتهدد فيها المعتضد ، ولكن المعتضد صمم على الاستمرار في المجابهة حيث تشير رواية تاريخية أنه قال :

«والله لئن طال بي العمر لأشخصنّ بنفسي إلى البصرة وجميع غلماني ولأجهزن إلية جيشا كثيفا ؛ فان هزمهم خرجت في جميع قوادي وجيشي اليه حتى يحكم الله بيني وبينه» .

وقد تنبأ الخليفة قبيل وفاته ان قلاقل واضطرابات ستأتي من ناحية الخليج العربي ؛ فهو يذكر قواده وحاشيته بأنه كان مصمما على تأديب العصاة وتوطيد الأمن في البحرين ويحذرهم قائلا :

« . . . واني اخاف ان يكون من هناك حوادث عظيمة» .

واستمر نشاط القرامطة في بادية الشام حيث هاجموا مدينة الرصافة سنة 209هـ ، وحاصروا دمشق وأخذوا الضرائب من أهلها ، واستولوا على حمص وضواحيها ؛ وكانوا يفتكون بالناس دون تمييز . وقد استنجد سكان بلاد الشام بالعباسيين بعد أن لم ينجدهم الطولونيون ؛ فقاد الخليفة المكتفي جيشاً وعسكر بالرقة وأرسل قواته بقيادة أبي الاغر إلى حلب ، وفي معركة قرب حلب انتصر القرامطة . مما اضطر الخليفة إلى ارسال امدادات جديدة استطاعت تشتيت شمل القرامطة وتراجعهم إلى الصحراء .

ولم يكن القرامطة كما رأينا ، على وفاق دائم مع الاسماعيلية ، ومن اسباب الخلاف الزعامة والنزعة الفردية وحب الاستقلال عن الحركة العامة لدى بعض الزعماء الطموحين ، ثم ان الخلاف برز حول الوسيلة التي توصل إلى الهدف ؛ فكان القرامطة يؤمنون

---

(1) De Goeje, op. cit. Leiden 1886.

بالعنف والقوة ، أما الاسماعيلية فأرادوا أن يطبقوا سياسة المرونة . والمساومة بدلا من سياسة القوة . وحين زاد الخلاف وتأزمت الحالة حاول الحسن الاعصم القرمطي أن يستنجد بالخليفة المطيع العباسي ضد النفوذ الفاطمي المتوسع فرفض المطيع ذلك قائلا :

«كلهم قرامطة وعلى ودين واحد ؛ فأما (الفاطميون) فأماتوا السنة وقتلوا العلماء ، وأما هؤلاء فقتلوا الحجاج وقلعوا الحجر الأسود»[1] .

فالحركة القرمطية توسلت ظاهريا بالإسلام من أجل ضرب النظام العباسي الذي يستند على الإسلام ، وانشاء نظام يحقق على حد زعمهم المساواة الاجتماعية والرفاه المادي ، وهذا ماسماه قرامطة السواد «نظام الألفة» حيث تجمع أموال المجتمع بيد الداعي ليشترك كل أفراد المجتمع في التمتع بها ؛ فتسد حاجات الأفراد بحيث لا يبقى معوز بينهم[2] . ولم يكن الشخص يمتلك أكثر من سلاحه فهو في غنى عن المال ؛ لأن المفروض نظريا على الأقل أن تكون الأرض له وحاجاته يوفرها له المجتمع كذلك [3] . والغريب أن القرامطة رغم مناداتهم بهذه المبادئ تقبلوا عبودية العبيد وكأنها شيء مسلم به تماماً!! .

الامارة السلمية في البطيحة 338هـ/ 949م

سيطر البويهيون على العراق 334هـ/ 946م واسسوا امارة وراثية في بغداد تستند على الجيش . وإذا كانت السلطة المركزية العباسية غير قادرة في تلك الفترة على التصرف تجاه الغزو فإن أهل العراق لم يقفوا مكتوفي الايدي تجاه ذلك ، بل على العكس فقد ظهرت العديد من جيوب المقاومة للحكم البويهي في العراق والذي دام 334هـ/ إلى 447هـ أي

---

(1) محمد حلمي أحمد ، الخلافة والدولة في العصر العباسي ، ص 141 .

يقول المسعودي ، ان القرامطة سلبوا الحجر الاسود سنة 317هـ ، واعيد سنة 339هـ ، (التنبيه والاشراف ، ص346) .

(2) De Secy, op. cit., P. 189.

Lewis , op. cit, P. 96.

(3) عبدالعزيز الدوري ، دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، ص 181 ، وفي وصية لعبد الله بن ميمون القداح لأحد الدعاة قال :« . . . واشير عليك الا تظهر ما في نفسك للعرب ولا لمن يتعصب لهذا الدين ، فإن هذا الدين قد غلب على الأديان كلها . . وإنه نفسك والزم التشيع والبكاء على أهل البيت فانك تجد من يساعدك من المسلمين ، ويقول هذا هو الإسلام . . . ثم تعمل بعد ذلك في استئصال (الإسلام) انظر ، محمد حلمي أحمد ، الخلافة والدولة في العصر العباسي ، ص135 .

اكثر من قرن من الزمان . وتمثلت هذه المقاومة في عدّة مظاهر سواء كان في العاصمة بغداد نفسها أو في القبائل العربية مثل بني شيبان في شرقي دجلة والتي كانت تهاجم مواقع البويهيين بالتعاون مع اكراد الجبال ثم تنسحب إلى سهول حلبجة وشهرزور وتتحصن هناك في قلاعها فلا تصلها ايدي جند البويهيين .

كما تمثلت المقاومة العراقية بقبائل غربي الفرات حيث استوطنت عدة قبائل منها قبيلة بني اسد بزعامة ضبة بن محمد الاسدي والذي كان يهاجم السلطة البويهية المحتلة لمدن الفرات الاوسط والجنوبي ثم ينسحب إلى حدود الصحراء الغربية ويتحصن في عين التمر وما حولها حيث لا يجرؤ الجند الديلم على خوض حرب صحراء مدمره مع القبائل العربية المتمرسة على قتال الصحراء والتي تعرف طرقها واماكن المياه العذبة فيها .

واخيرا وليس اخراً فقد تمثلت المقاومة في حركة عمران بن شاهين السلمي في منطقة البطيحة بسواد العراق (العراق الجنوبي) التي استمرت مدة طويلة شملت حكم الامراء البويهيين الاوائل . ولم يستطع حتى رجل البويهيين القوي عضد الدولة البويهي الذي حكم من 367هـ/ 372هـ ان يقضي على عمران السلمي بل اضطر في نهاية المطاف ان يعترف به أميراً على البطيحة كما سنرى بعد قليل .

وهكذا اثبت العراق أنه شوكة في جنب البويهيين ، واثبتت القبائل العراقية انها عقبة في وجه الحكم البويهي وحائلا دون استقرار الادارة البويهية في العراق . على ان الذي يهمنا في هذ البحث هو عمران بن شاهين السلمي وتصديه بلا كلل أو ملل للتسلط البويهي في العراق . إن عمران السلمي يعتبر نموذجا لمقاومة أهل العراق لذلك الحكم في تلك الفترة .

استغل عمران بن شاهين ضعف سلطة معز الدولة في بداية حكمه في بغداد واصطدامه بالحمدانيين في الجزيرة الفراتية (شمالي العراق) فتحصن في منطقة البطيحة ونجح في كسب العديد من الاتباع حوله من القبائل وسكان القرى في هذه المنطقة وما حولها .

والبطيحة منطقة واقعة في جنوبي العراق حيث الاهوار والمستنقعات التي تغذيها مياه دجلة والفرات وتوابعهما . وتقع تقريبا في الأرض الممتدة بين واسط والبصرة حيث تمتد إلى مسافة لاتقل عن 200 ميل طولا تقريبا وتغطيها نباتات البردي والشجيرات والاعشاب مما جعل طرقها النهرية السالكة ضيقة وشاقة لا تمخر فيها الا القوارب والجاذيف الصغيرة . وهذا

يجعل دون شك من الصعب على جيش نظامي ان يتغلغل فيها ناهيك ان يكون هذا الجيش أجنبيا مثل جيش البويهيين بينما يجعل من السهل على اهلها ان يدافعوا عنها .

بعد أن أطمأن عمران بن شاهين السلمي إلى قوته في البطيحة تفاوض مع البريديين امراء الاحواز لكي يطمئن إلى سلامة حدوده الجنوبية الشرقية فاعترفوا به اميرا على بعض مناطق البطيحة ومنها غربي الاحواز التابعة للبطيحة . وقد زاد ذلك دون شك من نفوذ عمران بن شاهين وقوى من معنوية اتباعه وكسب له انصارا جددا ، وعندئذ اعلن ثورته على النفوذ البويهي في العراق 338هـ/ 944م . اثار هذا العمل معز الدولة البويهي في بغداد ولما يقضي بعد اربع سنوات فيها فأعد جيشا كبيرا قاده وزير معز الدولة نفسه وهو محمد بن أحمد الصميري وقد خاض الطرفان عدة معارك وألحق بعضهم بالاخر خسائر كبيرة . رغم ان عمران السلمي خسر العديد من اولاده وأهل بيته في هذ المعارك ورغم انه كان يواجه جيشا نظاميا شرساً مكونا من جنود مرتزقة محترفين على القتال الا انه صمد في وجه العدوان وساعدته طبيعة البطيحة على المقاومة مساعدة كبيرة . ولم تنته العمليات العسكرية في السنة الأولى إلى نتيجة مرضية أو حاسمة لكلا الطرفين المتحاربين . وقد اضطر معز الدولة لانهاء العمليات العسكرية بسبب اضطراب الاحوال بفارس حيث امر وزيره الصميري بالتوجه نحو شيراز وضبط امورها .

وحين استؤنفت الحرب ثانية 339هـ أي في السنة التالية كان جيش البويهيين تحت قيادة القائد الديلمي روزبهان . اما عمران السلمي فكان قد استعد للامر واخذ حيطته مستفيدا من التجارب السابقة . فدارت بين العرب والفرس معركة حامية انتصر فيها عمران السلمي وألحق هزيمة نكراء بروزبهان وجيشه . ويشير ابن الاثير إلى هذا الدرس القاسي الذي لقنه عمران العربي لروزبهان وقائد البويهيين فيقول :

«وتحصن (عمران) منه في مضايق البطيحة فضجر روزبهان وأقدم عليه طالبا المناجزة فاستظهر عليه عمران وهزمه واصحابه وقتل منهم وغنم جميع ما معهم من السلاح والات الحرب فقوي بها وتضاعفت قوته» .

لقد كان من نتائج هذه المعركة تعاظم نفوذ عمران السلمي فسيطر على منافذ الطرق وغدت الضرائب والاموال تجبى اليه من أهل المنطقة . كما قطع الطرق المؤدية بين بغداد والبصرة وبهذا ضيق الخناق على الحكم البويهي في بغداد . وتجاه هذا الوضع اضطر معز الدولة البويهي الى ارسال حملة جديدة يقودها روزبهان الديلمي ووزير معز الدولة

(المهلبي) . ولكن المنافسة بين القائدين احبطت جهود البويهيين والحقت خسائر كبيرة بجيش المهلبي الذي كاد ان يلقى حتفه في المعركة . يقول ابن الاثير :

«فزحف (المهلبي) إلى البطيحة وضيق على عمران وسد المذاهب عليه فانتهى إلى المضايق لا يعرفها الا عمران واصحابه واحب روزبهان ان يصيب المهلبي بما اصابه من الهزيمة ولا يستبد بالظفر والفتح واشار على المهلبي بالهجوم على عمران فلم يقبل منه فكتب إلى معز الدولة بعجز المهلبي وانه يطاول لينفق الاموال ويفعل ما يريد فكتب معز الدولة بالعتب والاستبطاء فترك المهلبي الحزم ودخل بجميع عسكره وهجم على مكان عمران . وكان قد جعل الكمائن في تلك المضايق وتأخر روزبهان ليسلم عند الهزيمة فلما تقدم المهلبي خرج عليه وعلى اصحابه الكمناء ووضعوا فيهم السلاح فقتلوا وغرقوا واسروا وانصرف روزبهان سالما هو واصحابه والقى المهلبي نفسه في الماء فنجا سباحه . واسر عمران القواد والاكابر فاضطر معز الدولة إلى مصالحته» .

لقد كانت معركة« مضايق البطيحة» من أشد المعارك على الجيش البويهي وأقساها حيث ألحقت به خسائر كبيرة . وقد دعى هذا الفشل في المعركة معز الدولة البويهي إلى فتح باب المفاوضات مع عمران بن شاهين موافقاً على كافة شروط عمران بن شاهين بتبادل الاسرى واطلاق من عنده من أهل عمران وإخوته والاعتراف بعمران أميراً على البطيحة . وتشير رواية تاريخية إلى ان عمران «قوي واستفحل أمره» . اما جيش البويهين فقد انسحب إلى واسط .

وحتى وفاته 356هـ 966م ، لم يكن بمقدور معز الدول البويهي ان يعمل شيئا تجاه ثورة العرب من البطيحة بزعامة عمران بن شاهين تلك الثورة التي استمرت اكثر من عشرين سنة طيلة حكم معز الدولة البويهي في بغداد . اما من جهة عمران بن شاهين فإن عملياته العسكرية لم تنته بعد صلح 340هـ/ 951م . بل استمر يوسع نفوذه ويعرقل محاولات البويهيين لاحكام سيطرتهم على جنوبي العراق كما هدد طرق المواصلات بين بغداد – البصرة– الاحواز .

ويبدو من مصادرنا التاريخية عن احوال العراق في اواخر ايام معز الدولة البويهي ان هذا الاخير سيّر جيشا جديدا 355هـ/ 965م أسند قيادته إلى العباس بن الحسين الشيرازي وصاحب معز الدولة هذا الجيش إلى واسط ثم شرع بخطة جديدة للقضاء على مقاومة

القبائل العربية للحكم الفارسي وذلك بسد جميع الانهار والترع التي تجري نحو البطائح . ولكن مقاومة عمران بن شاهين ومرض معز الدولة جعله يغادر المنطقة إلى بغداد ويتوفى هناك 356هـ/ 966م . وقد جدد البويهيون الصلح ثانية مع عمران بن شاهين بنفس الشروط السابقة .

خلف عز الدولة البويهي اباه في السلطة ببغداد وكانت البطيحة لاتزال تتمتع بنوع من الاستقلال عن بغداد بسبب استمرار ثورة العرب بقيادة عمران بن شاهين السلمي وتحديه للسلطة البويهية في العراق . الا ان الازمة المالية الخانقة والشغب بين فرق الجيش البويهي ببغداد وضرورة اشغال الناس بشيء ما دفعت عز الدولة البويهي إلى اشعال نار الحرب ثانية مع عمران بن شاهين . فالحرب مخرج جيد ينشغل بها الجند البويهي بدلا من التصادم فيما بينهما كما وانها عذر مهم لكي لا يطالب الناس بتحسين ظروف حياتهم المعاشية والخدمات الضرورية .

وهكذا تحرك عز الدولة البويهي 360هـ/ 970م . على رأس جيش كبير من بغداد مسندا قيادة الجيش إلى وزيره العباس بن الحسين الشيرازي .

وقد اقام عز الدولة في النعمانية بينما تقدم الجيش البويهي بقيادة الشيرازي نحو البطائح . ورغم استخدام البويهيين بدعاً جديدة في حربهم في البطيحة الا انهم لم يكسبوا الحرب بسبب معرفة عرب البطيحة بطبوغرافية المنطقة وعدم تزويد الجيش البويهي بالسفن ، ورداءة الاحوال الجوية وانقطاع التموين ولذلك شغب الجند البويهي «وتناولوا الوزير بألسنتهم وهموا بالايقاع به وتحالف الديلم والترك ضده . . .» بل انهم «أبوا أن يقيموا اكثر مما اقاموا» . وقد ادرك عز الدولة ان تكاليف الحرب اكثر من الضرائب او الاموال التي سيأخذونها من عمران بن شاهين فيما إذا انتصر عليه وهو احتمال ضعيف جدا .

وهناك عامل آخر له اهميته الكبيرة في انهاء الحرب مع عمران فقد ساند أهل بغداد حركة عمران وكثرت أعمال الشغب والاضطرابات في المدينة وبدأ أئمة المساجد يندون بالبويهيين الذين تركوا جهاد الكفار (البيزنطيين) على الحدود الشمالية وفسحوا لهم المجال باحتلال مدن من الجزيرة الفراتية (شمالي العراق) وشغلوا انفسهم بحرب المسلمين من امثال عمران بن شاهين السلمي والحمدانيين!!

كل هذه العوامل دفعت عز الدولة البويهي إلى العودة إلى بغداد مسرعا بعد أن عقد صلحا مع عمران بن شاهين . ورغم ان عز الدولة طلب من عمران السلمي دفع مبلغ خمسة

ملايين درهم سنويا الا ان عمران رفض ذلك ولم يتعهد بدفع اية ضريبة للبويهيين مقابل اعترافهم به . وقد عزز هذا الوضع من مكانة عمران بن شاهين وبرز كقوة واضحة ومؤثرة في المعترك السياسي ، حتى أن عز الدولة بدأ يحاول الاستفادة من قوته لتعزيز مركزه ضد مراكز القوى سواء في الجيش البويهي أو الاسرة البويهية . فقد وقف عمران بن شاهين امير البطيحة مع محمد بن بقيه امير واسط وتكريت وعكبرا الذي ثار على الحكم البويهي وساهم بجيشه في المعركة التي دارت بين جيش ابن بقية وجيش البويهيين وتكبد جيش البويهيين فيها هزيمة شنيعة . والملاحظ ان هذه الحركة من جانب عمران بن شاهين تعتبر حركة ذكية لشق الصف البويهي وتمزيقه بمساعده طرف على آخر وبالتالي اضعاف الحكم البويهي في العراق .

وحين جاء عضد الدولة البويهي إلى السلطة في بغداد 367هـ/978م ، كان عمران بن شاهين لايزال مسيطرا على البطيحة ومتمتعا بنفوذ قوي في العراق الجنوبي فقد فشلت كل محاولات البويهيين لانهاء ثورته وسيطرته على البطيحة فشلا ذريعاً .

وقد شجع صمود عمران بن شاهين والقبائل التي تحت زعامته على تمرد العديد من القبائل العراقية على السلطة البويهية الغازية مثل بني شيبان وبني اسد . فكان لابد لعضد الدولة رجل البويهيين القوي ان يتفرغ لعمران بن شاهين في البطيحة ليقضي على الرأس قبل استفحال الخطر والقضاء على الحكم البويهي على العراق . ولكن في المحرم من 369هـ/978م ، توفي عمران بن شاهين وبهذا انتهت حياة بطل من ابطال المقاومة العراقية للبويهيين .

لقد شجعت وفاة عمران بن شاهين عضد الدولة على مهاجمة ابنه الحسن بن عمران وقد قاد وزير عضد الدولة المدعو المطهر الجيش الجرار إلى البطيحة . وصرفت الاموال الطائلة على الحملة وقطع الماء من الجداول والقنوات لتسهيل وصول الجيش النظامي إلى معاقل الثوار الا ان كل المحاولات باءت بالفشل . وعندما يئس القائد المطهر من الحاق الهزيمة بالحسن بن عمران ونفذ صبره وكان ذا مزاج حاد انتحر خوفا من العقاب الذي ينتظره من عضد الدولة البويهي . وقد اجبر هذا الوضع عضد الدولة على عقد معاهدة صلح جديدة مع الثوار بقيادة الحسن بن عمران[1] .

---

(1) راجع ، مقالنا عن المقاومة العراقية للغزو البويهي في مجلة افاق عربية 1984 .

لقد استمرت امارة بني سليم بقيادة عمران بن شاهين وخلفائه من بعده صامدة ضد البويهيين الفرس طوال عهود الامراء البويهيين الأوائل ورمزا للمقاومة العراقية الصلبة ضد الغزو الاجنبي للعراق ، حتى ادرك البويهيين ان اقامتهم في بغداد لاجدوى منها بل على العكس فان العراق العربي استنفذ الكثير من جهودهم في حرب طويلة ومقاومة عنيده . ولذلك انتقل بهاء الدولة الابن الثالث لعضد الدولة إلى شيراز ببلاد فارس وكان في نقله مقره إلى شيراز مجبراً لامخيراً واعترافاً- ولو كان متأخرا- من البويهيين بفشلهم في السيطرة على العراق وأهله .

إن مقاومة العراقيين من أهل البطيحة وجنوبي العراق للسلطة البويهية الفارسية لم تكن الا مظهراً واحداً من المقاومة الشاملة التي أبدتها الاقاليم العربية الاخرى التي حاول البويهيون مد سيطرتهم عليها مثل الجزيرة الفراتية التي كانت تحت حكم الحمدانيين وعُمان والبحرين في الخليج العربي .

الامارة المزيدية في الفرات الاوسط 387هـ/ 997م[1].

ومثلما كان بنو سليم يسيطرون على البطيحة كان بنو مزيد سادة منطقة النيل والفرات الاوسط . فقد استمرت امارتهم دون منازع بين 387هـ- 558هـ . وكان مركزهم مدينة الحلة التي أنشأها اميرهم صدقة الملقب «ملك العرب سيف الدولة» وكان تأسيس الحلة 495هـ/ 1101م .

وبنو مزيد قبائل بدوية تنتمي إلى بني اسد ، ولبني اسد تاريخ حافل في احداث العراق السياسية قبل العصر العباسي . اما في هذه الفترة فإن الحياة السياسية قد تعقدت ، فقد ضعفت السلطة العباسية المركزية ووقعت تحت تأثير سلطة اجنبية هي البويهية ثم اعقبتها السلطة السلجوقية . كما ظهرت كيانات سياسية عديدة في العراق والجزيرة الفراتية والاحواز وبلاد فارس مما يدل على حالة التردي التي وصلت اليها الخلافة العباسية الخاضعة للاجانب .

إن هذه الحالة بالذات هي التي غذت طموح المزيديين وغيرهم من القبائل البدوية في الاقاليم الاخرى القريبة . ويبدو ان أمر المزيديين قد بدأ بتكليف من الوزير البويهي ابي

(1) راجع ، العماد الاصفهاني ، خريدة القصر (قسم العراق) ابن الاثير الكامل ج9 ، ص 88 ابن خلكان وفيات الاعيان ، مصر 1948 ، كذلك عبدالجبار ناجي ، الامارة المزيدية ، البصرة ، 1970 .

محمد المهلبي لحماية منطقة سوار ، ولكن المزيديين ، من بين القبائل البدوية الاخرى في المنطقة ، استطاعوا ان يطوروا طموحهم السياسي ويكونوا كيانا سياسيا مؤكدين سيادتهم على منطقة الفرات الاوسط وما فيها من قبائل مع بدايات القرن الخامس الهجري .

يعتبر علي بن مزيد المؤسس الحقيقي لكيان المزيديين السياسي وخلفه في الرياسة ابنه دبيس بن علي (408هـ– 474هـ) ثم كان منصور بن دبيس ثالث الامراء المزيديين ، الذي تصفه مصادرنا التاريخية بالورع والتقوى وكثرة الهبات حتى ان الوزير نظام الملك قال حين سمع نبأ وفاته «مات أجل صاحب عمامة»!! .

على ان اهم شخصية مزيدية في تاريخ الامارة هي شخصية صدقة بن منصور . ويعد عصره عصر ازدهار الامارة وقوتها . وقد بلغ نفوذ الامارة اوج اتساعه في عهده حيث امتد من الفرات الاوسط إلى البطائح والبصرة وواسط جنوبا وإلى عانة وهيت وتكريت شمالا . وبدأ يصطدم بالسلطة السلجوقية في بغداد وبنفوذ العقيليين في الاطراف الغربية للجزيرة الفراتية . وقد دام عهده احدى وعشرون سنة أو أكثر قليلا (749هـ/ 501هـ) . وقد تمكن السلطان محمد السلجوقي من قتله خشية اتساع سلطته وخطره .

ورغم ان نفوذ المزيديين استمر بعد قتل صدقة الا انه بدأ بالاضمحلال التدريجي ويعتبر عهد علي بن دبيس آخر عهود القوة الزيدية حيث انتهى الكيان السياسي المزيدي الفعلي بوفاته 545هـ/1150م ، وتميزت الفترة التي بعده بالصراع القبلي بين الامراء انفسهم وبينهم وبين الخلافة والسلطة السلجوقية . وقد وجه الخليفة المستنجد مقدم المنتفق ابن معروف اليهم فأجلاهم عن ارضهم ومركزهم في الحلة وقتل نحو أربعة الاف من انصارهم ، فافترقوا في البلاد[1] .

لقد استغل المزيديون . كغيرهم ، حالة التردي التي كانت تمر بها السلطة المركزية في بغداد فثبتوا كيانهم في الفرات الاوسط . الا انهم لم يبتغوا ان يقطعوا «شعرة معاوية» بينهم وبينها . ولذلك كانو يساومون ويداهنون ويلعبون على اكثر من وتر في تلك الفترة العصيبه من تاريخ الخلافة العباسية . وكما وان البويهيين في بغداد كانوا يحاولون كسبهم واصطناعهم كممثلين لهم في الفرات الاوسط . وتحفل مصادرنا التاريخية بمواقف سياسية متناقضة ومتضاربة . فقد امتنع علي بن مزيد عن دفع الضريبة السنوية إلى بهاء الدولة

---

(1) راجع علي جواد الطاهر ، الشعر العربي ، الجزء الاول بغداد ، 1958 ،ص 51-52 محمد مهدي البصير في الادب العباسي ، بغداد ، 1955 ،ص 451 فما بعد ديوان مهيار الديلمي القاهرة 1925 .

البويهي وساند صمصمام الدولة ثم عاد وطلب الصلح مع بهاء الدولة حين ادرك قوة هذا الاخير وعدم تمكنه من الافلات من دائرة السيطرة البويهية وتعهد بدفع 40 الف دينار سنويا للبويهيين[1] .

كما حرض البويهيون بني دبيس بن عفيف الاسدي امراء منطقة الحويزة بين واسط وخوزستان ضد المزيديين رغم ان القبيلتين تلتقيان في اسد!! ووقعت معارك عديدة بين الطرفين انتهت بانتصار المزيديين .ورغم موقف البويهيين هذا فان العلاقة عادت وتحسنت تدريجيا بين المزيديين والبويهيين .

وفي العصر السلجوقي أيد صدقة بن منصور احتلال البساسيري بغداد باسم الفاطميين واشترك في بعض حروبه والجأه إلى الحلة . ولكن وبعد مقتل البساسيري استطاع صدقة بن منصور ان يتفاهم بصورة ودية مع طغرلبك السلجوقي .

ولابد ان نشير بان النزاع الداخلي على السلطة بين امراء المزيديين وتقلب المواقف المزيدية من الخلافة العباسية والسلاجقة في بغداد وموالاتهم احيانا للفاطميين وعملائهم في العراق وأطماعهم في مناطق نفوذ كيانات سياسية اخرى مثل العقيليين في الجزيرة الفراتية ، كل هذه كانت عوامل هدم في الكيان المزيدي حتى انقطعت اخبارهم في مصادرنا التاريخية لفترة من الزمن قبل سقوطهم النهائي سنة 558هـ/ 1163م .

---

(1) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج11 ، ص 332 .



الفصل الرابع

الخليج في العصور الاسلامية :

(4) الأحواز

إن موقع الاحواز باعتبارها (دهليز العراق) جعلها محط انظار الغزاة الطامعين بالسيطرة على العراق. ومن هنا اكد الحجاج الثقفي على تجمير البعوث وكان يحث أهل البصرة والكوفة على الصمود بقوله «يا أهل المصرين هذا المكان والله مكانكم شهرا بعد شهر وسنة بعد سنة حتى يهلك عدوكم هؤلاء الخوارج المطلّين عليكم».

ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4 ، ص381

فتح الاحواز وانتشار الإسلام فيها

الاحواز أو الأهواز (خوزستان - عربستان) مجموعة كور عددها ياقوت الحموي فقال انها عشر هي سوق الاحواز ورامهرمز وابذج وعسكر تكرم وتستر وجنديسابور والسوس وسرق ونهر تيري ومناذر وهي مقابلة للبصرة . وتعتبر الاحواز من اهم المراكز الاقتصادية عند الساسانيين فيها صناعة الانسجة الحريرية والقطنية وتزرع الرز وقصب السكر كما اشتهرت اضافة إلى ذلك بمراكزها الفكرية حيث مدينة جنديسابور المشهورة .

كانت قبيلة بكر تهاجم المراكز الساسانية من البصرة وميسان والمجاورة للسواد قبل الإسلام ولكن هذه الغزوات لم تكن منظمة ولاتهدف إلى الفتح أو الاستقرار .

ولقد كانت الاحواز ذات اهمية عسكرية بالنسبة للمسلمين وذلك لوجود قوة ساسانية كبيرة فيها وكان من المحتمل ان تهاجم هذه القوة الساسانية مؤخرة المسلمين وهم منشغلين في حروب العراق وتطوقهم من الجنوب وبذلك تجعلهم في موقف حرج ولهذا استهدف عمر بن الخطاب ﷺ ارسال عتبه بن غزوان المازني إلى الاحواز لمناوشة الفرس ومشاغلتهم قال عمر لعتبة(1) :

«إن اخوانك من المسلمين قد غلبوا على الحيرة وما يليها وعبرت خيلهم الفرات حتى وطئت بابل وان خيلهم اليوم لتغير حتى تشارف المدائن وقد بعثتك في هذا الجيش فاقصد قصد الاهواز فاشغل أهل تلك الناحية ان يمدوا اصحابهم بناحية السواد على اخوانكم الذين هناك وقاتلهم مما يلي الابلة» وقد حققت القوات الإسلامية بعض التقدم حيث استولت على الابلة وما حولها من القرى ومنعت النجدات الساسانية من محاولة الالتفاف على الجيش الإسلامي في السواد وكتب عتبة للخليفة يصف له الابلة قائلا : إنها مرقي سفن البحر من عُمان والبحرين وفارس والهند والصين .

ولكن الذي حدث هو وصول الهرمزان إلى الاحواز حيث كانت له طاعة وولاء ، وبدأ يحشد القوى الفارسية من كافة الارجاء ليهاجم قوات المسلمين وقد طلب عتبة المدد من سعد بن ابي وقاص فأمده برتلين بقيادة نعيم بن مسعود ونعيم بن مقرن .و الاهم من ذلك

---

(1) تشير روايات تاريخية اخرى إلى ان عمر بن الخطاب نفسه أمر المسلمين بالانسياح في بلاد فارس لقطع دابر الشغب وليبأس الملك من عودة ملكه اليه حتى لايكون كالشوكة في جنب المسلمين فعين رؤوساء الجند راجع ، الطبري ، تاريخ ، ج1 ،ص 850- النجار الدولة الاموية ، ص193 .

مؤازرة عرب الاحواز للقوات الإسلامية فقد انضمت قبائل بني العم العربية إلى اخوانهم العرب المسلمين واحدثوا القلاقل والاضطرابات في مناذر ونهر تيري مما ارجح كفة المسلمين في القتال مع الهرمزان واجبره على طلب الصلح ، واتخذ المسلمون مناذر ونهر تيري مسلحتين للبصرة . كما اقام بنو العم مسلحة اخرى للمسلمين .

ولكن الهرمزان كان مخادعا طموحا ما لبث ان اختلف مع امراء بني العم حول حدود الأراضي التابعة لكل منهم ونقض الصلح مع المسلمين . فأمر عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان ان يمد بني العم بنجدة من البصرة وكانت معركة عنيفة على جسر سوق الاحواز انهزم فيها الهرمزان مرة أخرى ودخلت قوات المسلمين سوق الاحواز وتستر وعاد الهرمزان فطلب الصلح فأجابه المسلمون إلى ذلك باستثناء ما فتح عنوة من البلدان(1) .

وفي الوقت الذي كانت الحرب على اشدها في الاحواز بادر أمير البحرين العلاء بن الحضرمي إلى ركوب البحر وغزو شواطئ الخليج الشرقية مستهدفا مقاطعة اصطخر (بيرسوبوليس) ، دون أن يستأذن الخليفة ولقي العلاء مقاومة شديدة أغرقت كافة سفنه . وحين وصل الخبر إلى الخليفة عمر كتب إلى عتبة بن غزوان يأمره بنجدة العلاء . وقد انتدب له عتبة جيشا من المسلمين عليهم عاصم بن عمرو وعرفجة بن هرثمة والاحنف بن قيس استطاع أن يخلص أهل البحرين من الحصار وينسحب بهم إلى البصرة بعد أن حقق إنتصارا جديدا على الفرس . وعزل الخليفة والي البحرين وجعلها تحت إمرة سعد العراق .

لم يكن من أهداف الخليفة عمر في تلك المرحلة أن يدخل في عمق الأراضي شرقي العراق ذلك أن المسلمين وصلوا إلى حدود الجبال (جبال زاجروس) وهي اخر حدود السواد أو أرض العرب وقد تم فتحها بعد معركة المدائن وجلولاء في الشمال ومعارك الاحواز في الجنوب ، ولكن اصرار يزدجرد إمبراطور الساسانيين على تحشيد القوى لمقاومة المسلمين وشن هجمات معاكسة ضدهم مما جعل القتال يتواصل دون توقف . وتشير عدد من الروايات التاريخية إلى ان ملوك الفرس لم يتصوروا امكانية خضوع بلادهم للدولة الإسلامية ولعلنا نلاحظ استمرار هذه الفكرة عند فئات من الفرس حتى بعد انضمام بلادهم إلى دولة الإسلام وايمان غالبيتهم بالرسالة الإسلامية .

ومهما يكن من أمر فقد استطاعت الجيوش الإسلامية اتمام فتح بقية مناطق اقليم الاحواز مثل رامهرمز والسوس وتستر التي تداولتها الايدي الإسلامية والفارسية غير مرة .

---

(1) النجار ، المرجع ، السابق ، ص 183 .

ذلك ان الخليفة عمر أمر سعد مرة اخرى بأن يبعث بعثا كثيفا إلى الاحواز بقيادة النعمان بن مقرن وجرير بن عبد الله البجلي لمقاتلة الهرمزان فانهزم الهرمزان وسقطت السوس وتحصن الهرمزان في تستر ولكن مغاوير من المسلمين بقيادة الاشرس بن عوف الشيباني استطاعوا دخول المدينة ليلا بمساعدة بعض الفرس وفتحوا ابوابها فدخلها جيش المسلمين ودارت معركة فاصلة انتهت بفتح تستر عنوة .

واعتصم الهرمزان بقلعة وطلب الامان شرط ان ينظر الخليفة في طلبه فأجيب إلى ذلك وارسل مخفورا إلى المدينة . وهكذا حررت الاحواز وكان أمير البصرة أبي موسى الاشعري في تلك الفترة .

ومع أن الخليفة عمر بن الخطاب عاقب العلاء بن الحضرمي أمير البحرين لهجومه على الساحل الشرقي للخليج دون استئذان الخليفة فإنه في الواقع لم يكن ضد ركوب البحر إذا جاءت الفرصة المناسبة ودعت الضرورة والمصلحة العامة ففي الوقت الذي كانت الحرب تدور بشدة في جبهة العراق الشرقية وبعد انتصار المسلمين في جلولاء سنة 16 هـ ، سنة 63م ، طلب عمربن الخطاب من واليه على عُمان عثمان بن ابي العاص الثقفي ان يقطع البحر لمحاربة فارس فخرج عثمان في ثلاثة الاف محارب اغلبهم من الازد وراسب وناجية وعبد القيس . وعبر من جلفار إلى جزيرة ابن كاوان فاستسلم قائد الحامية الفارسي ثم التحم المسلمون مع والي كرمان في جزيرة القسم وانتصروا عليه .

وهكذا قطعت (معركة القسم) الطريق امام الفرس لتطويق الزحف الإسلامي بالالتفاف عليه من الجنوب وقضى على امالهم في استعادة نفوذهم في الأرض العربية[1] .

ولعل من أسباب إطالة الحرب في الاحواز ان المسلمين لم يألفوا الحرب في تلك الطبيعة الوعرة الكثيرة الترع والقنوات والمياه والاشجار كما وأنهم جابهوا لأول مرة مدنا محصنة وقلاعا محكمة . ومع ذلك فان معنويات المسلمين كانت عالية بسبب الانتصارات التي حققوها في عدة جبهات كما انضمت اليهم قبائل الاحواز العربية اضافة إلى العديد من فرسان الفرس (الاساورة) والزط والسيابجه . وكان المسلمون أولا وقبل كل شيء يقاتلون بإيمان جديد بعث فيهم روح التضحية والاستشهاد من اجله ، الأمر الذي كان يفتقده الساسانيون .

---

(1) قدري قلعجي ، المرجع السابق ، ص 146- النجار ، المرجع السابق ،ص 187 .

الحركة الخارجية في الاحواز في عهد الامويين

انعكست صورة الاوضاع السياسية المضطربة خلال العصر الاموي في اقاليم الخليج على الاحواز ايضا . وغدا هذا الاقليم مسرحا لحركات الخوارج خاصة أولئك الذين انسحبوا من العراق تحت الضغط الاموي . فقد هزم الجيش الذي أرسله والي العراق عبيدالله بن زياد لقتال الاباضية في الاحواز ، فأرسل حملة جديدة كسرت شوكتهم في الاحواز .

وبرزت فرقة الخوارج المتطرفة المعروفة بالازارقة نسبة إلى زعيمها نافع بن الازرق بالاحواز بعد انسحابها من البصرة سنة 62 هـ/ 681م ، وكان القتال سجالا بينهم وبين جيوش الامويين واهل البصرة الذين ادركوا كما اشرنا من قبل خطر الخوارج على مدينة البصرة وتجارتها ولذلك حاربوا الخوارج بقوة وولوا امرهم المهلب بن ابي صفرة وفي ذلك يقول المبرد[1] .

«ووقع العبء الاكبر في محاربة الخوارج على أهل البصرة الذين وجدوا ان حياتهم وتجارتهم مهددة بالخطر حتى اضطر قسم منهم إلى الرحيل عنها والقسم الاخر كان يتهيأ إلى الرحيل» .

والواقع أنه منذ سنة 64 هـ/ 684 خرج نافع بن الازرق ومعه 300 رجل من اتباعه وانضم اليه بنو الماحوز التميميون وسيطر على الاحواز بعد ان طرد ولاة الدولة ثم بدأ يهدد البصرة من شرقها مما ادى إلى نبذ أهل البصرة خلافاتهم وتوحيد جهودهم لصده عن مدينتهم فاصطدموا به في معركة (دولاب) فكانت معركة دموية انتهت بمقتل قائد أهل البصرة وزعيم الخوارج نافع بن الازرق[2] .

وقد أمّرت الازارقة عبيد الله بن الماحوز التميمي واستأنفت القتال فانهزم جيش البصرة وقتل أميرهم الجديد ربيعة التميمي ولكنهم مالبثوا ان تحصنوا عند نهر تيري واشتبكوا مع الازارقة في معركة جديدة انكسروا فيها ثانية وغرق العديد منهم في النهر[3] .

وبعد ان دحر الازارقة جيوشا اخرى ارسلها امير البصرة اتسع طموحهم ليتعدى حدود الاحواز التي سيطروا عليها سيطرة تامة فشرعوا يحشدون قواهم لمهاجمة البصرة فالجفل

---

(1) المبرد ، الكامل ، ج2 ، ص 195 .

(2) نايف معروف ، الخوارج ، ص 139 .

(3) المبرد ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 158 .

عليها اهل البصرة إلى الاحنف بن قيس لكي يتدبر الأمر وهنا وقع الاختيار على المهلب بن ابي صفرة لمقارعة الخوارج الازارقة .

وقد اقر عبدالله بن الزبير حيث كان العراق تابعا له في هذه الفترة اختيار المهلب .

وتقدم المهلب ومعه جيش قوامه 12 الفا من مقاتلة البصرة فيهم 8 الاف من الازد اليمانية عشيرة المهلب وتمكن من طرد الخوارج من كور دجلة وتتبعهم إلى الاحواز فهربوا منها ودخل سوق الاحواز منتصراً .

إلا ان معارك المهلب مع الخوارج لم تنته فقد كان يتتبعهم اينما حلوا أو ارتحلوا[1] في سولاف واصفهان وكرمان وارجان من أرض فارس . وقد بايعت الخوارج الازارقة سنة 71هـ ، 690م ، قطري بين الفجاءة التميمي ، فسار بهم إلى كرمان فاستقر بها حتى كثر اتباعه فعاد إلى الاحواز ثانية وسيطر عليها وكان والي العراق مصعب بن الزبير الذي استدعى المهلب ثانية لقتال الأزارقة وقد استمر القتال ثمانية اشهر تمكن المهلب في آخر المطاف ان يطرد قطري عن الاحواز .

وخلال هذه الفترة كانت اقاليم خليجية اخرى تضطرب بحركات خارجية جديدة فقد ظهرت منذ سنة 66هـ/ 680م ، فرقة النجدات الخارجية في البحرين واليمامة[2] وسيطرت عليها خلال حكم الزبيريين وردحاً من عهد عبدالملك بن مروان ولكن ما ان تم للامويين تسوية خلافاتهم ، والقضاء على حكم الزبيريين حتى عادوا فشنوا حربا لا هوادة فيها ضد الخوارج[3] .

لقد كان المهلب بن ابي صفرة لايزال يحارب الخوارج حين تولى عبدالملك بن مروان الخلافة ، وقد اقر والي البصرة الجديد خالد بن عبدالله المهلب على خراج الاحواز بينما أرسل اخاه عبدالعزيز بن عبدالله لقتال الخوارج بالاحواز ، الا ان هذا القائد فشل في الحرب واعطى العديد من الاسرى في المعركة ، وقد وبخ الخليفة والي العراق على تركه المهلب وامره بأن يستعمله في حرب الخوارج[4] .

---

(1) نايف معروف ، المرجع السابق ، ص 144فما بعد .

(2) النجدات نسبه إلى نجدة بن عامر الذي انشق عن نافع بن الأزرق وقد اقر الرق واستغل العبيد الاسرى للعمل في الأرض (راجع ابن الاثير ، الكامل ، ج4 ، ص 201) .

(3) ابن الاثير ، الكامل ، ج4 ، ص 201 .

(4) الطبري ، ج1 ، ص 822 .

ويبدو إن أمراء بني امية على العراق كانو يحسدون المهلب على اتساع شهرته بسبب انتصاراته على الازارقة ، فحين امر عبدالملك بن مروان اخاه بشر بن مروان والي الكوفة ان يأمر المهلب لحرب الخوارج نفذ الوالي وصية الخليفة ولكنه أرسل معه جيشا اخر بقيادة عبدالرحمن بن محنف وأمره بألايقبل أوامر المهلب الاان ابن محنف وهو يجابه خطر الخوارج لم يعمل بوصية الوالي وقال مستهزئا بهذا الوالي الذي تسيره رغباته الشخصية[1] :

«فترك ان يوصني بالجيش وقتال العدو والنظر لأهل الإسلام واقبل يغريني بابن عمي كأني من السفهاء» .

لقد تتبع المهلب الازارقة واجلاهم عن سوق الاحواز ثم طردهم من اقليم الاحواز باجمعه ، ولكن الذي حدث في تلك الفترة الحرجة والحرب في اوجها ان جاء خبر نعي والي العراق بشر بن مروان . فهرب المئات من المقاتلين وتسلل اخرون من مقاتلة الكوفة والبصرة إلى سوق الاحواز ولم تتمكن السلطة من ردهم إلى الجبهة ، ولهذا كتب المهلب إلى الخليفة عبدالملك يقول :

«اني ليس عندي رجال اقاتل بهم فإما أن تبعث الي بالرجال وإما خليت بينهم وبين البصرة»[2] .

لقد ادرك الخليفة حراجة الموقف في العراق وما يتهدده من اخطار ، فكان تعيينه للحجاج بن يوسف الثقفي بمثابة اختيار الرجل المناسب في المحل المناسب . لقد حث الحجاج أهل العراق على حرب الخوارج الازارقة ولما راى تثاقل البعض انذرهم وتوعدهم فبدأ المقاتلون ينضمون إلى عسكر المهلب ، وقد علق المهلب على كثرة المقاتلة بقوله «اليوم قتل هذا العدو (يقصد الازارقة)» .

لقد اكد الحجاج على تجمير البعوث وارسالهم إلى الجبهة في الاحواز وكان يخطب في الناس من أهل البصرة والكوفة فيقول[3] :

«يا أهل المصرين هذا المكان والله مكانكم شهرا بعد شهر ، وسنة بعد سنة حتى يهلك عدوكم هؤلاء الخوارج المطلين عليكم» .

---

(1) ابن الاثير ، الكامل ، ج4 ، ص 366 .
(2) مروج الذهب ج3 ، ص 68 .
(3) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 381 نايف معروف ، المرجع السابق ، ص 157 .

استطاع المهلب بهذه الامدادات الكبيرة من أهل العراق ان يدحر الازارقة المرة تلو الاخرى وتتبعهم في اقليم فارس بعد الاحواز ثمانية عشر شهراً مما اضطرهم إلى الالتجاء إلى المناطق الوعرة في كرمان .

بعد هذه الانكسارات أمام المهلب ، مرت حركة الازارقة بفترة عصيبه انقسم فيها زعماؤها لأسباب شخصية وفقهية عديدة . وقد خلع قطري بين الفجاءة وولي عبد ربه الكبير كما حدثت انقسامات قبليه وعنصرية بين أتباع الحركة انفسهم . لقد آثر المهلب ان ينتظر الازارقة وهم يقتلون بعضهم بعضاً إلا أن الحجاج ظنّ بأن المهلب يتردد أو يتقاعس عن الحرب فكتب اليه المهلب يقول :

«ليس ارى ان اقاتلهم مادام يقتل بعضهم بعضا فإن تموا على ذلك فهو الذي نريد وفيه هلاكهم . . .» (1) .

وقد نفذ المهلب خطته ولم يمتثل لأوامر الحجاج الثقفي وبعد أن انهك الازارقة بعضهم البعض الاخر هاجمهم في كرمان فكانت معركة (جيرفت) معركة حاسمة لم ينج منهم الا النفر اليسير .

ولابد من الاشارة بان الفضل في دحر خطر الازارقة على العراق يعود إلى قيادة المهلب الحكيمة وصمود مقاتلته من أهل العراق . ويرى الدكتور نايف معروف بان انتصار المهلب يعود لسببين أولهما اعتقاده بانه يحارب أهل الباطل . وثانيهما اسلوبه في الحرب معهم إذ كان يعتمد المطاولة ويتجنب العجلة وقد وصفه عدوه قطري بن الفجاءة بقوله(2) .

«لا يبدأكم الا ان تبدأوه الا ان يرى فرصة فينتهزها ، فهو الليث المبر والثعلب المراوغ والبلاء المقيم» والفضل ما شهدت به الاعداء .

لم تستمر حركة الازارقة بعد الضربات ا لتي سددها اليها المهلب ، اما قطري بن الفجاءة بعد ان خلعه الازارقة سار باتجاه طبرستان وفي طريقه اشتبك بجيش أموي ارسله الحجاج الثقفي وقتل في المعركة سنة 76هـ/695م ، بعد عشرين سنة من المجابهة (3) وبهذا تخلصت الاحواز ومعها العراق من خطر الازارقة .

---

(1) ابن الاثير ، الكامل ، ج4 ، ص 439 .

(2) المبرد ، الكامل ، ج3 ، ص 1086 .

(3) نايف معروف ، المرجع السابق ، ص 161-162 .

لقد حلت محل الازارقة في مجابهة الامويين فرقة خارجية اخرى هي الصفرية بقيادة شيبان الخارجي الا ان نشاطات هذه الفرقة لا تهمنا لان غالبيتها انحصرت في الجزيرة الفراتية وشمالي بلاد فارس .

على ان المهم . . . هنا هي فعاليات شبيب الخارجي في الاحواز ذلك لانه انسحب إلى الاحواز[1] بعد ان اصطدم بقوات الامويين التي ارسلها الحجاج الثقفي ، فتعقبته هذه القوات ونشبت بين الفريقين معركة على ضفاف نهر دجله بالاحواز استمرت نهارا كاملا ولكن شبيب غرق في النهر اثناء القتال فتفرق جماعته من بعده .

وحين ثار يزيد بن المهلب بن ابي صفرة[2] على يزيد بن عبدالملك الخليفة الاموي واحتل البصرة بعد ان هزم واليها ، وحرر اخوته واقاربه من السجن انضم اليه الكثير من أهل العراق (السواد) كما انضمت اليه الاحواز وامتد نشاطه ليشمل كرمان وفارس . ولكن الجيش الشامي بقيادة مسلمة بن عبدالملك هزم الثوار في معركة العقر سنة 102 هـ ، وقتل يزيد المهلبي وعادت الاحواز إلى حظيرة الخلافة الاموية رغم ان اوضاعها الداخلية لم تستقر تماما .

ثالثا: الحالة السياسية في الاحواز في العصر العباسي

من المعروف ان العصور العباسية المتأخرة شهدت تفكك الخلافة العباسية وضعفها وانفصال الاقاليم عن سلطة الخلافة المركزية في بغداد . ومنذ البداية جابه الخلفاء العباسيون مشاكل عديدة في المشرق الإسلامي . وبعد الحرب الاهلية بين الامين والمأمون بدأت الميول الانفصالية بالتعبير عن نفسها .

فقامت إمارات اقليمية في بلاد فارس مثل الطاهرية والصفارية وغيرها .وقد حاول امراء بعض هذه الامارات التعرض للعراق ومحاولة احتلال بغداد بعد ان ادركوا ضعف الخلفاء العباسيين وسيطرة قادة الجيش عليهم .

ولقد كانت الاحواز وهي الاقليم الواقع عند حافات جبال زاجروس والبختارية والذي يعتبر امتدادا طبيعيا لإقليم العراق (السواد) ، المنفذ الطبيعي والممر الاستراتيجي والجسر

---

(1) الطبري ، ج7 ، ص 208 فمابعد .

(2) ابن الاثير ، الكامل ، ج4 ، ص 160 .

الموصل إلى العراق . ولهذا كانت الخطوة الأولى ان يحتل هؤلاء الامراء الطموحين الاحواز ويتخذونها قاعدة للخطوة الثانية وهي الهجوم على العراق . وقد فعل ذلك طاهر بن الحسين القائد الفارسي في جيش المأمون . كما فعلها يعقوب بن الليث الصفار في محاولته الفاشلة لغزو العراق . ثم سيطر كل من أحمد بن بويه معز الدولة وعضد الدولة البويهي على العراق عن طريق الاحواز[1] . وتكررت هذه الظاهرة بين الامراء البويهيين المتنافسين على السلطة والنفوذ بعد عضد الدولة البويهي .

وفي أثناء النزاع بين الأمين والمأمون ارسل المأمون قائديه طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين وقابلا جيش الأمين في الاحواز فكانت المعركة الحاسمة سنة 197هـ/ سنة 812م ، التي قررت مصير العراق بعد اندحار جيش الخلافة العباسية . ورغم ان بغداد صمدت لحصار طويل دام اربعة عشر شهراً الا انها سقطت بيد قوات المأمون وقُتل الأمين[2] .

وفي العصر العباسي الثاني كانت بغداد في شغل شاغل عن الاقليم بسبب المنافسة بين القادة العسكريين على منصب امرة الامراء . وقد استغلت الاسرة البريدية الاوضاع المتدهورة لتحكم سيطرتها على الاحواز سنة 323هـ/ سنة 935 ، وقد برز من هذه الاسرة ثلاثة اخوة هم ابو عبدالله أحمد بن محمد البريدي الذي استولى على البصرة وواسط وكذلك على بغداد مؤقتا سنة 321هـ . ثم ابو يوسف يعقوب بن محمد البريدي ثم ابو الحسين عبدالله بن محمد البريدي . ومن الصدف التاريخية ان الاخوة البريديين الثلاثة في الاحواز عاصروا الاخوة البويهيين الثلاثة في فارس والري . على ان مقدرة البويهيين وحظهم في السياسة كان أكبر من نظرائهم البريديين[3] .

وقد بدأ أبو عبدالله البريدي حياته كاتباً لوالي الاحواز من قبل الخلافة العباسية . ويبدو انه كان طموحا ومدركاً لتقلبات القوى السياسية . ولهذا فقد اتصل البويهيين سرا وسهل لهم أمر احتلال الاحواز من ياقوت الوالي العباسي .

إلا ان الظروف السياسية للبويهيين لم تكن جيدة مما اضطرهم إلى الانسحاب من الاحواز نحو شيراز وهذا ماجعل البريدي الذي غدا نائبا لهم على الاحواز في وضع لا

(1) ومما يلفت النظر ان الغزوات الفارسية للعراق في هذه الفترة كانت تمر عبر الاحواز أما غزوات الترك مثل السلاجقة والخوارزمية وكذلك المغول فكانت تأخذ طريق حلوان وخانقين ، وهذا ما يستدعي التحليل .

(2) العيوان والحدائق ، ص 330 .

(3) عن نسب الاسرة البريدية راجع احمد السعيد سلمان ، تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الاسر الحاكمة 1969 ، ص 302 ، وكذلك بوزورث ، الاسر الحاكمة ، (مترجم) .

يحسد عليه حيث هاجمته قوات الخلافة العباسية فاضطر للتخلي عن الاحواز واللحاق باسياده وحلفائه البويهيين . ولكن ابا عبدالله البريدي ما فتأ يلح على البويهيين بالسيطرة على الاحواز وتعهد لهم باعادتها إلى نفوذهم إذا ما امدوه بالجند . ولم يغب عن ذهن البويهيين أهمية الاحواز الاستراتيجية بالنسبة إلى تحركاتهم المستقبلية نحو العراق وبقية اقاليم الخليج العربي وبصفة خاصة السيطرة على طرق التجارة البحرية . هذا بالاضافة الى أن أقليم الأحواز يعتبر اقليما هاما من الناحية العسكرية لكل من العراق وفارس والذي يسيطر على الاحواز ويتحكم في منافذه يستطيع ان يسد الطرق على أية قوة عسكرية إلى الشمال في اقليم فارس .

وبكلمة اخرى ان سيطرة بغداد بصورة قوية على الاحواز معناه سد الطريق امام البويهيين للتقدم باتجاه العراق الذي كان مستهدفا من قبلهم . ولذلك قرر البويهيون امداد البريدي بالجند الديالمة لاعادة سلطته وبالتالي سلطة البويهيين على الاحواز ومن خلال ذلك تحقيق أهدافهم في العراق والخليج العربي .

ولم يكن البويهيون يثقون بالبريدي وقد انتهى دوره الآن بعد ان استغلوه في استرجاع الاحواز من الخلافة العباسية . وكانوا ينوون الاستيلاء عليها بصورة فعلية . ثم ان جند البريدي كانوا من الترك أما جند البويهيين فكانوا من الديلم وقد وقع الخلاف بين الفرقتين مما أضعف كثيرا من قوة البريدي ولم يجد أحمد بن بويه صعوبة في طرده من الاحواز حيث انسحب مع بقية جنده نحو البصرة واستولى عليها .

كانت بغداد في شغل شاغل عن هذه التحركات المريبة في الاحواز ، ولم يدرك المسؤولون ان البويهيين انما ارادوا ان يثبتوا سيطرتهم على الاحواز من أجل ان ينقضوا على بغداد في أقرب فرصة . وكان الخلاف على أشده في بغداد بين أمير الامراء ابن رائق وقائد الجيش بجكم ، فانتهز البريدي هذا الخلاف واظهر المودة للطرفين . ولهذا حين انتصر بجكم على ابن رائق الذي فر من بغداد ، وجعل بجكم ابا عبدالله البريدي صاحب الاحواز وزيراً له في بغداد بعد أن نصب نفسه أميرا للامراء . كما وأنه تصاهر معه . وبقي الحكم الثنائي في بغداد من 326هـ- 329هـ/ 937-940م . ثم نشب الخلاف بينهما فانسحب البريدي مرة اخرى نحو البصرة[1] .

الا ان بجكم قتل في ظروف غامضة وهو يحاول ضرب البريدي بالبصرة وقد تشتت جنده وذهب قسم منهم إلى البريدي بالبصرة . وقد تحرك البريدي بسرعة واحتل بغداد دون

(1) راجع فاروق عمر ، الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية ، ص 103-105 .

مقاومة ولكن الخليفة المتقي لم ينصب البريدي امير الامراء لاعتقاده بأنه ليس اهلا لها ولمعارضة الجند الديالمة للبريدي .

إن المنافسة بين زعيم الديالمة كورتكين والبريدي اضطر البريدي للانسحاب مرة اخرى نحو البصرة . ولكن كورتكين لم يستطيع ان يبرز كقوة فعالة مما اضطر الجند إلى استدعاء ابن رائق ثانية من الشام وتنصيبه اميرا للامراء . وقد استدعى ابن رائق البريدي وعينه وزيراً للمرة الثانية[1] .

إلا ان صاحب الاحواز والبصرة اختلف مع ابن رائق بعد فترة وجيزة فاجتاحت جيوشه بغداد ونهبت دار الخليفة فهرب الخليفة المتقي ومعه ابن ارئق إلى الموصل . وقد أعان ناصر الدولة الحمداني الخليفة العباسي على طرد البريدي من بغداد ولكنه قتل ابن رائق ونصب نفسه اميراً للامراء . وتعهد الحمدانيون ان يضعوا نهاية لنفوذ البريدي في البصرة وواسط ولكنهم لم يبروا بعهدهم . وقد وقعت بين سيف الدولة الحمداني والبريدي معركة قرب واسط الا انها لم تكن حاسمة وقرر سيف الدولة العودة إلى الجزيرة الفراتية[2] . وهكذا قدر لقوة البريديين السياسية في البصرة وواسط والاحواز ان تلعب بمقدرات بغداد والخلافة العباسية لفترة من الزمن .

لم تظهر اهمية الاحواز الاستراتيجية بالنسبة للعراق وفارس مثلما ظهرت في العصر البويهي . فبعد أن سيطر أحمد بن بويه على الاحواز وتحكم في منافذها ، هاجم البصرة وقضى على سلطة البريديين فيها ثم زحف نحو بغداد ودخلها سنة 334هـ/ و945م ، وأصبح أمير الامراء فيها . ثم تمكن عضد الدولة البويهي من دخول بغداد عن طريق الاحواز ، وقضى على نفوذ ابن عمه بختيار عز الدولة في بغداد .

وحين انتهى عصر البويهيين الأوائل غدت الاقاليم نهبا بين الامراء البويهيين المتنافسين عل السلطة الاكبر والنفوذ الاقوى . ففي سنة 375هـ/ 985م ، استولى شرف الدولة على الاحواز مما اجبر اخاه صمصام الدولة على طلب الصلح معه ولكن شرف الدولة نقض الصلح وتقدم من الاحواز إلى العراق واستولى عليها سنة 376هـ ، وسجن اخاه صمصام الدولة[3] .

---

(1) ابن الاثير ، الكامل ، ج8 ، ص 134 .

(2) ابن الاثير ، الكامل ، ج8 ، ص 140 .

(3) ابو شجاع ، ذيل تجارب الامم ، ج3 ، ص 163-164 ، ابن الاثير ، الكامل ج9 ، ص 28 ,23 ,39 فما بعد .

وبعد موت شرف الدولة طمع فخر الدولة في بغداد وشجعه على ذلك وزيره الصاحب بن عباد ولما علم بهاء الدولة بذلك بادر بالتقدم نحو الاحواز وتصادم معه في الاحواز قبل دخوله العراق وانتصر عليه .

وحين تم الاتفاق بين بهاء الدولة وصمصام الدولة على أن يكون للأول العراق والاحواز وللثاني فارس فان بهاء الدولة طمع ببلاد فارس . فبادر صمصام بالاستيلاء على الاحواز وقطع الطريق على بهاء سنة 385هـ ، وعزز نصره بالاستيلاء على البصرة سنة 386هـ ، 996م . وهدد بغداد ذاتها لولا وقوع الصلح بينهما .

وحين تنافس على السلطة اخر امراء البويهيين الملك الرحيم ابو نصر خسرو فيروز مع أخيه ابو منصور صاحب فارس انتصر الاخير وضم الاحواز إلى نفوذه سنة 441هـ ، 1049م ، بعد ان بقيت مدة طويلة تابعة للملك الرحيم الذي كان يستقر بالعراق . إلا ان الملك الرحيم استرد الاحواز في السنة التالية وتابع انتصاره بالاستيلاء على اصطخر وشيراز فاذعنت له العراق ثم اذعنت له فارس بعد تحكمه بالاحواز .

وغدت الاحواز تابعة للسلاجقة بعد سيطرتهم على العراق سنة 447هـ ، 1055م ، وبعد انتهاء عهد السلاجقة العظام بوفاة ملكشاه احتدم الصراع بين بركياروق بن ملكشاه وأخيه محمد فكانت الاحواز ضمن نفوذ بركياروق الذي سيطر كذلك على فارس وطبرستان والحجاز والجزيرة الفراتية . ثم آلت الاحواز إلى محمد بن ملكشاه بعد وفاة بركياروق .

ولم تستطع الدولة الخوارزمية التي ضمت اليها العديد من الاقاليم التابعة للسلاجقة ان تسيطر على فارس والاحواز التي ظلت تحت سيطرة سلاجقة العراق رغم ان خوارزمشاه علاء الدين محمد ضم فارس إلى دولته الواسعة . وحين أراد آخر سلاطين الخوارزمية جلال الدين منكبرتي ان يهاجم الخلافة العباسية اتجه صوب الاحواز وهاجمها وحاصر تستر ثم ارسل رسالة تهديد إلى الخليفة العباسي ثم سار شمالا حتى تقرب من بغداد ولكنه لم يهاجمها بل حاصر داقوقا ونهبها ثم انسحب نحو اذربيجان[1] . إن موقع الاحواز المهم باعتبارها «دهليز العراق» جعلها محط انظار الغزاة الذين كانوا يخططون للسيطرة على العراق مقر الخلافة العباسية . ومن هنا نلاحظ ان ايدي عديدة تبادلت الاحواز خلال العهود العباسية المتأخرة .

---

(1) المصدر السابق ، ج9 ، ص 355 فما بعد .

الامارة المشعشعية

تعد امارة المشعشعين أقدم امارة عربية في اقليم الحويزة والاحواز (عربستان) وكان ظهورها مرتبط بوجود العديد من القبائل في تلك المنطقة العربية من الخليج لعل اهمها تميم وسعد واسد وعبادة ولام وكعب وغيرها . ويختلف المؤرخون في السنة التي تأسست فيها هذه الامارة على يد محمد بن فلاح المشعشعي ، على انها ظهرت إلى الوجود في منتصف القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي ،حوالي 866هـ ، سنة 1461م(1) .

لقد شملت امارة المشعشعين في عصر ازدهارها وقوتها اجزاءا من الاحواز والعراق (السواد) والبحرين (السواحل الغربية للخليج (وقد وصلت حدودها إلى الحلة والكوت شمالا وإلى شمالي قطر جنوبا وإلى سوق الشيوخ غربا وإلى شرق مسجد سليمان- عبادان شرقا) لقد بدأ محمد بن فلاح دعوته بين القبائل الساكنة في جنوبي العراق وخاصة قبائل الحويزة والدوب ، ثم اصطدم بحاكم جصان وجيشه التركماني ولكنه خسر المعركة فانسحب نحو منطقة الدوب ونجح في كسب قبيلة المعادي التي غدت سنده وظهيره في تحركاته القادمة في منطقة الحويزة .

وفي حوالي منتصف القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي تمكن محمد بن فلاح ان يضم إلى نفوذه قبائل منطقة الكحلاء في واسط وقبائل منطقة الجزائر في الحويزة ولما علم حاكم بغداد التركماني اسبان بن قره يوسف باتساع نفوذ المشعشعين تقدم بجيشه نحو الحويزة ، الا ان محمد بن فلاح لم يجابهه بل انسحب نحو الاهوار وحين عاد اسبان بن قرة يوسف إلى بغداد رجع محمد بن فلاح فاحتل الحويزة ، ودانت له معظم قبائل البطيحة والسواد بالولاء وخاصة قبائل أسد وسعد وليث والعباد وبني حطيط .

وبهذا استطاع محمد بن فلاح ان يؤسس كيانا سياسيا في الاحواز والحويزة عرف بأمارة المشعشعين وجعل من مدينة الحويزة مركزا له .

وقد استمر محمد بن فلاح في نشاطاته العسكرية محاولا توسيع نفوذه السياسي فهاجم العديد من مدن الاحواز مثل الجرة وبلاد الدورق وغيرها حتى توفي 870هـ ، سنة 1465م .

---

(1) حول هذه الامارة راجع ، محمد هليل الجابري ، إمارة المشعشعين (رسالة ماجستير) كلية الاداب ، جامعة بغداد ، 1981 ، كذلك جاسم حسن شبر ، تاريخ المشعشعين النجف ، محمد حسين الزبيدي ، امارة المشعشعين ، بغداد1982 .

لقد خلف محمد بن فلاح في حكم الامارة اولاده وشهدت هذه الامارة صراعات اقليمية عديدة سو اء كان ذلك في منطقة الخليج العربي نتيجة ظهور الاطماع الأوروبية الجديدة في الخليج أو نتيجة ظهور قوى اقليمية جديدة على رأسها الدولة العثمانية والدولة الصفوية على أن أمارة المشعشعين دامت ما يقارب الخمسة قرون بين مد وجزر في هذه المنطقة والواقع ان نفوذ الامارة المشعشعية بدأت بالانحسار مع بدايات التاريخ الحديث بسبب ضغط الدولة الصفوية عليها ابتداءا من 914هـ، سنة 1058م، فتأسست إلى جانبها امارات عربية اخرى ولعل أبرزها إمارة كعب .

الفصل الخامس

دور عرب الخليج في نشر الإسلام واللغة العربية في المشرق الإسلامي والساحل الشرقي لافريقيا

«إن الله لما انزل الكتاب والحكم باللسان العربي... لم يكن سبيل ضبط الدين ومعرفته الا بضبط هذا اللسان وصارت معرفته من الدين».

ابن تيميه



دور عرب الخليج في نشر الإسلام واللغة العربية في المشرق وشرقي افريقيا

اثناء المد العربي الإسلامي في المشرق في عمليات الفتح كان الإسلام يسبق العربية في الانتشار ولكن العربية كانت ضرورة ملحة لكل من يدين بالإسلام من ابناء الشعوب غير العربية في المشرق والمغرب. ولهذا ربط الفقهاء المسلمون بين التفقه في الإسلام وفهمه وبين معرفة اللغة العربية وإن اراءه في هذا الصدد ما هي الا انعكاس لما حدث في الواقع اثناء انتشار الإسلام في القرون الإسلامية الأولى. فإبن خلدون[1] مثلا حين يرى ان اللغة العربية بقواعدها وبيانها وأدبها ضرورية لكل من دان بالإسلام واتخذه شريعة له، فهو يعبر عن ذلك التطور التاريخي الذي وقع في المشرق والمغرب. وبالمعنى نفسه يرى الامام ابن تيمية هذا الاقتران بين العربية والإسلام حتى يقول:

«إن الله لما أنزل الكتاب والحكم باللسان العربي، وجعل رسوله مبلغا عنه الكتاب والحكمة بلسانه العربي، وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين به، لم يكن سبيل ضبط الدين ومعرفته إلا بضبط هذا اللسان وصارت معرفته من الدين».

أما الإمام الشاطبي فيرى: «إن الشريعة عربية، وإذا كانت عربية، فلا يفهمها حق الفهم الا من فهم العربية حق الفهم، لانهما سيان في النمط، ما عدا وجوه الاعجاز».

والملاحظة ان الانتشار العربي الإسلامي مر بطريقين رئيسين: الأول عبر الفتوح الإسلامية والثاني عبر الهجرات السلمية. اما الهجرات السلمية فهي التي قامت بها مجموعات من قبائل معينة وبصورة تدريجية وتستغرق وقتاً طويلاً كما حدث لهجرات قبائل عبدالقيس وغيرها من البحرين وقبائل الأزد من عُمان إلى سواحل الخليج العربي الشرقية وأقاليم بلاد فارس الجنوبية والجنوبية الغربية مثل أقاليم فارس وكرمان ومكران وسجستان، ويقول لسترنج عن آل عمارة وآل زهير وآل المظفر أنها:

---

(1) ابن خلدون ، المقدمة، ص 94.

(2) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، ص 27.

(3) الشاطبي، الموافقات ، 4، 114 فما بعد.

«ثلاث قبائل عربية أبحرت إلى الساحل الشرقي من الطرف الاخر للخليج العربي»[1] . ولاشك ان هذه الهجرات الأولى كانت محفزاً لهجرات عديدة متتالية خلال الفترة الإسلامية وليس لها علاقة بعمليات الفتح الإسلامي . يشير الاصطخري[2] :

إن آل حنظله بن تميم من ولد عروة بن ادية عبروا من البحرين إلى اقليم فارس في العصر الاموي وسكنوا اصطخر وملكوا الاموال والقرى فيها .

وقبل هذا فإن بعض ملوك الساسانيين اتبعوا سياسة تهجير بعض القبائل العربية من مواطنها الاصلية وتفريقها في اقاليم من بلاد فارس بهدف الحد من سلطانها وخطرها أو نشاطها البحري والتجاري في مياه الخليج .

فقد أجبر سابور ذو الاكتاف بعض القبائل على ترك مواطنها وأسكن بعض قبائل تغلب وعبدالقيس وبكر بن وائل كرمان وتوج والاحواز [3] .

إلا ان سياسة التهجير كان لها على المدى البعيد مردود عكسي ذلك أن المواطن الجديدة لهذه القبائل في بلاد فارس غدت مراكز لاستقطاب مجموعات قبلية جديدة من بلاد العرب . فقد كان المستقرون الأوائل يساعدون اخوانهم القادمين الجدد للاستقرار في المنطقة ذاتها .

اما الطريق الثاني لانتشار العرب في بلاد فارس فقد كان عن طريق الفتوحات الإسلامية بعد تأسيس الدولة العربية الإسلامية . وقد كانت هذه الهجرات رسمية ومنظمة في غالبيتها . بدأت عملية استقرار العرب في اقاليم فارس مثلا منذ عهد عمر بن الخطاب (رضي) حين توجهت حملة من البحرين بقيادة عثمان الثقفي حيث :«قطع البحر إلى فارس فنزل توج ففتحها وبنى بها المسجد وجعلها دارا للمسلمين واسكنها عبدالقيس وغيرهم»[4] .

---

(1) لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، بغداد ، 1954 ، ص 292 .

(2) الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص142 .

(3) الطبري ، ق 1 ، ص 845 .

(4) البلاذري ، فتوح ، ص 385 .

ولما فتح العربي المسلمون كرمان يقول البلاذري[1] :

«هرب كثير من اهلها إلى مكران وسجستان . فأقطعت العرب منازلهم وأرضيهم فعمروها وادوا العشر فيها واحتفروا القنى في مواضع منها . . .» .

وفي العصر الاموي كذلك بني الحكم بن نهيك الهجيمي مسجد آرجان في كرمان ودار إمارتها . وقد سكن العرب في مدن عديدة في اقليم كرمان منها مدينة جيرفت وماهان التي اطلق عليها (مدينة العرب) ، ومدينة الشيرجان . وفي رواية للطبري[2] . إن حامية كرمان كانت تتكون من أربعة آلاف فارس من عرب أهل الكوفة والبصرة .

وكان سنان بن سلمة أول من اسكن العرب في اقليم مكران[3] ، ويرى البلاذري أن بني الحريش من العرب نزلوا بمدينة الري في شمالي الهضبة الايرانية . وقد عد اليعقوبي أهل الري اخلاطا من العجم والعرب[4] .

ويشير البلاذري في فتوحه بأن قزوين ببلاد الديلم كانت ثغر أهل الكوفة وفيها بنيانهم ، وان العرب اقطعوا في هذه المدينة أراض لا حق لاحد فيها[5] .

على ان سكن العرب في الهضبة الايرانية لم يتوقف عند هذا الحد . يقول صالح العلي :

«لم يقتصر سكن العرب على الثغور التي مصرها العرب (في الهضبة الايرانية) ، وانما امتد سكناهم إلى عدد غير قليل من المدن الاخرى . وقد ذكر اليعقوبي في جغرافيته عددا من المدن في الهضبة الايرانية وصف أهل كل منها بأنهم «اخلاط من العرب والعجم وهذه المدن هي السيروان والصميرة وحلوان والدينور ونهاوند وقزوين والري»[6] .

وحين فتحت جرجان سنة 98هـ/ 716م . كان مع قائد الحملة يزيد بن المهلب بن ابي صفرة جماعة من الازد وقريش وغيرهم . كما استوطن العرب مدينة قم وكان اغلب أهلها من قبيلة مذحج من الاشعريين[7] .

---

(1) فتوح ، ص 391 .
(2) الطبري ، القسم الثاني ، ص1060 .
(3) جوامع السيرة ، ص 349 .
(4) فتوح ، ص319 ، اليعقوبي ، البلدان ، ص 269 .
(5) فتوح ، ص 321 .
(6) صالح العلي ، امتداد العرب في صدر الإسلام ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، 1981 ، ص 38 .
(7) تاريخ جرجان ، 9 ، اليعقوبي ، البلدان ، ص274 .

أما أصفهان فيها قوم :« . . . من العرب إنتقلوا إليها من الكوفة والبصرة من ثقيف وتميم وبني خصفه وخزاعة وحنيفة وعبدالقيس وغيرهم»[1] .

على ان أوضح صورة لدينا عن استيطان العرب في اقاليم بلاد فارس هي عن اقليم خراسان بسبب كثرة الدراسات[2] حول هذا الاقليم المهم والحيوي الذي قام مقاتلو البصرة بفتحة سنة 29-35هـ/ 649-655م ، بقيادة عبدالله بن عامر القريشي . وقد بدأ استيطان العرب في مدن خراسان من سنة45هـ/ 665م ، على عهد زياد بن ابيه الذي ولي أمير بن أحمر مرو فكان أول من أسكن العرب مرو ، وفي سنة 51هـ/ 671م ، ولي زياد بن ابيه والي العراق والمسؤول عن المشرق الربيع بن زياد الحارثي خراسان وحول معه خمسين ألفا من أهل البصرة والكوفة بعيالاتهم . من هذه الروايات التاريخية وغيرها نلاحظ إنتشار العرب واستقرارهم في أرجاء عديدة من بلاد فارس ، وأن هذه الهجرات لم تقتصر على المقاتلة العرب الذين شاركوا في عمليات الفتح الإسلامي بل شملت العديد من الموجات قبل الإسلام وبعده من العرب الذين استقروا واستوطنوا في المدن الايرانية وساهموا في البناء الديني والثقافي والعمراني والإقتصادي لبلاد فارس .

لقد أسهم العراق بدور بارز في عملية الفتوحات في بلاد فارس ، فقد كان المصران البصرة والكوفة قاعدتين للعمليات العسكرية في بلاد فارس . فالبصرة والكوفة كانتا مقراً للجند سواء من قبائل العراق أو من إمدادات اخرى من الحجاز وبلاد الشام وأقاليم الخليج العربي . هذا فضلا عن قاعدة البحرين التي أدت دورها في المراحل الأولى من الفتوحات عبر الخليج العربي وفي اقاليم فارس وكرمان بصفة خاصة . لقد تولت البصرة فتح الاقاليم الجنوبية والغربية من بلاد فارس مثل تستر ورامهرمز والسوس وجنديسابور والاحواز ثم شاركت في المرحلة التالية في اتمام فتح اقليم فارس وكرمان مكران ثم سجستان وخراسان .

أما قاعدة الكوفة فقد تولى المقاتلة العرب فيها فتح اقاليم بلاد فارس الشمالية مثل الري وقزوين واذربيجان وأرمينية وطبرستان وجرجان .

ولا بد لنا هنا ان نستدرك ونقول بإن هذا التقسيم لم يكن يعني بأية حال من الاحوال بان تلك القواعد العسكرية الثلاث البصرة ، والكوفة ، البحرين ، كانت معزولة عن بعضها

---

(1) المصدر السابق ، ص 472

(2) راجع صالح العلي ، استيطان العرب ، مجلة كلية الاداب ، 1959- فاروق عمر فوزي ، طبيعة الدعوة العباسية ، بيروت ، 1970 ، ص 150 .

البعض بل ان احداثا وظروفا معينة حتمت التعاون والمشاركة والتساند بين المقاتلين العرب من أهل هذه الامصار[1] .

ومن هنا يبدو الدور البارز لعرب الخليج في الفتوحات حيث انتشرت اعداد كبيرة من أهل الخليج في اقاليم بلاد فارس إما على شكل مقاتلة في جيوش الفتح وحاميات المدن أو على شكل مهاجرين عملوا في مجالات الثقافة والاقتصاد والعمران خاصة وان الذي تحمل المسؤولية كان من الحضر أو عرب المدن في الاصل .

لقد كان من طبيعة العربي المسلم الامتزاج والاختلاط مع سكان البلاد المحليين ، ومنهم سكان بلاد فارس . ومع أن الدولة حددت هذا الاختلاط في البداية لاسباب عسكرية وسياسية ولكن وبمرور الزمن غدا التمازج ظاهرة واضحة . فقد سكن العرب مع الاعاجم في المدن والاحياء نفسها وتزوجوا من الاعجميات وتلقبوا بألقاب فارسية ونسبوا إلى الاقاليم والمدن الفارسية . ولذلك صعب التفريق بين العربي وغير العربي وخاصة في العصور المتأخرة . ومن هنا جاءت الفكرة الخاطئة بان اغلب علماء الملة الإسلامية من العجم!! بينما الحقيقة التاريخية تقرر ان العرب هم الذين نقلوا المعرفة والعلوم إلى بلاد فارس بعد الإسلام ؛ وإن عروبة هؤلاء العلماء قد أهملت عن قصد أو دون قصد ولم يعرفوا الا عن طريق نسبتهم إلى البلدان الاعجمية التي ولدوا أو عاشوا فيها!! ونحن نشير هنا إلى امثلة في هذا الشأن[2] :

يحيي بن يعمر المروزي ، نسب إلى مرو الروذ في خراسان وهو عربي من كنانة .

الضحاك بن مزاحم الخراساني ، نسب إلى خراسان وهو عربي من بني هلال .

عبدالله بن بريدة المروزي ، نسب إلى مرو الروز وهو عربي من أسلم .

نصر بن حاجب الخراساني نسب إلى خراسان وهو عربي من قريش .

إبراهيم بن ادهم البلخي ، نسب إلى مدينة بلخ بخراسان وهو عربي من بني تميم .

بكير بن معروف النيسابوري ، نسب إلى مدينة نيسابور وهو عربي من بني اسد .

خارجة بن مصعب السرخسي ، نسب إلى مدينة سرخس وهو عربي من ضبيعة .

---

(1) راجع ، البلاذري ، فتوح ، بيروت ، 1978 .

(2) ناجي معروف ، عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الاعجمية ، بغداد ، 1974 .

لقد اشرنا في عدة مواضع من كتابنا (طبيعة الدعوة العباسية) إلى عدد من العرب من أهل خراسان الذين شاركوا في الثورة العباسية وتقلدوا مسؤويات ومناصب قيادية وكانت لهم ألقاب فارسية أو نسبوا إلى مدن أو اقاليم فارسية . وهذا يثبت عروبة الثورة العباسية الا ان بعض المستشرقين ومن قلدهم من العرب اعتبروا الثورة قد قامت على اكتاف الفرس لانهم لم ينتبهوا إلى هوياتهم العربية بل اعتمدوا على القابهم . وهنا لابد لنا ان نضرب بعض الامثلة كذلك[1] : .

الاغلب بن سالم المروزي وهو تميمي .

حميد بن قحطبه الخراساني وهو من بني طي .

الفضل بن سليمان الطوسي وهو من بني تميم .

عبدالملك بن يزيد الجرجاني وهو عربي من الازد .

نشر الإسلام

ادى العرب من أهل العراق الذين انتشروا في بلاد فارس مقاتلة اثناء الفتوحات الإسلامية أو مستقرين دورا فعالا في نشر الدين الإسلامي في تلك الربوع ، ذلك ان المقاومة التي شهدتها الفتوحات وما أعقبها من انتفاضات وتمردات قد اقنع الخلافة في المدينة :

«إن الأمر لن يستقر للمسلمين في هذا الجانب من الأرض ان لم ترافق هذا الغلب الحربي انواع من الاتصال بالأرض ومن الاختلاط بالسكان ومن توثيق العلائق بهم وطي هذه الفجوات التي تفصل بينهم وبينهم»[2] .

إن سياسة التفاهم والمرونة تعد اهم مظهر من مواقف الدولة العربية الإسلامية في الفترة موضوعة البحث وقد اعتمدت الدولة في تنفيذ هذه السياسة في الاقاليم والامصار على الصحابة والطبقة الأولى من التابعين فعينتهم في المناصب السياسية والإدارية المهمة وارسلتهم في المهمات الخطيرة واسندت لهم القضاء . فحين ارسل على سبيل المثال الخليفة

---

(1) راجع ملحق كتاب (طبيعة الدعوة العباسية) لفاروق عمر فوزي .

(2) شكري فيصل ، المجتمعات الإسلامية ، بيروت ، 1978 ، ص 205 .

علي بن ابي طالب ﷺ زياداً من ابية إلى فارس استفاد زياد من خبرته الطويلة فعمل على :

«حل المشاكل بالطرق السلمية ودون اللجوء إلى استعمال القوة فاجتمع برؤوساء الاقليم فوعد من نصره ومنّاه ثم سار بنفسه إلى كور فارس وأمن الناس ووعدهم خيراً فيما إذا تعاونوا معه فسكن الناس واستقامت له البلاد»[1] .

وحين سمع الخليفة عمر بن عبدالعزيز أن العشر يجبى من الناس في اقليم فارس دون حق عجل بإرسال وفد للتحقيق في الأمر ورد على الناس الثمن الذي أخذ منهم فهدأت الاوضاع»[2] .

وحين ارتد أهل بخاري عن الإسلام ثلاث مرات متتالية لم يستعمل قتيبة الباهلي سياسة العنف والتهجير معهم بل رأى ان يسكن العرب معهم ويخالطوهم في بيوتهم ومدينتهم ليطلعوا على احوال المسلمين وشعائرهم وسلوكهم فيظلوا مسلمين عن طريق امتزاجهم بالعرب وعند ذلك استطاع قتيبه ان يخلّف بها جماعة من المسلمين وأن[3] :

«يلزمهم بأحكام الشريعة ، وبنى المساجد وأزال اثار الكفر ورسم المجوسية وكان يبذل في ذلك جهداً عظيماً ويعاقب كل من يقصر في أحكام الشريعة وبنى المسجد الجامع وأمر الناس بأداء صلاة الجمعة» .

ومن هنا جاء قول البرفسور جب عن سياسة قتيبة الباهلي المرنة تجاه الفرس من حيث كسبه لثقة الفرس واعتماده على مساندتهم له وعهد اليهم بالوظائف فكانت الثقة متبادلة بين الطرفين [4] .

إن عمليات استقرار العرب في المدن والامصار في بلاد فارس حاميات عسكرية وكذلك استيطانهم في القرى والأراضي مزارعين أو في المدن تجاراً وحرفيين ساعد على الاختلاط بالاهالي وكان لهذا الاختلاط اثره في نشر الإسلام .

---

(1) فائق نجم مصلح ، اقليم فارس منذ الفتح الإسلامي حتى سنة 218هـ ، رسالة دكتوراة ، جامعة بغداد ، 1984 ، ص 215 .

(2) المرجع السابق ، ص 216 .

(3) النرشخي ، تاريخ بخاري ، القاهرة ، 1965 ، ص 73 .

(4) جب ، الفتوحات العربية في اسيا الوسطى ،ص 29 .

وبمرور الزمن برزت ظواهر اجتماعية جديدة ساعدت على سرعة الاختلاط منها ظاهرة التزاوج بين العرب والسكان المحليين وظاهرة الولاء بأنواعه المختلفة حيث ان نظام الولاء بما فيه من حقوق وواجبات كان من ابرز الروابط بين العرب وغير العرب ومنهم الفرس . ولعل من بين الواجبات هو تعليم هذه الشرائح من الفرس تعاليم الإسلام ومفاهيمه وكذلك العربية لغة القرآن .

ومما هو جدير بالذكر فيما يتعلق بعملية الدمج والاختلاط ان الدولة – على ما يبدو- قد أدركت ان ليس هناك مؤسسة مثل الجيش تساعد على التناسق والوحدة بين فئات المجتمع ولهذا نلاحظ انها قبلت مسلمة الفرس الأوائل في الجيش العربي الإسلامي الذي كان لا يزال يقارع المقاومة العنيفة للجيش الساساني ، يشير البلاذري حين يتكلم عن العمليات العسكرية الأولى في خراسان :

«فكان في جيش الأحنف بن قيس في بعض نواحي مرو الروز خمسة الاف من المسلمين : أربعة آلاف من العرب والف من العجم» [1] .

ويشير الطبري حين يتكلم عن فتح السوس ان مجموعة من الاساورة الفرس طلبت من ابي موسى الاشعري شروطا معينة قبل ان تدخل في الإسلام فكتب الاشعري إلى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ يستأذنه :

«فكتب إليه عمر أن يلحقهم في أفضل العطاء وأكثر شيء أخذه العرب»[2] .

ومما له علاقة وثيقة بانتشار الإسلام في بلاد فارس بناء المساجد التي لم تكن في فترة صدر الإسلام اماكن للعبادة فحسب بل كانت مركزاً للقضاء والادارة ولتعليم الشريعة واللغة العربية .

تحفل مصادرنا التاريخية[3] التي تتكلم عن الفتوحات الإسلامية في بلاد فارس في الاشارة إلى بناء المساجد ، فالعرب المسلمون لم يجبروا سكان بلاد فارس على الدخول في الإسلام وتركوا لهم حرية الاختيار حيث بقيت بيوت النار إلى جانب المساجد في المدن والاقاليم الايرانية ، ويشير المسعودي انه شاهد هذه البيوت حين زار اقليم فارس سنة 332هـ/سنة943م .

---

(1) فتوح ، ص 407 .

(2) الطبري ، القسم الأول ، ص 2562 .

(3) حول هذا الموضوع راجع ، صالح العلي ، امتداد العرب في صدر الإسلام ، 1981 ، عبدالعزيز الدوري ، الورقة العربية ، ندوة قطر ، 1995- فاتق نجم مصلح ، المرجع السابق ، ص 222-225- لهدت خماش ، الإسلام والعربية في الجناح الشرقي ، ضمن دراسات في التاريخ الإسلامي ، دمشق ، 1994 .

لقد اهتمت الدولة العربية الإسلامية ببناء المساجد وكانت عملية البناء مواكبة لعملية الفتح . فقد ذكر ابو نعيم الأصفهاني أربعة مساجد في اصفهان كلها منسوبة إلى عرب . وحين فتح يزيد بن المهلب بن أبي صفرة جرجان أسكنها الازد وقريش وبنى بها اربعين مسجدا بعضها داخل قصبتها وبعضها في الربض .

وكانت اذربيجان من مغازي أهل الكوفة وقد استوطنتها العرب منذ ايام عثمان بن عفان ﷺ فلما كانت أيام علي بن ابي طالب ﷺ ولى الاشعث بن قيس عليها فوجد :

«أكثر أهلها قد اسلموا وقرأوا القرآن فانزل أردبيل جماعة من أهل العطاء من العرب ومصرها وبنى مسجدها» .

وتشير مصادرنا إلى العديد من المساجد التي بنيت في اقليم فارس على ايدي العرب ولعل من أشهرها مساجد توج واصطخر وجنابة وسيراف وشيراز وارجان وغيرها في كثير من القرى والنواحي . ونظرا لكثرتها فقد زاد تأثيرها في بعث حركة ثقافية وعلمية نشطة تتركز بالدرجة الأولى حول العلوم الدينية واللسانية ونشر الدين ولغة القرآن العربية[1] . وهكذا يكون العرب من أهل العراق وغيره هم الرواد الذين نظموا الموالي الفرس وفقهوهم في الشريعة والدين وعلموهم اللغة الغربية لغة الدين والدولة .

لقد بدأ الإسلام ينتشر بصورة تدريجية في بلاد فارس عن طريق حملته من العرب وخاصة أهل العراق الا ان هذا الإسلام كان له مغزى بالنسبة لشريحة اجتماعية معينة يختلف عن مغزاه بالنسبة لشريحة أخرى من المجتمع الايراني ذاته :

«فكان الإسلام رمز العدالة والمساواة الاجتماعية بالنسبة لبعضهم ورمز التحرر من الضغط والاضطهاد بنظر بعضهم الآخر ، أو لأنه أسمى بمثله ومبادئه من غيره بنظر آخرين ، أو لأنه رمز النفوذ والسلطان والجاه بنظر فريق آخر . يضاف إلى ذلك حماس الفقهاء والعلماء لهداية الاخرين ، وتستر بعض الناس به ليخفوا ميولهم الحقيقية كما فعل الغلاة»[2] .

كما ان الحركات السياسية التي ظهرت بعد تأسيس الدولة العربية الإسلامية بوقت قصير استغلت الموالي ونظمتهم وقبلتهم في صفوفها لتعزيز قوتها ، كما وان الموالي أنفسهم استغلوا هذه الحركات لتمرير اهداف ومخططات معينة بعيدة عن أهداف تلك الحركات!!

---

(1) المرجع السابق نفسه .

(2) الدوري ، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ، بغداد 1949 ، ص 79 .

لقد اثبتت بحوث العديد من المؤرخين المحدثين ان العلوم الدينية من حديث وفقه وتفسير وما يتصل بها من تاريخ ولغة عربية قد نهض بها العرب ونقلوها إلى بلاد فارس ولم يبدأ الموالي بالمساهمة بشكل ملموس فيها إلا بعد ان تتلمذوا على العرب وبعد ان تعربوا ثقافة ولغة .

نشر اللغة والثقافة العربية

مما لا شك فيه ان عملية التعريب كانت ظاهرة ملازمة للإسلام ذلك لأن الدين يفرض على المسلم من غير العرب تعلم اللغة العربية فالقرآن بالعربية وتقام الفرائض بالعربية والتفقه بالشريعة والتفسير كان يتم باللغة العربية . وهذا فضلا عن اللغة العربية لغة الدولة والسياسة والدواوين الادارية . وهكذا غدت العربية ضرورة ملحة لأهل بلاد فارس . ومن الطبيعي ان العوامل التي ساعدت على انتشار الإسلام في بلاد فارس- والتي اشرنا اليها سابقا- كانت هي نفسها عوامل أدت إلى نمو وأزدهار اللغة والثقافة العربية .

ولابد لنا ان نشيرهنا أن اللغة الرسمية التي كانت سائدة في العصر الساساني في بلاد فارس (قبل الإسلام) هي اللغة البهلوية التي حلت محل اللغة الفارسية القديمة . الا ان اللغة البهلوية تراجعت امام اللغة العربية بعد الفتح العربي الإسلامي التي اصبحت لغة العقيدة والادارة وبدأت بصورة تدريجية تعتمد في سجلات الدواوين . وخلال هذه الفترة بدأت لغة فارسية جديدة بالظهور هي (الفارسية الحديثة) ، الا ان هذه اللغة ظلت شفوية محكية من قبل سكان بلاد فارس لعدة قرون ولم تصبح لغة كتابة تحريرية الا في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ، وأن التحري الدقيق لهذه اللغة يظهر ان نسبة كبيرة من مفرداتها عربية نتيجة تأثرها بالادارة العربية الإسلامية وبالعرب الذين سكنوا بلاد فارس واختلطوا بالفرس . ونتيجة تأثرها بالحركة العلمية النشطه التي كانت تتخذ من العربية لغة لها في بلاد فارس (1) .

---

(1) راجع المرجع السابق ، كذلك شكري فيصل ، المجتمعات الإسلامية ، يلاحظ ان قتيبه بن مسلم الباهلي حين صالح أهل سمرقند خلف بها جماعة من المسلمين منهم الضحاك بن مزاحم صاحب التفسير (البلاذري ، ص 421) . وكان من استوطن كرمان من الازد محمد بن هارون الازدي النسابه المشهور ، وعبدالعزيز بن محمد بن هارون الذي كان عارفاً بالطب وألف فيه عدة كتب (عبدالرحمن العاني ، عمان ، ص 103) . راجع كذلك صالح العلي ، نقل كتب العلوم إلى العربية ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، 1983 ، ناجي معروف وفائق نجم مخلص المرجعين السابقين ، وكذلك شاكر مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون ، ج2ص364 .

لم تكن عملية نشر وتعليم اللغة العربية في بلاد فارس عملية سهلة فسكان بلاد فارس كانوا متمسكين بلغتهم الفارسية التي تعد من اللغات الهندية- الأوروبية وهي عائلة لغوية تختلف عن العائلة العربية . ومن الطبيعي ا ن يتباين انتشار اللغة العربية من اقليم إلى اخر في بلاد فارس تبعا لجهود العرب المسلمين ومدى تقبل سكان الاقليم لتلك الجهود ، والملاحظ ان بعض دواوين الدولة وسجلاتها قد تأخر تعريبه إلى اواسط العصر الاموي وبدايات العصر العباسي . ويقول الجهشياري (الوزراء ، 67) :

«بقي ديوان خراسان بالفارسية حتى سنة124هـ/ سنة 741م ، وكتابها من المجوس فكتب يوسف بن عمر والي العراق إلى عامله على خراسان نصر بن سيار ان ينقل الديوان إلى العربية وان لا يستعين بأحد من المجوس . وكان أول من نقل الكتابة من الفارسية إلى العربية هناك اسحق بن طليق الكاتب رجل من بني نهشل» .

ويشير ابن رسته إلى تأخر نقل ديوان اصبهان حتى سنة 132هـ/750م فيقول :

إن أول من كتب بالعربية في ديوان اصبهان سعد بن اياس كاتب عاصم بن يونس عامل ابي مسلم صاحب الدولة ، وهو أول من اخذ الناس بتعلم القرآن من أهل اصبهان . ويقال إنه استقرأ المسلمين بها فلم يجد الا ثمانين رجلاً فلم يكن فيهم من يحفظ القرآن إلا ثلاثة»[1] .

ومعنى ذلك ان العربية كانت أبطأ في انتشارها من الإسلام في منطقة اصفهان ، رغم ان الإسلام- كما اشرنا- تفترض معرفته معرفة باللغة العربية ، هذا مع العلم ان تعلم العربية يوفر فرصا أفضل للموالي للتقدم في الحياة حيث تساعدهم على العمل في الدواوين واشغال مناصب مهمة بالاضافة تسهل لهم أمر الاغتراف من مناهل الثقافة العربية- الإسلامية بقراءة أمهات الكتب في العلوم المتنوعة والتي بدأت تظهر في المجتمع الإسلامي .

وقد تمثل التعريب في تعريب العديد من أسماء الاماكن أو أسماء الاشخاص[2] حيث تشير العديد من الروايات إلى اسماء نواح أو مدن بأسماء عربية مثل قلعة الجارود وقصر الاحنف وقلعة خرشة وقلعة ابن عمارة و سيف بني الصفاق ومدينة العرب (ماهان) وغيرها .

---

(1) ابن رسته ، الاعلاق ، ص 196 .

(2) شكري فيصل ، المرجع السابق ، ص 217 .

اما بالنسبة للاسماء فنكتفي برواية البلاذري التي تقول عن عمر بن عبدالعزيز :

«كتب (عمر بن عبدالعزيز) إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام والطاعة على ان يملكهم ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم . وقد كانت بلغتهم سيرته ومذهبه فأسلم حشه بن داهر والملوك وتسموا بأسماء عربية»[1] .

وعدا هذا وذاك غدت اللغة العربية لغة الثقافة والعلم التي تكتب بها الكتب . أدى العلماء دوراً كبيرا في نشر العلم حيث يجلسون في مساجد مرو وهراة ونيسابور وشيراز وأصفهان وكرمان وبلخ وسجستان وغيرها يعلّمون الناس ، يقول الاصطخري :

«فإن بهذه المساجد حلق الفقهاء والناس يتزاحمون . . .»[2] .

ولعلنا نشير إلى أمثلة ثلاثة ممن برز في بلاد فارس خلال العصور الإسلامية الأولى[3] : فقد برز سيبويه في علم النحو وكتب فيه كتاباً «لم يكتب الناس في النحو كتاباً مثله» واخذ علمه من الخليل بن أحمد الفراهيدي ، وتوفي في شيراز سنة 180هـ ، وبرز في علم الحديث عبدالكريم بن مالك من آل اصطخر بأقليم فارس (توفي سنة 127هـ) واخذ علمه من مجاهد وعكرمة والثوري وغيرهم . وبرز في علم اللغة محمد بن عبدالله التوزي نسبة إلى توّج بإقليم فارس و أخذ علمه من الأصمعي .

نشر المثل والقيم العربية الإسلامية:

«لم تقتصر مهمة عرب الخليج في المشرق وسواحل افريقيا على نشر مبادئ الدين الإسلامي الحنيف واللغة العربية والعلوم التي أفرزتها الحضارة العربية الإسلامية . . . بل اتسعت هذه المهمة لتشمل القيم والمعايير والمبادئ والمثل التي آمن بها المجتمع العربي وأقرّها وعززها الدين الجديد .

إن سياسات العديد من الولاة العرب المسلمين وما قدموه من خدمات متميزة لأهل فارس في ميادين متعددة مثل بناء المدن وتمصير الأمصار وبناء الاسوار والحصون وحفر القنوات والترع والاعتناء بالزراعة والتجارة والحِرَف وتوفير أسباب الأمن والاستقرار

---

(1) فتوح ، ص 441 .

(2) الاصطخري ، ص 265 .

(3) فاتق نجم مصلح ، المرجع السابق ، ص 225 فما بعد .

والطمأنينة للمواطن العادي وتنظيم الضرائب والتخفيف من عبئها وتحقيق العدالة في التعامل . . . كل ذلك وغيره قدم لأهل بلاد فارس نماذج متميزة للادارة العربية الإسلامية عملت على تقليص الفجوة وزادت من الثقة المتبادلة وشجعت على ظهور فئة من الفرس ذات نزعة عربية إسلامية في ولائها وفكرها وثقافتها كانت على الدوام خلال العصر الإسلامي الوسيط ضد مخططات الفئة العنصرية من سكان بلاد فارس ومخططاتها الشعوبية ، . ففي رواية للطبري يصف حال أهل بلاد فارس بعد ان تصالحوا وتعاقدوا مع الاحنف بن قيس فيقول :

«إنهم تراجعوا إلى بلدانهم وأحوالهم على أفضل ما كانوا في زمان الاكاسرة فكانوا كأنما هم في ملكهم إلا أن المسلمين أوفى لهم وأعدل»[1] .

وكان أهل اقليم فارس يقولون عن زياد بن ابيه الذي تسلم ولاية فارس وكرمان في عهد علي بن ابي طالب :

«ما رأينا سيرة أشبه بسيرة انو شروان من سيرة هذا العربي في اللين والمداراة»[2] .

وتابع العديد من الولاة سياسة زياد نفسها في تعاملهم مع اقاليم بلاد فارس فكان عمر بن هبيرة والي العراق والمسؤول عن أقاليم بلاد فارس كلها يقول اسلم بن سعيد حين عينه على خراسان[3] :

«مُر أهل كل بلد أن يختاروا لأنفسهم فإذا اختاروا رجلا فوله ، فإذا كان خيراكان لك وان كان شراً كان لهم دونك وكنت معذوراً» .

وفي رواية للبلاذري:

إن العرب بكرمان «عمروا الأرض وأدوا العشر واحتفروا القني»[4] . إن عطاء بن السائب بنى ثلاث قناطر على نهر بلخ تسمى قناطر عطاء ، وأن جزء بن معاوية شق الانهار وعمر الموات من الأرضين[5] . وإن يزيد بن المهلب بنى سوراً لمدينة جرجان . وبنى محمد بن

---

(1) الطبري ، ج4 ، ص 171 طبعة القاهرة .

(2) المصدر السابق ، ج5 ، ص 137 .

(3) المصدر السابق ، ج3 ، ص35 .

(4) فتوح ، ص 391 .

(5) شكري فيصل ، المرجع السابق .

القاسم الثقفي مدينة شيراز ومصرها . وإن خازم التميمي بنى سورا لمدينة المراغة في أذربيجان ومصرّها[1] .

كل هذه الامثلة نماذج لحركة بناء عمراني وتطور حضاري رافق الفتوح أدى العرب دور الريادة فيه .

أدى الخليج دوراً فعالا في فتوحات اقاليم المشرق وقد انتشرت اعداد من القبائل في المدن والقرى في تلك البلاد . وأدت دوراً ريادياً في التعريف بالإسلام ونشره وفي تعليم اللغة العربية وثقافتها وعلومها . كما قام الولاة العرب المسلمون والمستقرون العرب بدور في اعمار البلاد وتطورها تشير اليه العديد من رواياتنا التاريخية .

لقد كان من نتائج هذا العمل الدؤوب الذي قام به العرب- وبقدر مايتعلق الأمر بموضوع بحثنا في نطاق الدين واللغة والثقافة- أن بدأت الديانات المجوسية من زرادشتيه ومانويه ومزدكية بالانحسار امام الإسلام ، الا ان هذا التراجع كان تدريجيا وبطيئا لان العرب المسلمين لم يجبروا احدا على تغيير دينه وتركوا لاهل البلاد حرية الاختيار ومما يدل على ذلك ان بيوت النار استمرت في التواجد في الاقاليم الايرانية وان عددها كان كبيرا نسبيا في اقاليم معينة مثل اقليم فارس وطبرستان وجرجان . على أن نهايات القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي شهدت انحسار الزرادشتيه كدين لتقتصر على المعابد ومن فيها من الموابذة ورجال الدين المجوس .

اما في ميدان اللغة والثقافة والعلوم المدونة في بلاد فارس . فإن الذي نلاحظه هو انحسار اللغة البهلوية القديمة كلغة للكتابة والدواوين والإدارة وحلول اللغة العربية محلها . وقد ظهر خلال هذه الفترة العديد من رجال الفكر والثقافة من الموالى الفرس الذين كتبوا بالعربية في العقيدة وعلوم اللغة والادب وغيرها ولم تستعد اللغة الفارسية مركزها كلغة كتابة وشعر وتأليف الابعد حوالي اربعة قرون من الفتح العربي الإسلامي ، وحتى بعد هذا التاريخ ظلت الثقافة في بلاد فارس ثنائية اللغة (عربية - فارسية) لثلاثة قرون اخرى[3] الا أننا يجب ان نستدرك ونقول بأن عملية احلال اللغة العربية محل البهلوية لم تكن عملية سهلة وأنها لاقت من بعض الأوساط أمثال رجال الدين المجوسى والكتّاب مقاومة شديدة مباشرة وغير مباشرة وأنها كانت تتفاوت من اقليم إلى آخر ، فقد تأخرت عملية تعريب الدواوين في بعض الاقاليم إلى منتصف أو نهاية العصر الاموي .

(1) صالح العلي ، امتداد العرب في صدر الإسلام (مرجع السابق) .

(2) فائق نجم ، مرجع السابق ، 217 فما بعد. شاكر مصطفى ، مرجع السابق ، ج2 ، ص 364 .

(3) المرجع السابق ج2 ، ص365 .

لقد كان من نتائج دخول الإسلام واللغة العربية وعلوم الإسلام إلى المشرق ظهور النزعة التاريخية في ثقافة تلك البلاد التي لم يكن لها تاريخ مكتوب بالمعنى الصحيح حتى تلك الفترة (القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي) . فبعد ان كانت هذه البلاد لا تعرف من تاريخها غير قصص وأساطير وملاحم غير موثقة ، اتجه العديد من ابناء الفرس إلى الكتابة في التاريخ بعد الفتح الإسلامي . ولعل من أسباب ظهور النزعة التاريخية لدى الفرس هو محاولة تفهم وتفسير طبيعة الفتح الإسلامي وابعاده التي ادت إلى انهيار الدولة الساسانية بدينها ولغتها ونظامها أولا ثم محاولة البرهنة من قبل الفرس على الانسجام مع النظام العربي الإسلامي الجديد من خلال تبنيهم لأسسه ومفاهيمه وثقافته ، أليس هذا ما يفسر ظهور سيبويه في النحو والطبري في التفسير والتاريخ والسجستاني في الحديث وغيرهم كثير[1] .

وهكذا فقد كانت حصيلة جهود العرب في المشرق خلال القرون الأولى من ظهور الإسلام أن اقبل العديد من الموالي على تقبل الإسلام وتعلم العربية ودراسة علومها وعلوم الدين والتاريخ وغير ذلك من فروع المعرفة . وليس أدل على دور العرب في هذه النهضة الثقافية انها ظهرت في المدن والمراكز التي استوطنها العرب من بلاد فارس بالدرجة الأولى . وفي هذا الصدد يقول العلي [2] :

«إن الحرية التي وفرها العرب في دولتهم كان لها اثر كبير في ازدهار الفكر ونشاطه في عدد غير قليل من المراكز التي استوطنها العرب وان تشهد الهضبة الايرانية بعد أن أصبحت ضمن الدولة الإسلامية الجديدة أروع ازدهارها فكرياً وحضارياً وأن ينصب معظم هذا النشاط على المعارف المتصلة بالعرب والتي عني بها العرب والتي تجسد تراث العرب الفكري . وان ينمو هذا الازدهار ذاتيا وتلقائيا ومن دون فرض خارجي أو إجبار قسري . . .» .

وحين يتكلم الدوري[3] في العلاقة التاريخية بين العرب والايرانيين يقول مؤكداً على المعنى نفسه :

«وتبقى الصفحات المشرقة في جوانب الثقافة والحضارة عموما في اسهام الايرانيين مع العرب في إغناء تلك الجوانب وتوسيع افاقها بالعربية في فترة التكوين ثم بالعربية

---

(1) صالح العلي ، نقل كتب العلوم ، ص 14 .

(2) صالح العلي ، نقل كتب العلوم إلى العربية (مرجع السابق) ،ص14 .

(3) عبدالعزيز الدوري ، ندوة العلاقات العربية - الايرانية ، العلاقة التاريخية ، قطر ، 1995 ، ص45 .

والفارسية بعدئذ ، فهل ننظر إلى التاريخ الحضاري خلفية ايجابيه في نظرتنا إلى التاريخ ودراستنا له أم نتطلع إلى جزئيات سلبية سياسية وغيرها؟ وهل نريد التاريخ شدا إلى الوراءواعاقة للحركة ، أم نريده سبيل انطلاق لمستقبل افضل؟» .

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن السلطة المركزية الإسلامية في العاصمة كانت تدرك تماما اهمية الخليج باعتباره ممرا حيوياً للتجارة لكثرة موانئه وصلاحية مياهه للملاحة من هنا فقد وضعت السلطة نصب عينيها تأمين الاستقرار في كل الأقاليم المطلة على الخليج ورغم حدوث اضطرابات سياسية في جنوبي العراق متمثلة في حركة الزنج في البطيحة والاحواز ، وسيطرة الاباضية على اقليم عمان والقرامطة على البحرين الا ان العباسيين نجحوا في تحقيق هدفهم في السيطرة على الخليج وتأمين استقراره وضمان استمرار المواصلات البحرية عبره . خاصة إذا علمنا بأن هدف العباسيين كان السيطرة على سواحل الخليج وموانئه الرئيسية ومحاولة دفع الثوار نحو الداخل قدر الإمكان وعدم التدخل في شؤونهم مالم يهددوا الأمن الملاحي للخليج ونفوذ العباسيين على السواحل .

لقد ساعدت هذه السياسة على ازدهار التجارة وتنشيط الحركة الملاحية اكثر من ذي قبل[1] . فأصبح عرب الخليج يمتلكون زمام مياهه ويجوبون البحار إلى الهند والصين وإفريقيا . إن هذه النظرة عينها هي التي دفعت المنصور مؤسس الخلافة العباسية إلى اختيار موقع بغداد ليكون عاصمة لدولته فهو بذلك سيكون على حد قول أحد صحابته :

«وأنت يا امير المؤمنين على الصراة ودجلة تجيئك الميرة من الغرب وفي الفرات من الشام والجزيرة ومصر ، وتحمل اليك طرائف الهند والبصرة وواسط في دجلة . وتجيئك ميرة ارمينية واذربيجان وما يتصل بها وتجيئك ميرة الموصل وديار بكر وربيعة . . .»[2] .

وكانت البصرة والابلة وسيراف وصحار أهم موانئ الخليج الإسلامية رغم أن السفن النهرية تستطيع أن تصل إلى بغداد والموصل عبر دجلة والفرات وتنقل السلع إلى ما ورائها . وبهذا كانت تجارة العالم تنقل من الشرق الاقصى إلى العراق عبر الخليج وتنقل منها إلى البحر الأبيض المتوسط ثم إلى سائر انحاء أوروبا . ولولا الخليج العربي لفقد البحر المتوسط اهميته في الفترة العباسية .

---

(1) فاروق عمر ، ببليوغرافيا في تاريخ عُمان ، مجلة المورد ، ص 275 .

(2) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج1 ، ص 1-23 .

وتحفل كتب الجغرافيين المسلمين بوصف موانئ الخليج وطرقه البحرية ومدى الازدهار والعمران الذي وصلت اليه كما تصف السلع والبضائع المتبادلة والمتاجر فيها فيشير المقدسي[1] إلى (آلات الصيادلة والعطر كله حتى المسك والزعفران والبقم والسابع والساسم والعاج واللؤلؤ والديباج والجزع واليواقيت والانبوس والنارجيل والقند والاسكندروس والصبر والحديد والرصاص والخيزران والفضار والصندل والبلور والفلفل وغير ذلك . . .)[2] ويشير الاصطخري إلى «الفواكه الجرومية من الموز والرمان والنبق ونحو ذلك» كما يشير ابن [3] حوقل إلى تجارة اللؤلؤ أما ابن خرداذبة[4] . فيشير إلى السلع المنقولة برا وبحرا عن طريق عُمان إلى البحر العربي فالبحر الأحمر فالمتوسط :

«يجلبون من المغرب الخدم والجواري والغلمان والديباج وجلود الخز والفراء والسمور والسيوف . . . ويحملون من الصين المسك والعود والكافور والدار صيني وغير ذلك . . . فربما دخلوا بتجارتهم إلى القسطنطينية فباعوها من الروم وربما صاروا بها إلى ملك فرنجة يبيعونها هناك . . .» .

ويبدو من روايات الجغرافيين المسلمين أن هناك ثلاث طرق رئيسية وأخرى فرعية ، اما الطرق الرئيسية : فأولها يبدأ من بروفنس الفرنسية بحرا ليصل إلى انطاكية على الساحل الشرقي للمتوسط ثم تستمر الرحلة برا عبر بلاد الشام مرورا بالفرات حتى بغداد . ومن بغداد تسير الرحلة عبر دجلة إلى البصرة فالابله . ثم تتابع سيرها إلى صحار بعمان أو غيرها من موانئ عمان ومن عُمان تتابع الرحلة السواحل الشرقية للخليج فتمر بسيراف ثم عبر البحر العربي والمحيط الهندي إلى الهند والصين وسيلان .

اما الخط البحري الثاني فهو من أوروبا عبر المتوسط ثم البحر الأحمر حيث ترتبط الفرما برا بمدينة القلزم (السويس) أو تأخذ الطريق النهري في نهر النيل ثم البحر الأحمر ثم تتابع سيرها لتتوقف في عُمان ومن هنالك تمخر عبر الخليج العربي أو تكمل الطريق إلى جنوبي شرقي اسيا .

---

(1) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص 97 .

(2) المسالك والممالك ، ص 77 .

(3) صورة الأرض ، ص44 .

(4) المسالك والممالك ، ص 154 .

اما الخط التجاري الثالث فهو بري يبدأ من روسيا شمالا حتى بغداد بالعراق ومن هناك يأخذ أيا من الطرق التي اشرنا اليها سابقا . كما وان هناك طريقا بريا من بغداد إلى الصين عبر بلاد فارس .

ويشير ابن الفقيه إلى الموانئ التي ترسو فيها السفن في الخليج العربي عبر الخطوط الملاحية فيقول :

«إن أكثر السفن الصينية تحمل من البصرة وعمان وتعبأ بسيراف وذلك لكثرة الموج في هذا البحر وقلة الماء في مواضع منه ، فإذا عبئ المتاع استعذبوا الماء إلى موضع منها يقال له مسقط وهو أخر عُمان وبين سيراف وهذا الموضع نحو مائتي فرسخ وفي شرقي هذا البحر فيما بين البلاد سيف . . . وفي غربي هذا البحر جبل عُمان . . . فاذا جاوزت الجبال صرت إلى موضع يقال له صحار عُمان . . . فتختطف السفينة منها إلى بلاد الهند . . .»[1] .

أما أهم موانئ الخليج وأقدمها فهي الأبله وتعود أهميتها إلى وقوعها في نهاية نهري دجلة والفرات وعلى الطرف الشمالي من الخليج وقد جذب هذا الموقع اهتمام العرب المسلمين ولهذا اوصى الخليفة الصديق خالد بن الوليد حين سار إلى العراق أن يبدأ «بفرج الهند وهي يومئذ الابله» ويمكننا القول إن فتح الابله كان له مغزاه الاستراتيجي لانه يهدف إلى حصار الساسانيين اقتصاديا بسد منفذ مهم من منافذ تموينهم[2] .

على ان انشاء البصرة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب سنة 17هـ ، أو قبل ذلك بقليل قد أثر كثيرا على مكانة الابله وكذلك موانئ البحرين حيث بدأت التجارة تنتقل بصورة تدريجية إلى البصرة وخاصة بعد ازدياد اهميتها الادارية والعسكرية وكثرة سكانها في أواسط العصر الاموي ثم في العصر العباسي .

ولم ينافس البصرة خلال العصر العباسي إلا ميناء سيراف على الساحل الشرقي للخليج حيث كان ازدهارها التجاري في القرنين الثالث والرابع للهجرة ويمتدح هذا الميناء العديد من الجغرافيين حيث يصفها المقدسي «دهليز الصين دون عُمان وخزانة فارس وخراسان»[3] .

---

(1) كتاب البلدان ، ص 135 .

(2) عادل الالوسي ، تجارة العراق البحرية . . .ص63 .

(3) احسن التقاسيم ، ص436 .

اما أهم موانئ البحرين التجارية في الفترة الإسلامية فأهمها : هجر التي كانت مركز البحرين الاداري والتجاري على حد سواء ويبدو أن اهميتها التجارية تعود إلى عصور ما قبل الإسلام[1] ثم يأتي ميناء دارين على ساحل البحرين الطويل بعد هجر في الاهمية وقد اشتهر من صادراتها المسك . اما الميناء الثالث على ساحل البحرين فهو ميناء عقير . إلا أن موانئ البحرين هذه فقدت اهميتها تدريجيا بسبب ازدهار ميناء البصرة كما اشرنا إلى ذلك سابقا .

ولم يقل دور عُمان التجاري عن بقية أقاليم الخليج العربي بل ربما فاقت عُمان الاقاليم الاخرى في بعض التجارات ولهذا يقول المقدسي :«من أراد التجارة فعليه بعدن أو عُمان أو مصر» ولعل تلك الاهمية تبرز خلال القرن الأول من عصر الخلافة العباسية اما اهم موانئها فهو صحار ملتقى السفن القادمة من الصين والهند وافريقيا وقد اطنب الجغرافيون في وصفها فقالوا عنها :

«صحار هي قصبة عُمان ليس على بحر الصين اليوم بلد أجل منه ، عامرة أهله . . . اسواق عجيبة . . . دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق واليمن» .

وثاني موانئ عُمان هي مسقط وقد زاد من أهميتها كونها مركزاً للغوص وصيد اللؤلؤ والواقع ان عُمان اشتهرت باللؤلؤ وتصديره وفيها مغاصات في صور[2] ومسقط وتوام .

ويشير الطبري إلى ميناء ثالث من موانئ عُمان هو دبا ويسميه «المصر والسوق العظمى» على ان اهميته لم تكن تضارع الموانى العمانية الاخرى .

والجدير بالذكر ان هذه الموانئ الخليجية لعبت دوراً اساسياً في النشاط التجاري مع الشرق الاقصى وشرقي إفريقيا كما ساهمت ايجابيا في الازدهار الاقتصادي داخل الدولة العربية الإسلامية عبر العصور .

وقد اوردت مصادرنا العديد[3] من اسماء وأنواع المواد التجارية المصدرة والمستوردة من وإلى منطقة الخليج العربي . فمن المواد المستوردة التوابل بأنواعها وخاصة الفلفل والكافور

---

(1) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 136- رمزية الخيرو ، تجارة الخليج العربي ، ص86 .

(2) يرى الاستاذ أمين الريحاني بأن الفنيقيين كان لهم نشاط تجاري قديم في الخليج وهم الذين انشأوا مدينة صور الشامية على اسم مدينتهم الاولى في عُمان (انظر ملوك العرب ج221/2) .

(3) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص 13 ، الطبري ، تاريخ ، ط1979, 433 .

والقرنفل والعود والمسك والعنبر ، ومن الاخشاب المستوردة النارجيل والساج والصندل والخيزران والانبوس . ومن الاحجار الكريمة الياقوت والسنباذج كما كان الرقيق من شرقي افريقيا يجلب إلى العراق بصورة خاصة لاستخدامه في استصلاح الأراضي والزراعة والخدمة في البيوت والحرف .

اما اهم المواد المصدرة فكانت الانسجة بأنواعها المختلفة والخيول العربية الاصيلة المشهورة في العالم ثم التمور والفواكهة ثم البخور وخاصة (اللبان) الذي ينتج من منطقة ظفار . وماء الورد والدر واللؤلؤ وغيرها[1] .

ولم يقتصر اثر الخليج العربي على ازدهار التجارة وانتعاش الاقتصاد في المنطقة ككل بل تعداه إلى التأثير البشري والعقائدي فقد لعب التجار المسلمون دورا مهماً في نشر الإسلام واللغة العربية في جنوبي شرقي آسيا حيث تكونت هنالك جاليات عربية إسلامية كبيرة كانت مرتبطة بالوطن الأم وساعدت على نشر الإسلام والثقافة العربية هناك ولعبت الدولة العربية الإسلامية وخاصة في العصر العباسي دورها في دعم نشاط هؤلاء التجار وذلك بالحفاظ على علاقات طيبة مع بلدان سنديريب السند والهند وأندونيسيا والصين وارسال السفارات والوفود إليها من اجل ديمومة تلك العلاقات الودية .

اما مع الساحل الشرقي الافريقي فإن علاقات العرب البشرية والسياسية والتجارية قديمة جداً . وبقدر مايتعلق الامر بالفترة الإسلامية فقد هاجر المسلمون إلى الحبشة هربا بدينهم من أذى قريش كما هاجر بعض الازد من عُمان إلى الساحل الافريقي هربا من السلطة الاموية .

لقد استطاع التجار العرب المسلمون ان يؤسسوا مستوطنات على ساحل افريقيا الشرقي وخاصة في موزنبيق وزنجبار . ويشير بعض المؤرخين إلى أن ميناء مقديشو أُنشئ في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي من قبل مهاجرين من العرب الخلجيين[2] .

والجدير بالذكر ان التجار والمستوطنين العرب المسلمين في شرقي افريقيا لعبوا دورا مهما في نشر العربية والإسلام في هذا الجزء من العالم . وتبدو صلات عُمان القوية مع شرقي افريقيا في انتشار المذهب الاباضي هناك على طول الساحل الصومالي وفي الجزر الغربية

---

(1) عن مواد التجارة ، راجع ، عادل الالوسي ، تجارة العراق . . . ، ص 195-246 .

(2) شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ص395- الخيرو ، المرجع السابق ، ص172 .

وزنجبار والسودان الافريقي . وهكذا قدر للمذهب الإباضي الذي انتشر في الشمال الافريقي على يد دعاة تلقوا العلم في البصرة ، قدر لهذا المذهب ان ينتشر في الشرق الافريقي على يد دعاة اباضية من عُمان .

ولعل اهم ما يستورد من بضائع من شرقي افريقيا[1] العاج وجلود النمور والبقر وكذلك الذهب حيث تشهتر افريقيا بمناجم الذهب منذ القدم . كما اشرنا إلى رواج تجارة العبيد خلال تلك الفترة .

إن التبادل التجاري هو أهم واقدم وسائل الاتصال الحضاري بين الشعوب لعب دورا في انتشار الإسلام وحضارته فأهل الخليج بحارة ماهرون وتجار متمرسون وقد ركبوا البحر منذ أقدم الازمنة وازدادت فعالياتهم التجارية نشاطا في العصر الإسلامي وأصبحت لهم جاليات ومراكز وموانيء على سواحل الهند وأندونيسيا وشرقي افريقيا .

والمتفق عليه بين جمهور المؤرخين ان الإسلام لم ينتشر في هذه البلاد وبتلك السرعة عن طريق الارساليات التبشيرية التي لا وجود لها في الإسلام وعلى ذلك فقد انتشر الإسلام بوسائل الدعوة والتعامل عن طريق الاحتكاك بالناس والانفتاح عليهم ومعايشتهم وتعرّف سكان البلاد على سلوك ومعاملة المسلمين التجار والبحارة والجاليات الإسلامية التي استقرت هناك ومن ذهب معها من علماء وفقهاء مسلمين .

ثم إن الجاليات الإسلامية لم تكن منغلقة على نفسها بل منفتحة يختلط المسلمون مع سكان البلاد ويتعاملون معهم ويصاهروهم وبهذا يتيسر لسكان البلاد معرفة الدين الإسلامي والدخول فيها بارادتهم .

إن الطريقة السلمية التي وصل بها الإسلام إلى الشرق الاقصى وافريقيا الشرقية عن طريق أهل الخليج لم تثر حفيظة سكان تلك المناطق ولم تستفزهم ولهذا اطمأنوا إلى الدين الإسلامي الجديد واقبلوا عليه وبهذا ازداد عدد المسلمين في هذه الاقاليم . ويبدو ان أول كيان سياسي على شكل مملكة إسلامية في أندونيسيا ظهر مع بداية القرن الثالث الهجري سنة 226هـ/ سنة 840م ، وهي مملكة بارلاك .

اما على الساحل الشرقي لافريقيا فيعتبر العمانيون أول من أقام مراكز هناك ويعود ذلك إلى اواسط العصر الاموي . اما أول كيان سياسي إسلامي على الساحل الافريقي الشرقي

---

(1) راجع ، الخيرو ، تجارة الخليج العربي ، ص 176-180 .

فربما يعود إلى أول القرن العاشر الميلاد/ الرابع الهجري حين استطاع عدد من أئمة الزيدية المهاجرين إلى شرق افريقيا ان يؤسسوا دولة كيلوا الشيرازية التي توسعت في القرون التالية حتى غدت تعرف بامبراطورية الزنج .

وعلى ذلك نستطيع ان نقرر بأن من وسائل انتشار الإسلام في هذه الاصقاع : أولا : التجار المسلمون من أهل الخليج بالدرجة الأولى الذين جابوا هذه المناطق واستوطنوا فيها وكونوا مصاهرات وعلاقات اجتماعية وتجارية نشطة ومتينة . وثانيا : الفقهاء المسلمون الذين لحقوا أو رافقوا الجاليات .

وقد امتد تأثير أهل الخليج في هذه المناطق ليشمل المظاهر الثقافية الاخرى . فلقد أثرت اللغة العربية لغة القرآن الكريم والعقيدة الإسلامية في العديد من لغات جنوبي شرقي اسيا وسواحل افريقيا الشرقية . وتؤكد العديد من الدراسات الحديثة على وجود مصطلحات وكلمات عربية عديدة في هذه اللغات مثل اللغة السواحيلية في افريقيا واللغة الفارسية واللغة الأوردية واللغة الاندونوسية . كما وضح التأثير الثقافي في مجال الادب في تلك الاقاليم فقد وجدت على سبيل المثال مجموعة من الادب الاسطوري والحكايات البطولية الأندونيسية متأثرة إلى حد كبير بقصص السندباد البحري وروايات الف ليلة وليلة . وكان نسبة كبيرة من سكان كانتون (خانقو) الصينية يتكلمون العربية . ويمكن ان يقال الشيء نفسه عن مدن اردبيل . . . والمنصورة .

إن هذا التأثير الثقافي والاقتصادي لأهل الخليج على الاقاليم التي وصلوا اليها يعود دون شك إلى النهضة الثقافية والتجارية التي شهدتها منطقة الخليج في العصور الإسلامية وخاصة في العصر العباسي فقد ظهر في الكوفة والبصرة وواسط ثم بغداد وهجر ونزوى والرستاق وصحار وهرمز وسيراف وغيرها العديد من المفكرين والادباء والعلماء حتى ان هذه المدن انتجت تراثا يمثل صفحة مضيئة في تاريخ الحضارة الإسلامية .

الخاتمة

نخلص من هذه الدراسة إلى ان الخليج العربي وطن يتكون من مجموعة اقطار وهو جزء من الوطن العربي ويمثل حدوده الشرقية التي تقف عند حافات جبال زاجروس .

إن اقاليم الخليج في العصور الإسلامية هي البحرين وعُمان والعراق والاحواز ، وهي اقاليم عربية بشريا وتاريخيا وجغرافيا . كما وأن السواحل الشرقية للخليج العربي يسكنها العرب الذين هاجروا اليها قبل الإسلام وهاجروا اليها بعده كذلك .

لقد ظل الخليج خلال العصور الإسلامية الوسيطة بحيرة عربية - إسلامية يتمتع فيها العرب المسلمون بدور الريادة والنفوذ السياسي والتجاري على البر والبحر وعلى كافة السواحل المحيطة بمياهه .

أما الوحدة الحضارية التاريخية للخليج فقد اثبتتها المكتشفات الاثارية الحديثة والتي اشارت إلى وجود الحضارة في اقاليم الخليج المختلفة في وقت واحد أو أوقات متقاربة فقد ظهرت الحضارة بالعراق في حوالي الالف الخامس قبل الميلاد واعقبتها حضارة بلاد عيلام (جنوبي شرقي العراق والاحواز) بينما ظهرت حضارات دلمون (البحرين) ومجان (عُمان) في حوالي الالف الثالث قبل الميلاد ، ولقد استمرت هذه الحركة الحضارية المشتركة حتى سقوط بابل سنة 538 ق .م . على يد الإخمينين ، وقد وسع الساسانيون نفوذهم على مناطق من أقاليم الخليج الأخرى بعد احتلالهم للعراق .

ولكن النفوذ الساساني لم يؤثر كثيراً على البنية الاجتماعية والهوية الثقافية لأقاليم الخليج . فقد فشل الفرس في اعاقة حركة القبائل العربية في هذه الاقاليم لم يتمكنوا من إيقاف التدفق والاستيطان العربي على السواحل الشرقية ذلك لأن الفرس لم يكونوا بحارة ماهرين في الوقت الذي ازداد دور العرب البحري والتجاري . وحتى حين غدا لدولة الفرس اسطولا فإنها اعتمدت في تسييره على العرب ملاحي الخليج في تلك الفترة .

بل أكثر من ذلك فإن الدول الإخمينية والفرثية والساسانية لم تستطع ان تسيطر تماماً على العرب في اقاليمهم التي تمتعوا فيها باستقلال تام أو ذاتي عن السلطة الفارسية

التي لم يكن لديها على السواحل سوى مراكز تحرسها حاميات فارسية في هذه الاقاليم العربية . في الوقت الذي نجح العرب في تأسيس إمارة المناذرة في العراق ثم امارة ميسان في جنوبي شرقي العراق والاحواز حوالي سنة220 ق .م واستمرت أكثر من اربعة قرون وكان ملوكها يلقبون بلقب «ملك العرب» وكانوا على صلات وثيقة بعرب البحرين ، وكونوا صلات تجارية مع دولة الانباط في جنوبي بلاد الشام .

لقد وصلت المقاومة العربية في الخليج ذروتها للساسانيين حين اصطدم عرب العراق في معركة ذي قار واصطدم عرب البحرين في معركة الصفقة واصطدم عرب عمان في معركة قلهات بالجيش الساساني وحققوا نصرا مبدئيا مهما .

ثم جاء الإسلام وكانت قيادة الدولة الإسلامية بالمدينة تنظر إلى هذه الاقاليم الخليجية كوحدة واحدة في خططها الخاصة بالفتوحات ونشر الإسلام . ولذلك شاركت قبائل غربي العراق في تعقب مرتدي البحرين واستأصلت فلولهم وشارك المسلمون من أهل البحرين وعُمان في عمليات فتح العراق . وفي العمليات العسكرية التي بدأت من البصرة لفتح بلاد فارس ، ولذلك نهض العراق لنجدة المسلمين المحاصرين في سواحل الخليج الشرقية بقيادة العلاء بن الحضرمي وانقاذهم ثم الانسحاب بهم نحو العراق ، ثم شاركت قبائل الخليج المسلمة في تحرير الاحواز من سيطرة المرزبان ، وبهذا شارك اهل عمان والبحرين في مشاغلة الفرس ووقف محاولاتهم للزحف من الجنوب وتطويق المسلمين على الجبهة الشرقية . وبذلك قضوا على آخر أمل للفرس لاستعادة نفوذهم في الخليج بحركة مباغته . إن كل ذلك يظهر التكامل العسكري لمنطقة الخليج وكيف تستطيع اقاليمه أن تنجد بعضها بعضا عند نشوب الخطر . لإن أي خطر على أحدها هو خطر عليها كلها .

وحين استقرت أمور الدولة العربية الإسلامية وبدأ تنظيم الدولة اداريا وسياسيا يبدو دور العراق في منطقة الخليج ، فلقد شملت مسؤولياته الادارية والسياسية والعسكرية اقاليم الاحواز والبحرين وعمان . كما غدت العراق قاعدة لفتوحات المشرق (بلاد فارس) . واحتلت البصرة مكانا مهما في النشاط التجاري والملاحي حيث اصبحت المركز الرئيسي للسفن التجارية وللأسطول الحربي الإسلامي الذي يؤمن الاستقرار في منطقة الخليج تجاه الاخطار المهددة لأمنه وتجارته . وعدا عن هذا وذاك غدت البصرة والكوفة بالعراق مراكز للاشعاع الفكري في المجتمع الإسلامي ولا شك ان تأثيرها في هذا الاتجاه على اقاليم الخليج كان مباشرا . فالعديد من علماء الخليج درسوا في البصرة وعاشوا فيها والعديد من

الحركات الفكرية والسياسية التي ظهرت في اقاليم الخليج كان منشؤها في البصرة أو الكوفة .

إن العراق بالنسبة إلى منطقة الخليج العربي هو الرأس وعليه- شاء أم أبى- أن يتحمل المسؤولية في والريادة وتنصل العراق من هذا الموقع يفقده هويته الخليجية العربية الإسلامية . ولاشك فإن هنالك عوامل جعلت العراق يتحمل العبء الأول في المسؤولية نذكر أهمها :

أولا : لقد عاش العراق على الدوام في خطر بسبب اهمية موقعه الجغرافي والاقتصادي ولقد كان هذا الخطر يتأتى دائما من جهة الشرق والجنوب الشرقي . ولا شك فإن الخطر الدائم أرهف الحساسية وشحذ الوعي وعمق من إمكانيات الانفتاح لدى أهل العراق أكثر من غيرهم .

ثانيا : وكان العراق أكثر من غيره من اقاليم الخليج مستهدفاً ذلك لأن العدو الخارجي كان يرى فيه مفتاح المنطقة ومكمن القوة إذا سيطر عليه سيطر على كافة المنطقة أو تحكم فيها .

ولقد كان العراق يحاول دائما ان يبني قوة ذاتيه مؤثرة يحمي نفسه وأقاليم الخليج ولكن كان هناك على الدوام قوة مضادة لاحباط هذه المحاولة .

ثالثا : التوجه الجغرافي للعراق رغم كونه توجه مزدوج نحو الخليج ونحو البحر المتوسط عبر تاريخه ، الا أن توجهه الطبيعي كان ويجب أن يكون نحو الخليج . لإن العراق يشرف على مياه الخليج بجبهة مائية ويتصل العراق بالخليج كذلك بطريق نهري هو طريق شط العرب ، لهذا كان التوجه الجغرافي للعراق مركزا نحو هذه الجبهة البحرية وعليها قامت موانئ العراق التي تربطه بالعالم الخارجي وبأقطار الخليج الاخرى ، ولذلك فإن الخليج من وجهة نظر العراق مسألة حياة .

من هنا كان اهتمام الخلافة العباسية في العراق بضمان استقرار الخليج وأمنه وسحق الاضطرابات في اقاليمه المختلفة ، فالخليج شريان الحياة للعراق وأن عدم استقراره يهدد مصيره ومصير اقاليم الخليج جميعاً .

رابعا : إن حافات جبال زاجروس والبختيارية تعتبر خط الدفاع الأول عن اقاليم الخليج وأن العديد من الغزاة دخلوا منطقة الخليج من هذا الممر محتلين الاحواز ثم العراق

ثم بقية الاقاليم الخليجية ، فلقد نجح طاهر بن الحسين وكاد يعقوب بن الليث الصفار ان ينجح ، ثم نجح معز الدولة البويهي كذلك في احتلال العراق ثم مد سيطرته على بقية المنطقة عبر هذه الطريق . ويبدو أن اقاليم الخليج عبر العصور الإسلامية كانت تدرك مسؤولية العراق باعتباره أول من يواجه الخطر ، كما وان العراق كان يعلم أن أقطار الخليج العربية هي العمق الاستراتيجي له في هذه المواجهة .

المصادر والمراجع والبحوث

المصادر الاصلية

- الازكوي ، سرحان بن سعيد (القرن 12هـ/ 18م) .

* مخطوطة كشف الغمة الجامع لاخبار الأمة ، المكتبة البريطانية رقم 8076 .
ونسخة اخرى في المكتبة المركزية ببغداد مصورة عن نسخة المكتبة البريطانية ، ونسخة ثالثة في المكتبة الظاهرية بدمشق .

* تاريخ عُمان المقتبس من كتاب كشف الغمة ، نشر وزارة التراث القومي ، سلطنة عُمان 1980م .

* كشف الغمة الجامع لاخبار الأمة ، تحقيق أحمد عبيدلي ، قبرص ، 1985 .

- ابو اسحق ، إبراهيم بن قيس الهمداني الحضرمي (القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) .

* مخطوطة مختصر الخصال (المكتبة البريطانية Or. 3744) ، نشر في عُمان1983م .

- الازدي ، جابر بن زيد (ت 93هـ/ 711م) من جوابات الامام جابر بن زيد ، تحقيق الخروصي ، عُمان 1984م .

- البرادي ، أبو الفضل ابو القاسم بن ابراهيم (القرن 8هـ/ 14م) .

* مخطوطة (رسالة في تقييد كتب أصحابنا) ضمن مخطوطة (احكام الديوان) لعدد من علماء الاباضية ، دار الكتب المصرية رقم 21791ب ، حققت ونشرت ضمن كتاب (دراسة في تاريخ الاباضية) لمحمد عزب واخرون ، د .ت .

* الجواهر المنتقاة فيما اخل به كتاب الطبقات ، قسطنطينة طبعة حجرية ، 1305هـ ، كذلك طبعة القاهرة ، 1302 هـ .

- البسيوي ، ابو الحسن علي بن محمد العُماني (القرن 5هـ/ 11م) .
* مخطوطة السيرة الموسومة (الحجة على من ابطل السؤال في الحدث الواقع بعُمان) ، السير العمانية ، الدمام .
* مختصر البسيوي ، زنجبار ، طبعة حجرية ، 1304 هـ . طبعة جديدة ، منشورات وزارة التراث القومي ، عُمان 1976 م .
* جامع ابي الحسن البسيوي ، عمان1984م .
- ابن دريد ، ابو بكر محمد بن الحسن (ت 321هـ/ 933م) .
* ديوان ، القاهرة 1946 .
* الاشتقاق ، القاهرة 1958 .
- ابن بركة ، عبدالله بن محمد البهلوي العماني ، (بداية القرن 5هـ/11م) ، كتاب الجامع ، جزءان ، بيروت ، 1971-1973م .
- ابن رزيق ، حميد بن محمد (ت حوالي سنة 1873م / سنة 1290هـ) .
* مخطوطة الفتح المبين .
(في مكتبة جامعة كمبردج ، برقم Add. 2892) حققت في عمان ، 1977م . وسنة 1994م .
* مخطوطة الصحيفة القحطانية
* Rhodes House, Ms. Afr. 5.3., Oxford
* مخطوطة الشعاع الشائع باللمعان في ذكر اسماء أئمة عُمان .
* في Cambridge University Library حققت ونشرت في عُمان 1978م .
* مخطوطة القصيدة القدسية النورانية في مناقب العدنانية .
* المكتبة البريطانية رقم Or. 6565 .
* مخطوطة الصحيفة العدنانية في المكتبة البريطانية Or 6569 .
* قصة تاريخ عُمان منذ ظهور الإسلام ، دائرة المخطوطات والوثائق العمانية ، وزارة الثقافة ، مسقط ، سلطنة عمان .
- السالمي ، عبدالله بن حميد (ت 1913م/ 1332هـ) .
* تحفة الاعيان بسيرة أهل عُمان ، جزءان ، القاهرة ، 1350هـ/ أو الكويت 1974 ، طبعة جديدة ، مكتبة الاستقامة مسقط ، د .ت .

* جوهر النظام في علم الأديان والأحكام ، القاهرة ، 1925 ، ط4 ، 1981 .
* اللمعة المرضية من الشيعة الاباضية ، تونس ، د.ت .
* شرح طلعة الشمس على الالفية (شريعة) سلطنة عُمان ، 1982م .
* شرح الجامع الصحيح (مسند الامام الربيع بن حبيب الفراهيدي) ، دمشق ، 1963 كذلك طبعة عُمان ، د.ت .

- السعدي ، جميل بن خميس بن لافي .
* مخطوطة قاموس الشريعة ، المكتبة البريطانية Sup. Cal. 1984, 1221 وقد نشرت أجزاء منه في زنجبار 1297-1299هـ ، حقق ونشر في عُمان 1984م .

- المبرد ، محمد بن يزيد الأزدي (ت 258هـ/871م) .
* الكامل ، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم ، القاهرة .
* نسب عدنان وقحطان ، القاهرة 1936 .

- المحروقي ، درويش بن جمعة بن عمر (القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي) .
* كتاب الدلائل في اللوازم والوسائل ، عُمان ، 1980م .
مخطوطة في المكتبة البريطانية رقم Or. 2085 .

- الكندي ، ابو بكر أحمد بن عبدالله السمدي النزوي (القرن الخامس الهجري أو السادس الهجري/ الحادي عشر الميلادي أو الثاني عشر الميلادي) :
* كتاب الاهتداء ، عُمان . 1985 .
* السيرة (ضمن كتاب الاهتداء) .
* المصنف ، عُمان ، 1983 .

- محمد بن موسى (الكندي) أواخر القرن الخامس الهجري أو بعده/ الحادي عشر الميلاد أو بعده .
* مخطوطة كتابة الكفاية .
(جزء منها ضمن كتاب كشف الغمة للازكوي) .

- المعاولي ، ابو سليمان محمد بن عامر بن رشيد المعولي (المعاولي) القرن 12هـ/ 18م .
* مخطوطة قصص واخبار جرت بعُمان .
المكتبة البريطانية Or. 6568 .

- ابو المؤثر ، الصلت بن خميس (القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي) .

* مخطوطة الاحداث والصفات ، ضمن السير العُمانية ، مكتبة الامام غالب بن علي بالدمام وكذلك ضمن السير العمانية (جامعة كمبردج رقم 1405) .

* سيرة إلى ابي جابر محمد بن جعفر (جامعة كمبردج رقم 1402) .

* كتاب البيان والبرهان (جامعة كمبردج رقم 1402) .

- القلهاتي ، محمد بن سعيد (ت في القرن 6 هـ/ 13م) .

* الكشف والبيان ، وزارة التراث القومي ، سلطنة عُمان ، د . ط . 1980 .

- الشماخي ، أحمد بن سعيد (ت 927هـ/ 1521م) .

* السير ، قسطنطينة ، ، طبعة حجرية ، بدون تاريخ ، طبعة جديدة من تحقيق أحمد السيابي ، وزارة التراث القومي ، 1992 .

- شبيب بن عطيه العماني (الخرساني) القرن 2هـ/ 8م : مخطوطة السيرة ، ضمن السير العمانية ، مكتبة الامام غالب بالدمام .

- الصائغي ، سالم بن سعيد بن علي (القرن 12هـ/ 18م)

* مخطوطة كنز الاديب وسلافة اللبيب (اجزاء منه) .

مكتبة جامعة كمبردج رقم Add. 2896 .

- العوتبي ، سلمة بن مسلم الصحاري (القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) .

* مخطوطة انساب العرب ، نسخة بدائرة المخطوطات والوثائق العمانية ، وزارة التراث القومي ، مسقط ،سلطنة عمان .

* نسخة ثانية مخطوطة في دار الكتب المصرية رقم (2461 تاريخ) طبعت ونشرت من قبل وزارة التراث القومي ، سلطنة عُمان ، 1994م .

- ابن قيصر ، عبدالله بن خلفان بن قيصر (القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي) .

* مخطوطة سيرة الامام العادل ناصر بن مرشد .

المكتبة البريطانية رقم Add. 23, 343 pt, I حققت ونشرت في عُمان 1977م .

- مجموعة علماء

* السير والجوابات ، مجموعة من علماء وأئمة عُمان الاوائل ، تحقيق ونشر وزارة الثقافة والتراث القومي ، عُمان ، 1986م .

- ابن الكلبي ، هشام بن محمد (ت 204هـ/ سنة 819م) .
* جمهرة النسب ، ليدن 1966 .
* نسب مضر واليمن الكبير ، دمشق ، د . ت .
- المهري ، سليمان التاجر ، اخبار الصين والهند من كتاب (رحلات العرب) بيروت ، 1974 .
- ابو جعفر الازكوي ، محمد بن جابر (القرن 3-4هـ/ 9-10م) الجامع 1-3 عُمان 1982م .
المؤلف المجهول (نهاية القرن 12هـ وبداية 13هـ/ 18) .
* مخطوطة تاريخ عُمان .
* المكتبة البريطانية Add. 23, 343, pt. II .
- ابن النديم ، محمّد بن اسحق (ت 387هـ/ سنة 997م) .
* الفهرست (بيروت 1964) .
- ابن الرحيل ، ابو سفيان محبوب (ق ، 2-3هـ) السيرة ضمن السير العمانية Cambridge Univirsity. Library no. or. 1402 .
- ابن سلام (ت 273هـ/ 886م) .
* بدء الإسلام وشرائع الدين ، دار صادر ، بيروت ، 1986م .
- الفراهيدي ، الربيع بن حبيب (ت 175 هـ/ 791م) .
* المسند ، مسقط ، سلطنة عُمان ، د . ت (راجع كذلك عبدالله السالمي) .
- وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن افريقية الشرقية ، اعدها السيوجيان ، ترجمها ولخصها يوسف كمال ، القاهرة ، 1927م .
- المفيدي ، سعيد بن علي ، جهينة الاخبار في تاريخ زنجبار ، سلطنة عُمان ، 1986 .
- ابن الحواري ، محمد بن الحواري العُماني (القرن 3-4هـ/ 9-10م) .
* الجامع 1-5 عُمان 1985 .
* السيرة (ضمن السير العمانية) .
- الكدمي ، ابو سعيد محمّد بن سعيد (القرن 4هـ/ 10م) : المعتبر ، ج 1-4 ، عُمان 1985 .
* الجامع المفيد من جوابات ابن سعيد 1-4 ، عُمان 1985 .
* الاستقامة ، 3 أجزاء ، عُمان ، 1985 .
- ابن ماجد ، أحمد ، ثلاثة ازهار في معرفة البحار ، القاهرة ، 1969م .

المراجع العربية الحديثة.

- السيار ، عائشة ، دولة اليعاربة ، عُمان وشرق افريقيا ، بيروت ، 1975 .
- الأحمد ، سامي ، تاريخ الخليج العربي منذ اقدم الازمنة حتى التحرير العربي ، بغداد ، 1985 م .
- إسماعيل ، محمود , الخوارج في المغرب ، بيروت 1976 .
- أبو داود ، سامي ، الاما جابر بن زيد الازدي (اطروحة ماجستير غير منشورة) جامعة ال البيت ، الاردن 1997 .
- ديفدسن ، بادل ، افريقيا تحت اضواء جديدة ، مترجم ، القاهرة ، د . ت .
- الحميدان ، عبداللطيف ، امارة العصفورين ، مجلة آداب البصرة ، 1979 .
- الحميدان ، عبداللطيف ، امارة الجبور ، مجلة آداب البصرة ، 1980 .
- الياسري ، عبدالجبار ، البصرة والخليج العربي ، مجلة الخليج العربي ، 1973 .
- شبر ، جاسم ، تاريخ المشعشعين ، النجف ، 1965 .
- معجم أعلام الاباضية (قسم المغرب) أربعة أجزاء ، نشر جمعية التراث ، الجزائر ، غرداية 1999م .
- الباطشي ، سيف بن حمود ، اتحاف الاعيان في تاريخ بعض علماء عُمان ، جزءان ، مسقط ، 1994 .
- الشيخلي ، صباح ، العلاقات التجارية بين الخليج العربي وشرق افريقيا ، مجلة الوثيقة ، يوليو ، 1988 .
- الحارثي ، مالك بن سلطان ، نظرية الإمامة عند الاباضية ، مسقط ، 1991م .
- الحارثي ، سالم بن حمد بن سليمان
  * العقدو الفضية في اصول الاباضية ، دار اليقظة ، د .ت . طبعة جديدة نشر وزارة التراث القومي ، سلطنة عُمان ، 1983م .
- ناصر محمد ، مكانة الاباضية في الحضارة الإسلامية ، مسقط ، 1992 .
- البحراني ، علي حسن البلاوي ، انوار البدرين من تراجم علماء البحرين ، 1960 .

الدباغ ، مصطفى ، جزيرة العرب ، بيروت ، 1963 .
- حوراني ، جورج فاضلو ، العرب والملاحة في المحيط الهندي في أوائل العصور الوسطى ، مترجم ، القاهرة 1985م .

- الجعيبري ، فرحات ، نفحات من السير ، مسقط 1994م .
- الحلو ، علي نعمة . الاهواز ، بغداد 1965م .
- زلوم ، عبدالقادر ، عُمان والامارات السبع ، بيروت ، 1962 .
- السالمي ، محمد بن عبدالله بن حميد (الابن) . نهضة الاعيان بحرية عُمان ، القاهرة د .ت . عُمان تاريخ يتكلم ، دمشق ، 1963 .
- الحمر ، عبدالله بن خليفة ، البحرين عبر التاريخ ، د .ت .
- الرواس ، عصام بن علي ، نظرة على المصادر التاريخية العُمانية ، وزارة التراث القومي ، 1993م .
-سلطنة عُمان ، وزارة الثقافة ، عُمان وتاريخها البحري ، عُمان ، 1979 .
- سعيد ، أمين ، الخليج العربي في تاريخه السياسي ، دار الكاتب العربي ، د .ت .
- سلطان ، عبدالمنعم ، تاريخ عُمان في العصر العباسي ، الاسنكدرية ، 1998م .
- الجاسر ، حمد ، الدولة الجبرية في الاحساء ، مجلة العرب ، 1967م .
- العقيلي ، محمد ، الخليج العربي ، العين ، 1983 .
- السيابي ، سالم ، اسعاف الاعيان بسيرة أهل عُمان ، بيروت 1965 ، طبعة اخرى1984 .
- النجار ، محمد ، امارة المشعشعين ، بغدا ، 1982
- مهدي طالب هاشم ، الحركة الاباضية في المشرق العربي ، بغداد 1981 .
- الدجيلي ، محمد رضا . الازارقة ، بغداد ،1973 .
- خليفات ، عوض ، نشأة الحركة الاباضية ، عُمان1978 .
- الاصول التاريخية للفرقة الاباضية ، سلطنة عُمان ، 1988 .
- النظم الاجتماعية والتربوية عند الاباضية في شمال افريقيا ، عُمان ، 1982 .
- عمر ، فاروق ، الامامة الاباضية في عُمان ، نشر جامعة آل البيت ، المفرق ، 1997م .
ملامح من تاريخ الحركة الاباضية كما تكشفها مخطوطة الازكوي ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد الثاني5 .
ببليوجرافيا في تاريخ عُمان ، مجلة المورد ، 1975 .
دراسات في تاريخ عُمان ، نشر جامعة آل البيت ، ، المفرق ، 2000م .

- العبيدلي ، أحمد ، الامام عزان بن قيس 1868-1871 ، بيروت 1984 .
- عبدالرسول ، كوثر ، دراسات في الهجرات الحديثة إلى افريقيا ، حوليات آداب عين شمس ، القاهرة 1973 .
- جهلان ، عدّون . الفكر السياسي عند الاباضية ، سلطنة عُمان 1991م .
- الجهضمي ، زايد بن سليمان ، حياة عُمان الفكرية حتى نهاية الامامة الأولى 134هـ . د .م .1998 .
- الدجيلي ، خولة . العلاقات العربية الإسلامية مع الساحل الشرقي الافريقي ، رسالة دكتوراة ، جامعة بغداد ، 1980م .
- معمر ، علي يحيى ، الاباضية في موكب التاريخ ، القاهرة ، 1964 .
- الاباضية بين الفرق الإسلامية ، القاهرة 1976 .
- قاسم ، جمال استقرار العرب في ساحل شرق افريقيا ، حوليات اداب جامعة عين شمس ، القاهرة ، 1967 .
- الاصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية ، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة ، معهد البحوث والدراسات ، القاهرة ، 1975 .
- القنوبي ، سعيد بن مبروك ، الامام الربيع بن حبيب الفرهودي ، عُمان ، 1995م .
- النجم ، عبدالرحمن العاني ، عُمان في العصور الإسلامية الأولى ، بغداد 1977 .
- دور العمانيين في الملاحة والتجارة الإسلامية ، سلطنة عُمان ، وزارة التراث القومي ، عُمان 1981 .
- البحرين في صدر الإسلام ، بغداد 1971 .
- ماجد ، عبدالمنعم ، سياسية الفاطميين في الخلية العربي ، المؤرخ العربي ، 1980 .
- محمد ، جاسم ياسين ، عُمان ، دراسة في احوالها السياسية والادارية 280هـ- 447هـ (رسالة ماجستير) البصرة 1986 .
- العلي ، صالح أحمد ، الاحواز في العهود الإسلامية الأولى ، بغداد ، د .ت .
- قلعجي ، قدري ، الخليج العربي ،بيروت 1965 .
- مايلز ، س . ب ، الخليج بلدانه وقبائله ، ترجمة ونشر وزارة التراث القومي ، سطنة عُمان ، 1994 .
- حصاد ندوة الدراسات العُمانية ، عُمان ، 1986م .

- معروف ، نايف ، الخوارج في العصر الاموي ، بيروت ، 1977 .
- بحّاز ، إبراهيم بكير ، الدولة الرستميه ، القرارة ، 1993م .
- زيادة ،نيقولا ، أفريقيات ، لندن ، 1991م .
- غباش ، حسين عبيد ، عُمان ، الديمقراطية الإسلامية ، دار الجديد ، د . ت .
- الهيتي ، صبري ، الخليج العربي دراسة في الجغرافية السياسية ، بغداد ، 1997 .
- لاندن ، ر ج . عُمان مسيراً ، ومصيراً ، ترجمة ونشر وزارة التراث القومي ، سلطنة عُمان ، 1989 .
- زكي ، عبدالرحمن ، الإسلام والمسلمون في شرق افريقيا ، القاهرة ، 1965م .
- السهيل ، نايف ، الاباضية في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، مسقط ، 1998م .
- محمد بن يوسف اطيفش (ت 1914م) : تيسير التفسير للقرآن الكريم ، وزارة التراث القومي سلطنة عُمان ، القاهرة 1986م .
- شرح النيل وشفاء العليل ، المجلدات1-7 جلدة ، 1405هـ/ 1985م .
السيرة الجامعة من المفردات اللامعة ، عُمان 1985 .
وزارة الداخلية العمانية ، المرشد العام للولايات والقبائل في سلطنة عُمان ، عُمان 1982 .

المراجع والابحاث الاجنبية الحديثة:

- Al- Askari, S. (ed.) A Study on Khashf - Ghumma, (1-11-, Chapts XIXXVII, Ph. D. thesis, Univ, of Manchester, 1984.

- Al- Ma amiry, A, Oman and Ibadhism , New Delhi, 1989.

- Badger, G. P.

History of the Imams and Seyyidd of Oman, London, 1871.

- Bates, ML.

Unpublished Wajihid and Byuid coins from 'Uman, in the American numismatic society Arabian Studies, I. 1974, 171-175.

Bathurst, R.D.

- The Ya rubi dynasty of Oman, D. Phill., 1967. Oxford , Bodlein Library, Ms. D. Phil. d .3914.

Maritime trade and Imamate government: Two principal themes in the history of Oman to 1728, in Arabian Peninsula, ed. by D. Hopwood, 1972.

BeCkingham, C.F.

The reign of Ibn Said , Imam of Oman, J.R.A.S., 1941.

- Barth, E., Sohar: Culture and Society in an Omani Town, London, 1983.

- Bivar, A. D. H.

The Coinage of Oman under Abu Kalijar, N. C., 1958.

Caskel, W.

"Eine 'Unbekannte Dynastie in Arabien" Oriens, Leiden, II, 1949, PP 66ff.

- Halliday, F.,Arabia without Sultans, New York, 1975.

- Al - Qasimi, S., The Myth of Arab Piracy in the Gulf, London, 1986.

- Eccles,G. J.
The Sultanate of Mascat and Oman, J. Roy. C.A.S., 1927.
- Ennami, A. K.
A description of new Ibadi Ms, from North Africa, J, Sem. Studies, XV, 1970, 63-87.
With a critical edition of
(1) Section II part I of Kitab Kawa id al - Islam by I. M.al- Jitali.
(2) Kitab Usul al- din by Tabghwin al- Malshuti.
(3) Ajwibat Ibn Khalfun by Abu Yaqub Yusuf b. Khalifun.
Guest, R.
Zufar in the Middle Ages., I. C.,1935.
Kabir. M
The Buwayhid dynasty of Baghdad, Calcutta, 1964.
Kelly,j.B.Eastern Arabian Frontiers,London,1964.
Sultanate and Imamate in oman,London,1959.
- Klein,H.,Akhbar Ahl'Uman,ed. of Ch.33 of al-Azkawis' Kashf, Hamburg,1938.
- Lewis, B. The Fatimids and the Route to India , Publication in the R.F.S.E. de l'Universite d'istanbul, II , 1953.
Lweidki, T.
Les Ibadites dans I' Arabie du sud au moyen-gae, Akten des XXIV,Int. or, cong. Munich, 1957, 362-364.
Lockhart. L.
The menace of Muscut and its consequences in the late 17th and early 18the Centuries, Asiatic Review, 1964.
- Carter, J., Tribes in Oman, London, 1982.
- Cook, M.,Early Muslim Dogma, Cambridge, 1981.

- Phillips, W.,Oman, A History , Beirut, 1971.

- Storm ,W. H.,

The Arabs of Oman, M.W., 1934.

- Salem, E.

Political theory and Institurtions of the Khawarij. J. H. U.S., XLLIV. On, 2, 1966.

Vaglieri, L.,

L' imamato Ibadita dell' Oman,ALUON., 3, 1949.

Watt, M., Kharijite Thoughi in the Umayyad Period, Derlslam, 36, 1961.

- Wilkinson, J.C.

Arab Settlement in Oman: The origins and development of the tribal pattern and its relationship to the Imamate, D. Phill, Thesis, Oxford.

-Water and Settelment in Oman, Clarendon Press, 1971.

- The Origins of the Omani State, published in the Araian Peninsula. 1972.

- Arab - Persian Land relationships in late Sassanid Oman, Proceedings of the 6th Seminar for Arabian Studies;, 1973.

- The Julanda of Oman. J. of Oman Studies, 1, 1975.

- The Ibadi Imama, B. S. O.A.S., 39.1976.

- Biobibliographical background to the crisis period int the Ibadi Imamate, Arabian Studies, III.

- The fiqh and other early Ms. in the Muscat Collection,Arabian Studies, IV.

- The Omani manuscript collection at Mascat, A.S.., IV, 1978.

Williamson, A., Sohar and Omani Seafaring in the Indian Ocean. Muscat, 1973.

Lorimer, J.G. Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia, new ed.1970,5 Vols. (ترجم إلى العربية)

-Maktari A. M., Water Rights and Irrigation Practices in Lahj,Cambridge. 1971.

- Miles.S.B.

The countries and the tribes of the Persian Gulf,London, 1966.(ترجم إلى العربية)

- Navla Intelligence Division:

IRAQ and the Persian Gulf, London, 1944.

- Peterson,J., Oman in the Twentieth Century, London,1973.

Omar, Farouk.

The Abbasid Caliphate, Baghdad, 1969.

O'shea,R.

Sand Kingsof Oman, London. 1947.

Chittik, N. ANew Look on the history of Pata, J. of African History, Vol, X, 1969.

Phillips. W.

Un Known Oman,London, 1966.

Ross,S.C.

Annals of Oman,Calcutta, 1874 in J.R.A.S.B. 1873/74.

Said- Ruete,R.

Said b. Sultan: Ruler of Oman and zanziba, London. 1929.

Schacht, J., Bibliotheques et manuscrits abadites, Revue Africaine, 1956, 376-98.

Trimingham,S. The Arab geographers and the East African Coast, in East Africa and the Orient, ed. by chittik and Roterg, New York. 1972.

Mantran, R., L'Expansion musulman, VII-1xe siecles, paris, 1979.

Cambridge History of Islam, I, Cambridge, 1970.

The Encyclopaedia of Islam, new ed., leiden, 1960.

The Encyclopaedia of Islam, new ed., leiden, 1960.

Roolvink, Historical Atlas of the Muslim Peoples, Amstedam, 1927.

Donner F., The Early Islamic Conquests, princeton, 1981.

Morony, M., lraq after the muslim Conquest, princeton, 1983.

Juynboll, G., Studies on the First Century of Islamic Society, Carbondale, lll, 1982.

Shaban, M., Islamic History, I , ll, Cambridge 1971.

Omar, F., The Abbasid Caliphate, Baghdad, 1969.

Lassner, J., The shaping of Abbosid Rule, princetion, 1980.

Kennedy, H., The Early Abaasid Caliphate, London, 1981 .

Cambridge Hitory of Iran, IV, Cambridge, 1975.

الكتب والبحوث والمقالات المنشورة للمؤلف بين سنة 1995 سنة 2000م.

* الامامة الاباضية في عُمان ، منشورات جامعة آل البيت ، المفرق ، 1997م .
* تاريخ آل البيت في القرون الإسلامية الأولى ، منشورات جامعة آل البيت ، المفرق ، طبعة أولى 1998م ، ط2 ، 1999م .
* الاستشراق والتاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى) الدار الأهلية للنشر والتوزيع ، عمّان ، 1998م .
* الخلافة العباسية/ الجزء الأول ، عصر القوة والازدهار ، دار الشروق ، عمان ، 1998 .
* الخلافة العباسية/ الجزء الثاني ، عصر الانهيار والسقوط ، دار الشروق ، عمان 1998، .
* دراسات في تاريخ عُمان ، وحدة الدراسات العمانية ، منشورات جامعة آل البيت ، المفرق ، 2000 .
* الوسيط في تاريخ فلسطين في العصر الاسلامي الوسيط ، دار الشروق ، عمان 1999م .
* الحركات الدينية ،السياسية في القرون الإسلامية الأولى ، الدار الأهلية للنشر والتوزيع ، عمّان ، 1999م .
* بحوث مهداة للاستاذ الدكتور سيد مقبول أحمد ، تحرير ، أ . د .فاروق عمر فوزي ، منشورات جامعة آل البيت ، المفرق ، 1999م .
* الوسيط في تاريخ الخليج العربي في العصر الإسلامي الوسيط ، دار الشروق ، عمّان ، 2000م .

ثانيا: البحوث المُحكمة

* الجيش والسياسة في مطالع العصر العباسي ، 132هـ/ 247هـ ، مجلة المنارة ، جامعة آل البيت ، المفرق ، 1996م .
* الجيش والسياسة في العصر الاموي ، 41هـ- 132هـ ، مجلة المنارة ، جامعة آل البيت ، المفرق ، 1999 .
* انتشار العرب في الاقاليم الشرقية للخليج العربي ، مجلة المنارة ، جامعة آل البيت المفرق ، 1999م .
* تاريخ فلسطين الإسلامي القسم الثاني ، الفصل الثاني ، في (المدخل إلى القضية الفلسطينية) مركز دراسات الشرق الاوسط ، عمّان ، الأردن1997م .

* تاريخ القدس في العصر الإسلامي ، في كتاب القدس ، منشورات مركز دراسات الشرق الاوسط ، عمّان ، الأردن 2000 .

* Arabia and the Eastern Arab Land, chapter 19, in The Cultural and Scientific History of Mankind, UNESCO, Paris 2000

* آل البيت ، موسوعة الحضارة الإسلامية ، مؤسسة آل البيت ، عمّان ، الأردن ، 1999م .

* منهج البحث العلمي في التاريخ عند المسلمين ، بحث سينشر ضمن كتاب مناهج البحث العلمي عند العلماء المسلمين ، جامعة آل البيت .

ثالثا: المقالات الاخرى

* نقابة الأشراف ، مجلة الندوة ، جمعية الشؤون الدولية ، عمّان 1998م .

* الفكر السياسي للخوارج بين النظرية والتطبيق ، مجلة الندوة ، جمعية الشؤون الدوليه ، عمان 1998م .

* الاستشراق والتاريخ الإسلامي ، مجلة البيان ، جامعة ال البيت ، 1997م .

* القدس في العلاقات الدولية بين الشرق والغرب في العصر الوسيط ، مجلة البيان ، جامعة ال البيت1999 .

* المعارف في شبه الجزيرة العربية قبيل الاسلام ، محاضرة ألقيت على طلبة الماجستير ضمن مادة مناهج البحث ، متطلب جامعة ، جامعة آل البيت 1996م .

* صالح بن عبدالقدوس والزندقة ، مجلة البيان ، جامعة آل البيت ، 2000م .

* حول مصطلح أهل البيت ، مجلة الزهراء ، 1995م .

* أدب الاختلاف في الإسلام ، مجلة الزهراء ، 1995م .

* الوسطية في الإسلام ، جريدة الشورى ، 1995م .

* القيم الادارية في الإسلام ، مجلة الزهراء ، 1995م .

* عبد العزيز الدوري مؤرخاً ، ندوة مؤسسة شومان ، عمان ، الأردن ، 1999م .

* حول كتاب (تاريخ الجغرافية العربية الإسلامية) تعقيب نشر ضمن الكتاب التذكاري للمرحوم الاستاذ سيد مقبول أحمد . جامعة آل البيت ، 1999م .

* السلم والحرب في الإسلام ، مجلة الزهراء ، 1996م .

- Iran During The Early Abbasid Period(1)

The Revolt of Ostadh Sis

- Iran During The Early Abbsid Period(2)

The Revoltof al- Maqanna

- Iran During The Early Abbasid Period(3).

The Revolts of al-Zuzani and al- Turk

All articles published In Majallat al- Zahra , University of AL-al-Bayt, 1998 etc.

- The Revolt of Khurramiyya, in al-Zahra(4)

Univ. of Al- al- Bayt, 1999.

- The Revolt of of Sonbadh, in al- Zahra(5)

Univ. of Al- al - Bayt, 2000.

رابعاً- الاطروحات التي أشرف عليها 1995-2000م بقسم التاريخ، جامعة آل البيت

* الإمام جابر بن زيد الأزدي الأباضي ، قسم التاريخ ، جامعة آل البيت ، 1997م .
* العلاقة بين فقهاء العراق والسلطة العباسية حتى سنة 198هـ/ 813م ، 1998م .
* الحياة الثقافية في مدينة الري في العصر السلجوقي سنة1999م .
* الصراع السياسي والفكري في عهد الخليفة العباسي المتوكل على الله 247هـ/328هـ ، 2000م .
* الزندقة في المشرق الاسلامي ، نشؤوها وتطورها حتى مطلع القرن الرابع الهجري ، قيد الإعداد .
* آل الجراح ودورهم في سياسة الدولة العباسية 247-334ه ، سنة 2000م .
* بنو هاشم ودورهم في الحياة السياسية والاجتماعية الثقافية في العهد الاموي 132-41هـ ، قيد الإعداد .
* موقف فقهاء العراق من السلطة العباسية 198-334هـ ، قيد الإعداد .

خامساً- الاطروحات التي شارك في الاشراف عليها 1995-2000 م بقسم الدراسات الفقهية، جامعة آل البيت

* الأحاديث الواردة في الخوارج – دواسة وتخريج ، قسم أصول الحديث ، 1998م .
* رواية الحديث عند الاباضية ، قسم أصول الحديث ، 1998م .
* الحنفاء ، دراسة عقائدية ، قسم العقيدة ، 1998م .
* الاحاديث الواردة في فضائل قريش ، قسم أصول الحديث ، 1999م .
* الاحاديث الواردة في الملحمة الكبرى ، تخريج ودراسة ، قسم أصول الحديث ، 1999م .
* مكانة المسجد الأقصى في العقيدة الإسلامية ، قسم العقيدة ، 1999م .
* صحيفة المدينة المنورة ، دراسة فقهية ، قسم الفقه ، (قيد الإعداد) .

سادساً- الاطروحات التي شارك في مناقشتها في الفترة 1995-2000م

* معاوية بن أبي سفيان في تاريخ ابن عساكر ، رسالة دكتوراه ، قسم التاريخ ، الجامعة الأردنية ، 1998م .
* الضرائب في المغرب الاسلامي في العصر الاموي ، رسالة دكتوراه ، قسم التاريخ ، الجامعة الأردنية ، 1999 م .
* الفلاحة في الفكر العربي الاسلامي في المشرق العربي حتى القرن 10هـ رسالة دكتوراه ، قسم التاريخ ، الجامعة الأردنية ، 1999 م .
* عمر بن شبه ودوره في الكتابه التاريخيه ، ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة مؤته ، 1999 م .
* الحياة الاجتماعية في بغداد 575هـ-656هـ ، ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة موته ، 1999 م .
* خلافة سليمان بن عبد الملك 96هـ- 99هـ ، ماجستير ، قسم التاريخ ،جامعة اليرموك ، 1996م .
* خلافة مروان بن الحكم 64هـ-65هـ ، ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة اليرموك ، 1996م .
* الحياة الاقتصادية في الحجاز خلال فترة الرسالة ، ماجستير ، قسم التاريخ ، الجامعة الاردنية ، 1998م .

* الملابس عند العرب في شمال ووسط الجزيرة العربية ، ماجستير ، قسم التاريخ ، الجامعة الاردنية ، 1998م .
* الموارد والنفقات المالية في خلافة الفرع السفياني 41-46هـ ، ماجستير ، جامعة اليرموك ، 1998م .
* البدء والتاريخ للمقدسي ، دراسة تاريخية ، ماجستير ، قسم التاريخ ، الجامعة الاردنية ، 1998م .
* الاحاديث الواردة في فضائل آل البيت ، دراسة وتخريج ، ماجستير ، جامعة آل البيت ، 2000م .
* مرويات الصحابي معاذ بن جبل في الكتب التسعة ، قسم الحديث وعلومه ، ماجستير ، جامعة آل البيت ، 2000م .
* منهج الامامين البخاري ومسلم في الرواية عن رجال الشيعة في صحيحهما ، قسم الحديث وعلومه ، ماجستير ، جامعة آل البيت .
* منكرات الجاهلية وعلاجها في القرآن الكريم ، قسم أصول الدين ، ماجستير ، جامعة آل البيت ، 2000م .
* الحياة العلمية زمن السامانيين ، رسالة دكتوراه ، الجامعة الأردنية ، 2000م .



Abstract

This book is a brief but comprehensive survey of the four Arab provinces of the Gulf region namely Uman, Bahrayn, Irak and Ahwaz, during the middle ages from the 1st . century A.H./7th century A.D to the 9th century A.H./ 15th Century .A.D.

No complete history of these provinces, for the period under consideration exists.

Chapter one deals with the province of al -Bahrayn in the Islamic middle ages. In pre- Islamic and early Islamic times the name applied to the main land of the eastern Arabia embracing the Oases of al - Katif, Hajar (i.e al Hasa) , and the Largest island called in the earlier Arabic sources Uwal , (Hajar was the center of the province). Among the early tribes settled in al -Bahrayn was Azd, but a great number of them moved afterwards to Uman .The remanent joined of confederation of Tanukh,Among other tribal emigrants were adherents the northern tribes (Adnan), such as Tamim , Bakr and Taghlib . By the advent of Islam abd- Al -Kays (of Adnan) became the dominant tribe in al - Bahrayn . Foreign elements such as persians were also to be found in the region. The metropolitan charactor of Bahryn accounts for the existence of a vareity of religions. However, Al-Bahrayn was of the regions which accepted Islam peacefully . Earlay historians agree that the prophet himself took the initiative and sent aletter with al-Ala b. al-Hadrami to al-Mundhir Tamimi in Hajarcalling upon him to accept Islam. Al- Mundhir accepted Islam with hisArab tribal followera, and some non-Arabs . The rest such as christians, Jews and Magians held on to their faith and agreed to pay land tax (Kharaj) and polltax (Jizya).

the ready acceptance by al -Mundhir of Islam can be justified because it gave him additional strength , and political infleunce against the Sasanid strongholds in al -Bahrayn.

When the ridda (i.e. apostacy) war was broke out , the lakhmid tribes in Bahrayn rejected Islam and the Caliphate of Medina, but alarge number of Abd al -Kays under al -Jarudal abdi did not desert Islam, and Joined al - Ala al-Hadrami in defeating the apostates at (Juwatha) in al - Hasa . Muslim forces crossed over to the Island of Darin opposite al -Katif and also to the Island of Uwal . Starting from the Caliphate of Uthman b. Affran Bahrayn was connected with the governor of Basra in Irak.

During the Umayyad period the Kharijites under Najda b. Amir had a strong hold in Bahrayn. However , Ali b. Muhammad the leader of the Zanj revolt who was originally from abd al Kays of Bahrayn started his activites during the Abbasid period in Bahryn befor moving on to southern Irak.

Bahrayn also participated in an expedition initiated by the Abbasid regime against the Ibadiyya of Uman in 281 A.H/894 A.D.

The Carmatians found fertile soil among the city dwellers, as well as, bedoiuns of Bahryan. In 317 A.H/ 930 A.D the black stone was brought by the Carmatians from Mecca to al-Bahrayn where it was kept four about twenty years. But abd al-Kays was able in 450/1058 A.D to defeat the Carmatians and re- establish orthodox Islam on Uwal in the name of the Abbasid Caliphate. And within few years the final blow of the Carmatians came at the hands of the Uyunids (of Abd al - Kays) aided by the Saljuks of Irak.

In the mid 9 th /15th century a new dynasty was established in the Gulf region which was called the Jabrids, and during the reign of Ajwadb. Zamil , Bahrayn was incorporated in his domain. He encouraged the Maliki doctrine over other Sunni or shi'i doctrines.

However , the splendid reign of Ajwad carried the fame of Bahrayn as far as Europe, a fact which tempted the portuguese to invade al- Bahrayn in the first half of the 10th C.A.H/16 th C.A.D.

chapter two deals with the history of Uman which, geographically lies in the south - eastern part of Arabia, over looking both the Arab Gulf and the Arab sea. It had great commercial and strategic importance during the period concerned, as its ports became Centres for maritime trade as well as military bases to insure the Security and stability of the region.

As for its boundaries during the Islamic middle ages, it can be deduced from traditions that Uman extended between Jurfar in the north and al -shafra on the south .

Uman was thickly populated from pre-Islamic period. The trible of Azd (of the Yamanite origin) was the biggest, and most powerful tribe in Uman . Other tribes which inhabited Uman were Sama b. Lu'ayy, Tamim and Bakr .Minority elements such as Persians, Indians (i.e Zutt) were also to be found in the province.

The Sasaninds spread their political authority over the coastal part of Uman . But Umanis resisted the expansionist policy of the Sasandis, as well as there religion (i.e Magianism) the hegemony of Islam however , put an end to it.

Uman according to a number of accounts, accepted Islam peacefully by the end of the prophet's life, when he sent Umr al- As to al-Julanda rulling family to deliver a letter calling them to Islam . And they responded a long with their tribes . The power of al -Julanda increased with the advent of Islam. It is important to observe that one of the greatest appeals of Islam to the Umanis, and in that case to other Arab regions of the Gulf, was the fact that they saw in it a power Capable of throwing off the Sasanid yoke . This was beyond mere political freedom. It represented an opportunity to regain rich land and to extend their Urban. Settlements, as well as providing more access to flourishing maritime trade.

During the Orthodox CaliphateUmanwas administratively linked with the governor of Basra in Irak , which encouraged the tribes of Uman to Join Muslim armies in the conquet of eastwards.

The early years of the Abbasid witnessed the realization of the Ibadite political entity (i.e. the Imamate) in Uman. The Umanis succeeded in maintatining it, either without interruption or at least without long ones, until modern times.

The Ibadiyya Imamte seemed to have survived the blows of the Abbasid army, and after a period of unrest the Umanis continued to pay allegiace to their Ibadite Imam, Which means that Uman though nominally under Abbasid authority virtually it retained its autonomy.

It has become almost Customary for modern historians to assert thet the kharijites didnot constitute, any more, a danger in the Abbasid epoch, since their Strength was exhausted and their revolts, so violent inthe Umayyad period, had become feeble and sporadic .In reality , this assertion should be revised, and some what modified. Certaily the Kharijite insurrections no longer represented a direct danger to the caliphate.. on the other hand it is observed that kharijite revolts found in distant provinces such a s Uman . Sistan, and Ifriqiyya a soil sufficiently favourable to consititute Semi -independent entity there. there is no risk therefor in asserting that the strength of the Kharijites was far from being exhausted in the Umayyad period, but had shifted its field of action towards the periphery, where it could still achieve remarkable success. The proof of this is found in the events of the Ibadiyya of Uman . The Ibadiyya exhausted the centeral state financially as well as militarily and kept Uman semi - independant from the Abbasid regime, a sign which indicates that Ibadite forces were strong enough to be able to resist the central goverment army . Certainly the conquest of Uman seemed difficult in view of the difficult accessibilty of the country by land . Only parhaps the coastal cities were sometimes under the domination of Baghdad.

With the permission of the publishers or the editors many Pages have been quoted or adapted from my previous publications on Uman. I also depened mainly on Hashim's dessrtation, which was written under my own supervision at Bagdad University , as far as the early history of Ibadiyya in Uman is concerned.

Irak has been discussed in chapter three. It was the richest province in the Gulf region. Its southern border were continuation of Arabia without any geographical barrier separating them . Therefore, since remoto times the Arabs infiltrated into Irak and decided its ethnic structure. However, the Arabs infiltrated into Irak and decided its ethnic structure. However the influence of the Sasanids was strong in Irak up to the banks of Euphrates. They supported the Mundhiri Arab dynasty in Hira in order to protect their western borders from any threat from the desert. When the Mundhri dynasty was weakend, Arab tribes such as Bakr intensified their attacks on the Sasanids and won the battle of (Dhiqar) in 602 A.D., When a persian reqular force was defeated by abedouin tribe for the first time.

When Umar became Caliph in 13A.H./634 A.D., Irak was now accorded high priority, and he organised a series of military operations The Arab Muslims won successive important battles such as al - Qadisiyaa (637/16 A. H) and Nihawand (641/21 A.H).

For the Persians, the outcome was disastrous. the Sasanid empire disintegrated and Irak was incorporated to the Islamic state. These great battles has a significant effect on the morale of the Muslim fighters who had previously feared the Persians. The Caliph Umar realized the importance of these battles and decided - if only temporarily- to halt further conquests of the persian plateau. Al Kufa in Irak become the centre of the Caliphate in the reign of Ali b. Abi Talib until 40/661 when the latter was assassinated in the same city.

During the Umayyad period Irak opposed the Caliphs of Damascus, as the Irakis felt that the Umayyed had given Syria preeminece over

Irak .The Umayyads disregarded the fact that Irak was richer and more populous than Syria, and the Irakis were experiened in administration and politics. Many revolts of different loyalities and affilitions broke out in the region, but Ubaydullah b. Ziyad and al -Hajjaj al -Thaqafi crushed them , sometimes , Severly. Never the less Irak was still the base for Islamic conquests in the eastern provinces. The coming of the Abbasids in 132 A.H/749 A.D witnessed great changes in the Islamic state and society, especially for Irak . The new capital of the state was established in Irak , first in al -Hashimiyya (near Kufa) and then in Baghded. The Irakis were given increased importance. Irak itself - under went a great economic development particularily in trade and agriculture, Culturely Baghdad , Basra and Kufa become the meeting place for poets theologians, Scholars, men of letters, Jurisconsults etc.

Plolitically, however, Irak suffered from disturbances of different types, which gradually weakend the central goverment and encouraged alien elements such as the Buyids in 334 A.H/ 945 A.D and the Saljuks in 447 A.H/ 1055 A.D. to intervene in the affairs of the Abbasid Caliphate and Occupy Baghdad . As a consequence there were struggles for infleunce between the Caliphs and th Amirs / Sultans . Many Caliphs tried to take steps in order to strengthen the state, but they did not have any fruitful results , and the Abbasid Caliphate fell when the Mongols cccupied Baghdad in 656 A.H/ 1258 A.D. Few pages have been quoted or adapted from my previous publications on Irak .

The fourth chapter deals with the province of al -Ahwaz, which was under Sasanid rule in pre -Islamic period . Among the early Arab tribes settled in Ahwaz was banu Handalla who was settled there befor Islam. By the advent of Islam many other tribes migrated to the province such as Malik and Tamim , Then Ka'ab.

Ahwaz continued to prosper under the Muslim rule as it was the centre of extensive sugar plantation . However, the Azarika revot of

theIst C.A.H/ 7th Century A.D and the Zanj revolt of the 3th Century A.H/ 9th C.A.D had abad effect on the region and caused a serious economic decline. Ahwaz regained its identity and prosperity with the apperance of Muhammad b. Falah al - Musha ' shai who was to build a new emirate which consisted of Ahwas and southern Iraq. This emerate lasted until the beginning of the 10th C.AH/ 16th C.A.D when new provincial powers namely : The Safavids and tho Ottomans started to play an infleuntial role in the region .

After the conquests, all Arab Gulf - regions were incorporated in the Islamic state. It was necessary to keep a standing army to face any danger , and for this reason new centres (Amsar) were established . These centres in the Gulf region were : Kufa and Basra in Irak Suk al - Ahwaz in Ahwaz, and Jawatha in Bahrayn. Other centers were either old ports or market - places such as suhar in Uman which was famous as a market place , and for its texile industry . Its political and administrative improtance increased after the advent of Islam . Since it became the head quarters of governors of Uman . As for Maskat, another city in Uman ,it was an important port , and Suhar's exit to the sea.

As for Bahrayn, in addition to Juwatha, therewas Hajar which was the most important city in Bahrayn. it was called in pre- Islamic times the Ka'ida of Bahraym, After Islam it continued to be the most important city in Bahrayn .

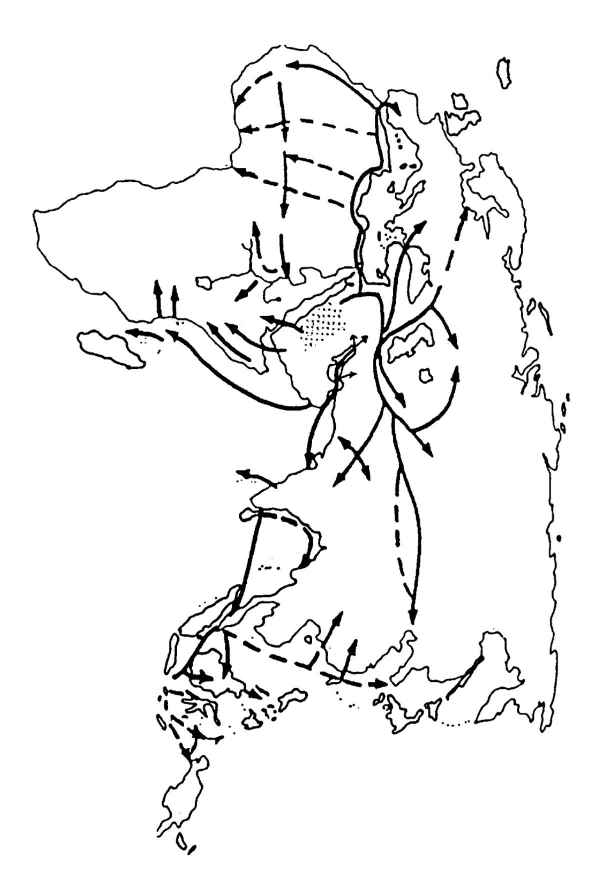
The Muslim Arabs who settled in the Amsar, and other old cities in the Gulf region brought with them their language (i,e. Arabic). They had also an opportunity to mix with other peoples and cultures, a matter which helped to extend their horizons . The use of Arabic became wide spread ,and it became the language of communications, trade, cultre and scholarship . This was due, to the attitude of the Islamic state which encouraged intellectual freedom.

As the teachings of Islam were expressed in Arabic . The fusion between religion and language grew more and more as the Islamic state

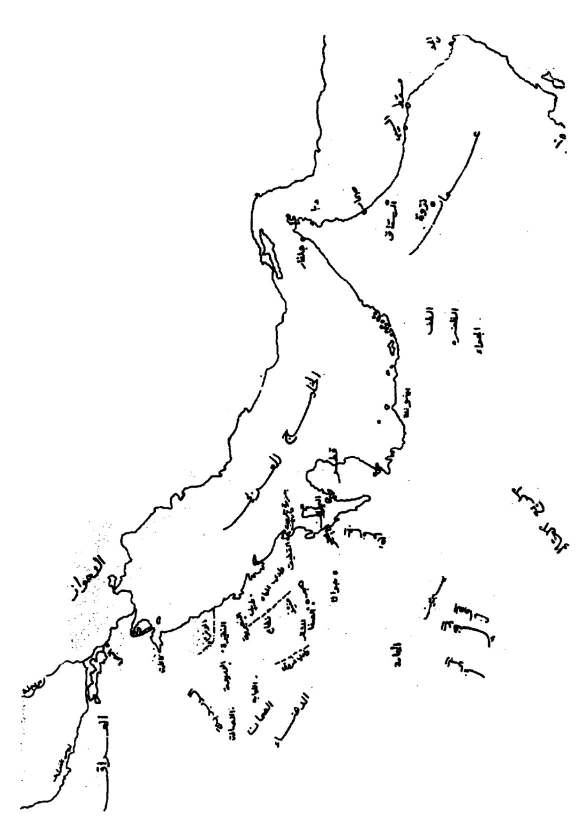
during the Umayyad period extended further to the east and the west. Despite the fact that Islam was aUniversal religion, all these circumstances helped to show Islam as closely connected with Arabism.

The Abbasid era witnessed great changes in the central goverment which were reflected in the other provinces too includingthe Gulf region.

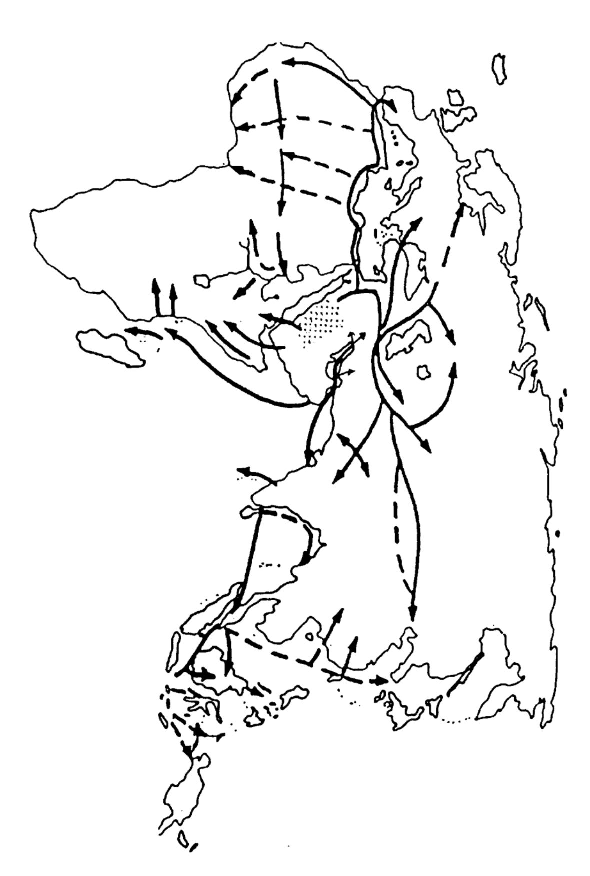
First the Abbasids urged a more global view of Islam. From the very begining Islam also had been favourable to the sedentary way of life, urban settlement was encouraged and cities were centers to trade and manufacturing. This urban trend developed more and more during the Abbasid period, and the state endeavoured to establish civic institutions and provide public services . Intellectual activities flourished , and by the 4th C.A.H/ 10th C.A.D it was fully mature . Irak continued to occupy pride place in the Islamic world on the scholarly front, as most intellectual activity was Concentrated in Baghdad . However , various activities in the same field took place in the other parts of the Gulf region especially in Uman during the period concerned .



مركزية الخليج في الطرق البحريه والبرية



توضيح أقاليم الخليج العربية وأهم المدن والمناطق



مناطق الرقيق وتجارتها



الفهارس

(1) الإعلام

(2) القبائل والشعوب

(3) الدول والأمكنة والبقاع

(4) المصطلحات والفرق


الوسيط
في تاريخ الخليج العربي
في العصر الإسلامي الوسيط
الدكتور
فاروق عمر فوزي
دار الشروق للنشر والتوزيع
عمان - هاتف : ٤٦١٨١٩٠ - ٤٦٢٤٣٢١ - فاكس : ٤٦١٠٠٦٥
رام الله - المنارة - الشارع الرئيسي - تلفاكس : ٢٩٨٧٠٣٢
نابلس - جامعة النجاح - تلفون : ٢٣٩٨٨٦٢
e-mail:shorokjo@nol.com.jo
ISBN 9957-00-114-0 (ردمك)